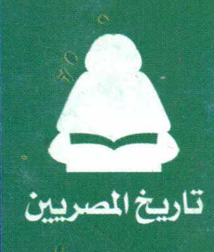


ثورات المصريين في العصر الفاطمي

٩٦٩ _ ١٠٣٥



٢٩٣

د. محمود خلف

ثورات المصريين في العصر الفاطمي

(٩٦٩ - ١٠٣٥م)

خلف، محمود محمد
ثورات المصريين فى العصر الفاطمى: (٩٦٩ - ١٠٣٥م)/ تأليف: محمود محمد خلف. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢.
٢٧٢ ص، ٢٤ سم. (سلسلة تاريخ المصريين)
تدمك ٠ - ٠٨٥ - ٤٤٨ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١ - مصر - تاريخ. العصر الفاطمى (٩٦٩ - ١١٧١م.)
٢ - مصر تاريخ. الثورات
أ. العنوان:
رقم الإيداع بدار الكتب ١٩١٧٥ / ٢٠١٢
I.S.B.N 978-977-448 -085 -0

الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة - جمهورية مصر العربية - كورنيش النيل - رملة بولاق
ص . ب : ٢٣٥ - الرقم البريدى : ١١٧٤٩ رمسيس
ت : ٢٥٧٧٥٢٢٨ / ٢٥٧٧٥٠٠٠ - فاكس ٢٥٧٥٤٢١٣ (٢٠٢)
www.egyptianbook.org.eg/e-mail:info@egyptianbook.org.eg.

ثورات المصريين في العصر الفاطمي

(٩٦٩-١٠٣٥م)

تأليف

د. محمود محمد خلف



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٢

فهرس الموضوعات

على سبيل التقديم

بالرغم من أن العصر الفاطمي من أكثر عصور مصر الإسلامية التي اهتم بها المؤرخون وكتبوا عنها، حيث صدرت دراسات عديدة عن الحياة السياسية والاقتصادية والمظاهر الحضارية، إلا أن المؤرخين أهملوا دراسة العلاقة بين المصريين والفاطميين، وتحليل مدى رضا المصريين عن الأسرة الحاكمة، وما إذا كانوا قد قاموا بثورات ضدهم أم ارتضوا بالأمر الواقع، وكذلك موقف المصريين من سقوط الدولة الأيوبية وقيام الدولة المملوكية، وكيف أن المصريين لم يبكوا على الدولة الفاطمية بالرغم مما أحدثته من تغييرات وما تركته من آثار حضارية، وبصمات علمية واقتصادية، وحتى عادات وتقاليد اجتماعية.

وفي محاولتنا لسد هذه الثغرة نقدم اليوم هذا الكتاب المتميز للباحث الدكتور محمود خلف بعنوان "ثورات المصريين في العصر الفاطمي" حيث يتعرض المؤلف لأهم ثورات المصريين ضد الفاطميين في عهد الخلفاء الأربعة الأوائل: المعز لدين الله ، والعزيز بالله، والحاكم بأمر الله، والظاهر لإعزاز دين الله. وصنف الثورات إلى: ثورات سياسية، وثورات اقتصادية، وثورات دينية. وحلل الأسباب والنتائج لكل ثورة منها.

فأما عن الثورات السياسية فتعرض لموقف المصريين من الفتح الفاطمي، ومدى عنف المقاومة التي أبدوها وتجاهلتها معظم الدراسات التاريخية، خاصة كتابات المستشرقين الذين أرادوا إظهار المصريين بمظهر المتخاذل والمستكين. ثم عرض لثورة أهل تنيس وثورة الصعيد في عهد المعز لدين الله، وثورة حمزة بن ثعلة الكتامي، وثورة حمدان الأسيوطي في عهد العزيز بالله، وثورات أخرى كثيرة في عهد الحاكم والظاهر. وشرح كيف نجح الفاطميين في القضاء على تلك الثورات بكل وسيلة ممكنة. وأما عن الثورات الدينية، فحلل بشكل جيد الصراع بين السنة والشيعة، واستعرض أهم

الثورات التي قام بها أهل السنة ضد الفاطميين الشيعة، ومقاومتهم محاولات نشر المذهب الشيعي في مصر، وكذلك اعتراضهم على تقريب الفاطميين لأهل الذمة على حساب أهل السنة. وحلل كذلك الثورات الاقتصادية وكيف نجح المصريون في حرق الأسطول الفاطمي ، وهو ما أثر على التجارة. وعرض كذلك لهبات المصريين وثوراتهم في أوقات الأزمات والمجاعات وانتشار الأوبئة، كنوع من الاعتراض على إهمال الفاطميين لهم. غير أن أهم ما يميز هذا الكتاب أنه لم يتعرض فقط للثورات والتمردات العسكرية، بل حلل كل أنواع الرفض والمقاومة مثل المقاومة بالشعر والأمثال الشعبية والنكات والفكاهة اللاذعة.

وختاماً، أحيي المؤلف على مجهوده في هذا الكتاب الذي أعتقد أنه إضافة مهمة في مجاله. ولا يفوتني أن أشكر أسرة تحرير سلسلة "تاريخ المصريين" على ما بذلوه من جهد في إخراج هذا الكتاب، وأخص بالذكر الدكتور عماد هلال على جهوده في مراجعة الكتاب وتنسيقه، ليخرج بهذه الصورة الطيبة.

والله وتاريخ أمتنا من وراء القصد

د. محمد صابر عرب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين

وبعد:

فتعد الثورات من أخطر الأشياء التي تهدد الحضارة الإنسانية في كل زمان ومكان.ويتبين لكل من يتصدي لوضع لائحة زمنية لوقائعها أنها ظاهرة متغلغلة في القدم، وأنها كانت جزءاً من النظام البشري، وفي تاريخ مصر العام نجد هذه الظاهرة من بين أهم الظواهر التاريخية التي لم يستطع المؤرخون إسقاطها من ذاكرة التاريخ ذلك أن النتائج التي تمخضت عنها كانت تساهم في تشكيل جزء كبير من مصير المجتمعات التي اعتنوا برصدها.

إن الثورات ظاهرة سياسية واجتماعية واقتصادية واضحة ومتكررة في التاريخ الإنساني، ويتميز التاريخ المصري بقيام كثير من الثورات علي أرضه، ومن ثم فقد كان تواتر سلسلة طويلة من الثورات يمثل شيئاً مستمراً في التاريخ السياسي والاجتماعي المصري.

ويعد العصر الفاطمي في مصر(٣٥٨ – ٥٦٧ هـ/ ٩٦٩ – ١١٧١م) أحد الحلقات الرئيسة لهذه الظاهرة، والتي تهدف هذه الدراسة إلي إلقاء الضوء عليها خلال الفترة من (٣٥٨– ٤٢٧ هـ/ ٩٦٩ – ١٠٣٥م) وترجع أهمية دراسة الثورات في هذه الفترة لعدة اعتبارات هامة:

أولاً: أن التأمل في تاريخ مصر الإسلامية يشعر– بعظمة تاريخ الفاطميين، ودورهم البارز وأنهم استطاعوا أن يتركوا بصماتهم في تاريخ مصر وأن يؤثروا في حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والعلمية والفنية. وقد كانت الدولة الفاطمية– بين الدول الإسلامية التي استقرت بمصر لعدة قرون– أوفرها بهاءاً وأبقاها أثراً، و ما زال الجامع الأزهر غرس الدولة الفاطمية اليانع ركناً ثابتاً لا يبلي

مع الزمن، يقوم منذ أكثر من ألف عام أثراً خالداً، ورمزاً باهراً لهذا العصر الزاخـــر، وهذه الدولة المستقلة الشامخة، لذا كان العصر الفاطمي – بين عصور مصر الإسلامية – جديراً بالدراسة والاهتمام.

ثانياً: :إن مصر أصبحت لأول مرة مقراً ومركزاً للخلافة الفاطمية، وأصبح لها بالتالي استقلالاً سياسياً واقتصادياً – فعلياً – مما يسهل دراســـة النتـــائج الـــسياسية والاقتصادية للثورات بعيداً عن تأثير مراكز الحكم في دمشق أو بغداد.

ثالثاً: عرف العصر الفاطمي في مصر بتعدد الثورات التي قامت فيـــه، وقـــد ترتب عليها أحداث هامة، وتعد فترة البحث حداً فاصلاً بين عهدي الخلفاء الأقوياء وعصر الوزراء العظام، وكانت فترة تحول تاريخي، حفلت بأحداث جـــسام، ويحـــار الدارس أمام تشابك أحداثها، وتناقص معلوماتها، ناهيك عن صعوبة الفـــصل بـــين الأسباب والنتائج ، حيث توالي الأحداث عملها تأثيراً وتأثراً.

رابعاً: رغبة الباحث في رصد بعض ملامح التاريخ الـــسياسي والاقتـــصادي والاجتماعي والديني لمصر خلال الفترة (٣٥٨– ٤٢٧هـــــ / ٩٦٩ – ١٠٣٥م) لكشف الأسباب البعيدة أو غير المباشرة للتدهور النسبي الذي ألم بالمجتمع المـــصري، والذي كان سبباً، بلا شك – في سقوط الدولة الفاطمية عام (٥٦٧هـــ/ ١١٧١م).

خامساً: إن نظرة المؤرخين المحدثين للتاريخ تختلف عمن سبقهم مـــن قـــدماء المؤرخين ، فالتاريخ في نظرهم ليس مجرد سرد للحوادث السياسية، أو تصوير للوقائع الحربية، أو ذكر لسير الخلفاء والملوك، وإنما هي نظرة تتجه إلي دراســـة الأســـباب والنتائج حتي يمكن أن يكون للتاريخ فائدة يمكن الاستفادة منها في الحاضر والمستقبل " فالتاريخ شعاع من الماضي يضيء لنا الحاضر والمستقبل " ومن هذا المنطلق آثـــرت دراسة الثورات في العصر الفاطمي الأول (٣٥٨– ٤٢٧هـــ / ٩٦٩– ١٠٣٥م)

دراسة مستقلة تكشف عن أثرها علي مختلف جوانب الحياة في مـــصر إبـــان ذلـــك العصر.

سادساً: علي الرغم من أن هذا العصر قد أولاه كثير من الكُتّاب والبـــاحثين بالدراسة إلا أنهم لم يتجهوا إلي دراسة الثورات التي قام بها الشعب المصري في هـــذا العصر ـــ لمواجهة المد الشيعي ـــ دراسة موسعة علي الرغم من قيام الكثير منها على أرضه.

تقسيم الكتاب:

وقد قسمت هذا الكتاب علي حسب عهـــود الخلفـــاء الفـــاطميين، لأنـــني أحسست بأن طريقتنا المعتادة في كتابة التاريخ مجزأة إلي أقسام منفصلة بعضها عـــن بعض يتناول كل قسم منها ثورة من الثورات سواء كانت سياسية أو اقتـــصادية أو طائفية أو دينية، أحسست بأن في هذه الطريقة إجحافاً لتاريخنا المصري الذي يجب أن يكتب علي نحو تركيبي كما يكتب علي نحو تحليلي. وحيـــث أن علـــم التـــاريخ في صورته المثلي لابد أن يهدف– في كل فترة من فترات الزمن– إلي تـــصوير عناصـــر الأمة مترابطة يرتبط بعضها ببعض ارتباط الظاهرة بأسبابها، لـــذلك فقـــد قـــسمت الكتاب إلي تمهيد و أربعة فصول وخاتمة.

أما التمهيد: فقد ألقيت فيه الضوء علي " التأصيل الفكري للثورة "، فعرفت الثورة في اللغة والاصطلاح، والمراحل التي يمر بها العمل الثوري، وناقشت بالتفصيل آراء المؤرخين في طبيعة الشعب المصري، ثم ألمحت إلي بعض الثورات التي قام بها أهل مصر منذ الفتح الإسلامي، وحتي نهاية الدولة الطولونية، ثم حاولت رســـم صـــورة تقريبية لحالة المجتمع المصري قبيل الفتح الفاطمي لمصر، فتحـــدثت عـــن الأزمـــات الاقتصادية التي وقعت في الدولة الإخشيدية والتي كانت أحد الأسباب التي شجعت الفاطميين علي فتح مصر، ثم رصدت الثورات التي قام بها المصريون خـــلال تلـــك

الفترة وألقيت الضوء علي محاولات الفاطميين فتح مصر، والتي نجحـــت في عهـــد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٣٥٨ هـ/ ٩٦٩ م).

أما الفصل الأول: وعنوانه (الثورات في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي) فقد تناولت فيه أحداث الفتح الفاطمي لمصر، وأهم أعمال القائد جوهر الصقلي في مصر، وناقشت الآراء المختلفة التي ذكرت بناء القاهرة، وأسباب تسميتها بهذا الاسم ، ثم حاولت أن أضع وصفاً سريعاً لهذه المدينة الجديدة وجامعها الأزهر، ثم انتقلـــت إلي الحديث عن ثورات المصريين ، وأوضحت أسباب قيـــام الثـــورات الـــسياسية وأنواعها ، ثم ذكرت أهم الثورات الاقتصادية ثم الدينية التي ظهرت خـــلال تلـــك الفترة، واختتمت هذا الفصل بنتائج هذه الثورات علي الحياة خلال عصر المعز لدين الله الفاطمي.

أما الفصل الثاني : فقد خصصته للحديث عن (الثورات في عهد الخليفة العزيز بالله) موضحاً تولية العزيز بالله عرش الخلافة الفاطمية، ثم تحـــدثت عـــن الثـــورات السياسية في عهده سواء الداخلية أو الخارجية ، فذكرت منها ثورة أفتكين التركـــي، وقسام الحارثي ، وأوضحت أثر هذه الثورات علي الحياة. ثم ألقيت الـــضوء علـــي مقاومة المصريين القولية والتي برعوا في استخدمها لتخفيف الظلم الواقع علـــيهم. ثم تتبعت بناء الأسطول في مصر الإسلامية منذ نشأته وحتى عصر الدولـــة الفاطميـــة ، وناقشت بالتفصيل قضية حريق الأسطول الفاطمي علي يد أهل الذمة. واختتمـــت هذا الفصل بأثر حريق الأسطول علي الاقتصاد المصري، وأوضحت موقف المصريين من هذا الحريق.

وتناولت في الفصل الثالث: (الثورات في عهد الحـــاكم بـــأمر الله) عرفـــتُ بالحاكم بأمر الله، وحاولت أن أرسم صورة تقريبية لشخصيته من خـــلال كتابـــات المؤرخين القدامى والمحدثين. ثم تناولت الثورات السياسية التي ظهـــرت في عـــصره

؛سواء كانت داخلية أو خارجية محاولاً توضيح أسباب قيام هذه الثورات وأحـداثها ونتائجها. وفصلت القول في ثورة الوليد بن هشام (أبو ركوة) ، وناقـشت موقـف الحاكم بأمر الله من هذه الثورة. ثم أتبعت ذلك بالحديث عن الثـورات الاقتـصادية وأسباب وقوع المجاعات ،ومحاولات الحاكم القضاء علي ظاهرة انخفاض ماء النيـل، وأوضحت موقف الشعب المصري من هذه المجاعات المتكررة . وتحدثت بالتفـصيل عن الثورات الاقتصادية التي قام بها الشعب المصري، وأثر هذه الثورة علي اقتـصاد الدولة الفاطمية. ثم تحدثت عن الثورات الطائفية فذكرت العناصر الأجنبية في مـصر وأثر التنافس بينها في حالة مصر الداخلية، والمنازعات التي قامـت بـين برجـوان والحسن بن عمار، وموقف الشعب المصري من هذا الصراع. وتعرضت للمقاومـة القولية– شعر ونثر – التي قام بها المصريون والتي نجحت في تخفيف الظلـم الواقـع عليهم، وناقشت بالتفصيل مسألة حريق الفسطاط وموقف الحاكم من هذا الحريق ، وأثر هذا الحريق علي الاقتصاد. ثم ألقيت الضوء علي الحياة الدينية خـلال عـصر الحاكم، فناقشت مسألة ألوهية الحاكم بأمر الله وموقف الشعب المصري منها، وبرأت بالأدلة التاريخية الحاكم من تهمة أدعائه للألوهية. ثم رصدت أحوال أهل الذمة خلال تلك الفترة، موضحاً موقفهم من هدم كنيسة القيامة المجيدة، واختتمت هذا الفـصل بأثر الثورات الدينية علي الحياة خلال عصر الحاكم.

وخصصت الفصل الرابع للحديث عن : (الثورات في عهد الظاهر لإعـزاز دين الله) وبدأته بترجمة الخليفة الظاهر وبينت جهود عمته السيدة سـت الملـك في توليته عرش الخلافة الفاطمية. ثم ذكرت أهم الثورات السياسية الـتي ظهـرت في عصره. ثم تحدثت عن الثورات الاقتصادية التي قام بها الـشعب المـصري بـسبب حدوث المجاعات ، وحاولت رصد أثر هذه الثورات علي الحياة خلال عصر الظاهر. كما تحدثت عن الثورات الطائفية وأثر المنازعات والفتن التي وقعت بـين الأتـراك والعبيد – علي هيبة الخلافة الفاطمية – وأوضحت أثر هذه المنازعات علي الحالـة

الأمنية في البلاد. ثم أتبعت ذلك بالحديث عن الثورات الدينية فشرحت أسباب ثورة أهل مكة، وثورة علماء المالكية ، واختتمت الفصل بإلقاء الضوء علي أهـــل الذمـــة خلال عصر الظاهر، والذين تمتعوا خلاله بالحرية التامة. ثم أوضحت بالتفصيل أثـــر الثورات الدينية علي الحياة خلال عصر الظاهر لإعزاز دين الله.

وأنهيت الكتاب بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي أسفر عنها البحث، وأعقبتـــها بملاحق عن بعض الوثائق التي تخدم البحث، فضلاً عن ثبت بأهم الثـــورات خـــلال الفترة المعنية بالدراسة.

وفي الختام أتوجه إلى أستاذي الدكتور/محمد علي عتـــاقي، بخـــالص الـــشكر والتقدير لتشجعه لي في إتمام هذا البحث حتى اكتملت صورته بهذا الـــشكل الـــذي أرجو أن أكون قد وفقت فيه. ونجحت في إلقاء مزيد من الضوء علي جوانب مـــن حياة الشعب المصري خلال العصر الفاطمي. واعترف بأنني لم أصل فيـــه إلي مرتبـــة الكمال، لأن الكمال لله وحده، وحسبي أني اجتهدت فإن كنت أخطأت فلابـــد أن أمتثل لقوله تعالي : " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ".

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

د/ محمود محمد خلف.

الهرم ــــ جيزة.

التمهيد

المبحث الأول

التأصيل الفكري للثورة

عبر التطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية كان التعارض بين وجهات النظر يبدو أمراً لا يمكن تجنبه في الشئون البشرية، وبذلك فإن هذه المجتمعات عرفت دائماً بشكل أو بآخر ظاهرة "المعارضة"(1). وعلى الرغم من أن الإسلام يدعو إلى أن من الواجب أن توجد بشكل مشروع جماعة منظمة داخل النظام السياسي والاجتماعي تقوم "بالمعارضة" والنقد وتدعو إلى الخير وتنهي عن الشر في أكثر من آية في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ(2)" إلا أن انتقال ذلك المبدأ إلى حيز التنفيذ أمر تعترضه الكثير من العقبات.

وذلك يرجع إلى أن كثيراً من النظم السياسية– وحتى الحديثة منها– وإن كانت تعترف شكلاً بوجود المعارضة لكنها لا تستجيب لما تنادي به إلى في أضيق نطاق، وعلى الرغم من أن المعارضة وثيقة الصلة بالشورى الإسلامية، بل إن المعارضة جزء منها. يقول أحد الباحثين "لا يكاد أحد اليوم يتصور وجود ديمقراطية(3) بدون معارضة أو أحزاب متنافسة يناضل بعضها بعضاً، ويدعو كل منها إلى مبادئ يريد أن يجعل منها دستوراً للحكم إلا أن المجتمعات المتحضرة الراقية لا تعترف بظاهرة الثورة أو المطالبين بالإصلاح عن طريق الثورة(4)".

ولدراسة "الثورة" كظاهرة سياسية واجتماعية في مجال الفكر السياسي الإسلامي، ينبغي تحديد مفهوم "الثورة" أولاً في معاجم اللغة، وفي المعنى الاصطلاحي العربي، والغربي. ثم نقف بظاهرة الثورة أمام المجتمع المصري في مختلف مراحله

التاريخية، لكي نوضح موقف الشعب المصري من هذه الظاهرة السياسية كإحدى أساليب التغيير.

(أ) الثورة في المعنى اللغوي.

*لفظ الثورة في معاجم اللغة:

يتجه الباحث عن معنى لفظ من الألفاظ أول ما يتجه إلى معاجم اللغة، وفي الحقيقة إن معظم المعاجم تنقل عن بعضها البعض بحيث يكاد شرح اللفظ يتكرر تكراراً قد يصل إلى حد النقل، هذا بالإضافة إلى عدم التعرض للناحية التاريخية أو الاشتقاقية للفظ.

ولفظ "الثورة" في الأصل اللغوي "ثَور" وهي تعني الهياج والانقلاب أو تغير شيء بشيء ومنه تقول العرب: (أثار) الغبار يثور ثوراً، ومنه قيل للفتنة (ثارت) وآثارها العدو"[٥] وكأن المعنى قد اشتق من تغيير الهواء وإثارة الغبار، واستعمل في معنى الثورة والتغيير، وفي لسان العرب: (اشتق لفظ تثور: بمعنى هاج، وثورة الغضب: حدته، والثائر: الغضبان، ويقال: للغضبان أهيج ما يكون: قد ثار ثائرة وفار فائرة، إذا غضب وهاج غضبه، وثار إليه ثوراً: وثب، والمثاورة: المواثبة. ويقال انتظر حتى تسكن هذه الثورة وهي الهيج.. والعرب تقول: أثرت البعير أثيره إثارة فثار يثور وتثور تثوراً إذا كان باركاً وبعثه أحد فانبعث، وأثار التراب بقوائمه إثارة: بعثه[٦] وعلى ذلك فلفظ (الثورة) يعني: الهياج والانقلاب، والتغيير، والوثوب، والانتشار، والغضب، والانبعاث.

وفي المعجم (ثورة) هاج وانتشر فهو ثائر، وثار به الناس: وثبوا عليه، ومنه (أثاره) هيجه ونشره[٧].

*الثورة في الأصلين الشريفين:

وقد ورد لفظ الثورة في القرآن الكريم في أكثر من موضع بعدة معاني منها قوله تعالى عن بقرة بني إسرائيل: " لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الحَرْثَ"(٨) أي لا تقلبها بالحرث اللازم والذي يغير وجه الأرض(٩) وقوله تعالى عن الأمم السابقة: "كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا"(١٠) أي غيروا وجه الأرض بكثرة عمارتهم لها.

وفي الحديث الشريف ورد استعمال واستخدام هذا اللفظ، ومن ذلك قوله- صلى الله عليه وسلم-: "أثيروا القرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين"(١١) وفي حديث آخر له- صلى الله عليه وسلم-: "من أراد العلم فليثور القرآن"(١٢) ومعنى تثوير القرآن قراءته.ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعاينة(١٣).

وفي صحاح السنة ومسانديها الشهيرة نجد مصطلح (الثورة) حيث يقول الصحابي الجليل (اللجلاج): "بينما نحن في السوق إذ مرت امرأة تحمل صبياً فثار الناس وثرت معهم، فانتهيت إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- وهو يقول: من أبو هذا؟ فسكتت...." (١٤). ومن ذلك حديث "جاء رجل من أهل نجد ثائر الرأس يسأله عن الإسلام"(١٥) أي منتشر شعر الرأس قائمه.

وهكذا نرى أن لفظ الثورة قد ورد في الأصلين الشريفين القرآن الكريم والسنة المطهرة بمعنى التغير أو التغير والاختلاف في الآراء ووجهات النظر.

*ألفاظ الثورة:

هناك ألفاظ كثيرة تدل على معنى الثورة، وإن لم يذكر اللفظ صراحة ولكنها تؤدي نفس المعنى، ومن هذه الألفاظ: الانقلاب، الإثارة، الهياج، التغيير، الوثوب، الانتشار، الانبعاث، الفتنة. وهو مصطلح يستعمل كثيراً في مصادرنا الإسلامية ويراد

به– كثيراً– الثورة. ولفظ "الملحمة" وهو يدل على التلاحم في الصراع والقتال خاصة إذا كان القتال في معركة ما. وكذلك لفظ " الخروج " وهو كثير الاستعمال في أدبنا العربي، ومصادرنا التاريخية؛ بل إن هناك فرقة سميت "بالخوارج "(١٦) نسبة إلي خروجهم وثوراتهم المستمرة.

وكذلك لفظ " النهضة أو المناهضة " كلها بمعني الوثوب، والانقضاض والصراع مع الأعداء لإحداث بعض التغيير اللازم لإصلاح المستقبل. ولفظ "نائق"(١٧) يستعمل هذا اللفظ كثيراً ويدل على الخروج و الثورة ضد السلطة القائمة .ولفظ" الانتصار " وهو يعني التغيير والردع والانتقام من البغاة والظلمة والمستبدين(١٨) وهي تدل علي المعني الشامل " الثورة " وفي القرآن الكريم: " والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره علي الله إنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل"(١٩).

*الترجمة وأثرها علي دلالة اللفظ

إن اللجوء إلي الترجمة يعود إلي عوامل كثيرة لعل أبرزها عنصر الحاجة التي تنشأ عن التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ولا شك أن اللغة تتأثر بهذا التطور، فتعبر عن نفسها من خلال منظور معين، وهنا ينبغي توضيح حقيقة هامة وهي أن الكلمات تكتسب دلالتها في كل لغة بعد تجارب كثيرة من الخبرات التاريخية والسياسية التي يمر بها هذا المجتمع فتصبح الكلمة اللغوية في الحديث أو التعبير أو الكتابة ترتبط في ذهن كل فرد من أفراد هذا المجتمع بحيث يفهم اللفظ بسهولة ويسر.

فإذا عربت (ترجمت) الكلمة وخرجت من بيئتها إلي بيئة أخري ذات لغة مختلفة يكون من الضروري الاجتهاد للحصول علي أقرب معني تؤديه الكلمة في

ذهن القارئ لها، كما كانت تؤديه في ذهن صاحب هذه اللغة نفسها أو ما يقرب منه قدر المستطاع، وكلمة الثورة تعني باللغة الإنجليزية [٢٠] Revolution.

وهي كلمة مشتقة من أصل أصيل في اللغة العربية غير أن دلالة تلك الكلمة في عصرنا الحالي قد تطورت لتعكس التأثير بالثقافة الأجنبية الغربية، وبدأت تستعمل في مجال السياسة بصفة خاصة، وأن كان تراثنا الإسلامي، قد استخدم ألفاظاً عديدة تعبر في معناها العام الشامل عن الثورة .

(ب) الثورة في المعني الاصطلاحي:

اكتسبت " الثورة " في معناها الاصطلاحي الغربي مفهوماً معيناً يكاد يختلف عنه في الفكر السياسي الإسلامي، ولما كان عالم السياسة المعاصر تهيمن عليه المفاهيم الغربية، لم يكن في الإمكان تجاهل المصطلح في معناه الغربي ولكن دون أن يعني ذلك أننا سوف نبدأ بمعني اصطلاحي " للثورة " مستقى من المفاهيم الغربية، ثم نطبقه علي المجتمع الإسلامي، ونحكم عليه من خلال هذه المفاهيم. كلا بالعكس، سيكون الجهد الأساسي موجهاً إلي الفكر السياسي الإسلامي، والتنقيب فيه للوصول إلي نظرة إسلامية " للثورة " ثم نعرض لوجهة النظر الغربية، ونحاول الرد عليها فيما يخالف فكرنا السياسي الإسلامي الأصيل.

أما عن المعني الاصطلاحي " للثورة " في الفكر السياسي الإسلامي، فقد اختلف الباحثون حول وضع تعريف دقيق للثورة . فنجد بعض الباحثين يعرفها بقوله: " إنها العلم ، الذي يوضع في الممارسة والتطبيق من أجل تغيير المجتمع تغييراً جذرياً وشاملاً، والانتقال به من مرحلة معينة إلي أخري أكثر تقدماً ، الأمر الذي يتيح للقوي الاجتماعية المتقدمة في هذا المجتمع أن تأخذ بيدها مقاليد الأمور، فتضع الحياة الأكثر ملاءمة وتمكيناً لسعادة الإنسان ورفاهيته، محققة بذلك خطوة علي

درب التقدم الإنساني نحو مثله العليا التي ستظل دائماً وأبداً زاخرة بالجديـد الـذي يغري بالتقدم ويستعصي علي النفاد والتحقيق[٢١].

بينما نجد بعض الباحثين الآخرين يضع للثورة تعريفاً مختلفاً فيعرفها بقولة: " .. الثورة تعني قيام الأغلبية (الساحقة) المقهورة وعلي رأسها المؤسسة الوطنية بتنحيـة الأقلية الحاكمة والمتحكمة في الأغلبية وإحداث التغيير المنشود في العلاقات السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية، القائمة بعد طول المعاناة التي سبق وأحس بها الشعب وتألم منها، ويشترط في هذا التغيير أن يصحبه ضوابط وتـشريعات تحقـق تـسليم السلطة الجديدة للشعب نفسه لضمان استمرار الحرية السياسية والرفاهية الاجتماعية وما يستلزمها من نظم اقتصادية [٢٢].

ويبدو من تحليل هذين التعريفين أنه يوجد اختلاف كبير بينـهما وإن كـان التعريف الثاني أدق وأكثر شمولاً، وذلك لاشتماله علي تحويل السلطة مـن القلـة الحاكمة إلي سلطة الشعب المقهور نفسه.

وإذا كان هذا هو مفهوم الثورة في الفكر السياسي الإسلامي فإنه يجدر بنا أن نقوم بتحديد أبعاد جميع أشكال الأعمال الإيجابية للشعوب المقهورة في سبيل تحقيـق حريتها وأمالها للقضاء علي معاناتها، ونستطع أن نفرق بـين الأسـاليب الثلاثـة: الانتفاضة، الانقلاب، الثورة .

*الحركة أو الانتفاضة:

يعرفها بعض الباحثين بأنها: "الظاهرة التي تحدثها المؤسسة الوطنية باعتبارهـا طليعة الأغلبية المقهورة، وذلك بإحداث حالة من التظاهر أو التمرد أو الاحتجاج أو حتى المقاومة الإيجابية العلنية والعنيفة دون أن نتمكن من إزاحة المؤسـسة الحاكمـة المستغلة القديمة من مراكزها السيادية، وغالباً ما يكون نتيجة امتـصاص الـسلطة

السياسية للقلة الحاكمة للغضب الشعبي بمزيد من القهر والعنف والردع حتى تمل وتضعف وتتخاذل المقاومة الشعبية بفعل مرور الزمن"[٢٣].

وعلي هذا لا يسمي هذا العمل الإيجابي " ثورة " ولكنه حركة أو انتفاضة ، وذلك لأنها لم تغير في أسباب المعاناة شيئاً فضلاً عن أنها لم يقضي عليها تماماً.

*الانقلاب:

هو: تمكن المؤسسة الوطنية المتجاوبة مع الأغلبية المقهورة بحركتها الإيجابية من إحداث التغيير في الهيكل الإداري فقط في مؤسسة الأقلية الحاكمة السابقة وذلك بإزاحة الحكومة السابقة عن مراكزها الإدارية والسياسية والسيادية وتتبوأ المؤسسة الوطنية الجديدة بنفسها أماكن الحكام السابقين دون إحداث أي تغيير في أسلوب الممارسات الاستبدادية السابقة طمعاً في بقائها في هذه المراكز المتميزة .. وبذلك تستمر حالة القهر والمعاناة للأغلبية المحكمة رغم تغير شخصيات الحكام"[٢٤].

وعلي الرغم من أن هذا يعتبر عملاً إيجابياً إلا أنه لا يصل إلي مستوي "الثورة " لأنه لم يحدث التغيير المطلوب، ويرضي غالبية الشعب المقهور.

وعلي ذلك تأتي الحركة أو الانتفاضة كبداية للعمل الإيجابي للشعوب المقهورة ثم يتطور هذا العمل إلي الانقلاب ، ثم تأتي الثورة علي قمة التغيير الذي تطالب به الشعوب المقهورة .

*النظرة الغربية للمجتمعات الإسلامية فيما يتعلق بالثورة:

هذا تعريف الثورة وما يتعلق بها في الفكر السياسي الإسلامي، وإذا أردنا أن نعرض لوجهة نظر الباحثين الغربيين – باختصار – حول تعريف الثورة، نجد أن هذا المصطلح في الفكر الغربي مغاير تماماً في الفكر الشرقي (الإسلامي) [٢٥].

أما عن المفهوم الاصطلاحي الغربي للمعارضة فسوف يستفاد منه في عملية المقارنة التي تساعد علي إبراز ملامح المعني الإسلامي للثورة هذا من ناحية، ومن

ناحية أخري من أجل البحث في وجهة النظر التي تضع التراث الفكري السياسي الإسلامي كخبرة أصيلة استمدت منها النظرية الديمقراطية الحديثة رافداً من أهم روافدها.

تعتمد النظرة التقليدية للمستشرقين وغيرهم من المفكرين الغربيين علي تصوير الحضارة الغربية علي أنها حضارة " الحرية " وتصوير الحضارة العربية الإسلامية علي أنها حضارة " الاستبداد ".

ثم جاءت كثير من الدراسات لتحمل الإسلام والفكر الإسلامي النصيب الأوفى من مسئولية هذا الركود والاستبداد المنسوب لمجتمعات الشرق الإسلامي.

يعرف " فاتيكيوتيس " – أحد الباحثين الغربيين– الثورة بأنها: " عمل سياسي موجه أساساً ضد حالة الوضع القائم، ومؤسس علي أيديولوجية ثورية تحقق تغيراً جذرياً شاملاً للهيكل الاجتماعي القائم"[٢٦].

وإذا كان هذا التعريف مقبولاً لدي الباحثين الذين عرفوا الثورة إلا أنه يؤخذ علي الباحث " فاتيكيوتيس " وغيره من الباحثين الغربيين مثل "برنارد لويس" تحامله الشديد علي الشخصية الإسلامية ووصفها بأنها " شخصية غير ثورية "[٢٧] وبأن الحضارة الإسلامية لم تعرف معني المعارضة " الثورة "، كتكتل جماعي يستطيع أن يقف في مواجهة السلطان "[٢٨].

والحقيقة، أن هذا القول علي إطلاقه مخالف للحقيقة، و مجانب للصواب، ويصطدم بالحقيقة التاريخية، التي تقرر أن الحضارة الإسلامية ، والفكر الإسلامي، قد عرفا المعارضة للسلطان والحاكم . ومن أكبر الأدلة علي ذلك ثورات الخوارج الشيعة المتكررة ضد الخلفاء في مختلف العصور الإسلامية، ولا نتجاوز الحقيقة التاريخية إن قلنا إنه لا يكاد يخلو عصر من العصور الإسلامية من إحدى أساليب المعارضة ومنها – بالطبع– الثورة .

*المقصود بالثورة:

ليس المقصود بكلمة الثورة – Revolution – في هذا البحث ما تحمله الكلمة من معني ومضمون يتفقان ومفاهيمنا المعاصرة أي " أن استخدام هذه الكلمة في هذا البحث – هو استخدام تاريخي بحث، وبعبارة أخرى فإن استخدامنا لكلمة "ثورة " في هذا البحث جاء تمشياً مع استخدام كتاب العصور الوسطي ومؤرخيها في مصر لهذه الكلمة ، بمعني إثارة القلاقل و الاضطرابات(٢٩).

إذ أن تلك الحركات العنيفة الطابع والتي وقعت في العصر الفاطمي الأول (٣٥٨- ٤٢٧ هـ/ ٩٦٩- ١٠٣٥م) من جانب المصريين لم تكن- بالطبع- تهدف إلي فرض مفاهيم جديدة وتغير النظرية السياسية للدولة ، كما أنها لم تكن علي درجة من النضج الثوري بحيث تشكل حركة ذات أهداف واضحة محددة ومرسومة تهدف إلي تغيير الواقع المصري آنذاك، بل هي مجرد حركة أو انتفاضة ثورية بسيطة وساذجة إلي حد كبير ، بل هي مجرد – لو صح التعبير- تجمع عشوائي لبعض الأفراد الذين حاولوا الخروج والاحتجاج علي السلطة الحاكمة في مصر في ذلك الوقت.

ومن ثم يصبح من الخطأ أن نتناول كلمة " ثورة " – في هذا البحث علي ضوء مدلولاتها المعاصرة، فالواقع أن تلك القلاقل،و الاضطرابات التي آثارها بعض عناصر الشعب في العصر الفاطمي الأول (٣٥٨- ٤٢٧ هـ/ ٩٦٩- ١٠٣٥م) كانت حركات تفتقر إلي عنصري الشمول والعمومية – في كثير من الأحوال – وهما من أهم ما يميز الحركات الثورية(٣٠).

إن هذه الثورات هي مجرد فتن وانتفاضات أكثر منها ثورات حقيقية، وأنها لم تجد من التنظيم والتدعيم ما يكفل لها النجاح، ولم تكن لها دلالة إقليمية تحتوي علي بذور وحدة وطنية معارضة للخليفة الفاطمي في مصر.

*أنواع الثورات:

تعددت أساليب المعارضة في الفكر الإسلامي، فهناك المعارضة الإيجابية: وهي التي تسعي لإحداث التغيير بالقوة، سواء باليد أو اللسان. وهو سلوك إيجابي يعلن فيه المعارض موقف الرفض من قضية ما، وهو ما يسمي في المصطلح الحديث بـــالثورات العنيفة، ويدخل فيها " المقاومة القولية ".

ويمر العمل الثوري بعدة مراحل يمكن إيجازها فيما يلي(٣١):

أولاً: مرحلة شعور الأغلبية المقهورة باستغلال وتحكم واستبداد وظلم الأقلية الحاكمة .

ثانياً: مرحلة تكوين وتجميع المؤسسة الوطنية التي تخطط وتقود وتنظم العمـــل الإيجابي القادر علي أحداث التغيير المنشود.

ثالثاً: العمل الإيجابي الكفيل بإحداث التغيير.

رابعاً: مرحلة النتائج أو الأشكال السياسية والاجتماعية والاقتصادية الجديدة التي أحدثها هذا العمل الثوري .

وهناك – كذلك – المعارضة السلبية: وهي التي تضمر الـــرفض والمعارضـــة للمنكر " أي حادث ما " ولكن دون القيام بأي سلوك إيجابي(٣٢) يعبر عـــن هـــذه المعارضة سواء باليد أو اللسان، وهو ما يسمي حديثاً في مصطلح السياسة " المقاومة البيضاء ".

وقد تعددت أسباب الثورات في مصر الفاطمية – خلال الفتـــرة موضـــوع البحث– فهناك ثورات سياسية " حمراء " وثورات اقتصادية ، ودينيـــة، وثـــورات مجهولة الأسباب، كما وجدت – كذلك – المقاومة البيضاء، ومن أنواعها الامتنـــاع عن التعاون مع الفاطميين ، والمقاومة القولية لهم .

(جـــ) الشخصية المصرية .. والثورة:

من الأشياء التي حيرت الباحثين المحدثين طبيعية الشخصية المصرية من نواحيها المختلفة، أقصد من الناحية الإيجابية والسلبية، ومعالجة المصريين للأحداث المختلفة التي تمر بهم.

وليس المقصود بالشخصية – هنا – هو الإنسان فقط ، بل إن مدلول كلمة "الشخصية" في الدراسات المعاصرة لم يعد مقصوراً علي الإنسان وحده، سواء بالمعني الفردي أم الجماعي بل أطلق أيضا علي البيئة الطبيعية بما فيها من جماد وحياة، ولا غرابة في ذلك(٣٣) فعلم الجغرافيا كما أطلق عليه أحد العلماء " هو فن التعرف علي شخصيات الإقليم ووصفها وتفسيرها(٣٤) وذهب إلي القول بأن شخصية الإقليم كشخصية الفرد تنمو وتتطور وتتدهور.

إذاً لا يخفي علينا أن أثر البيئة الجغرافية كبير علي الإنسان، أو كما يقول الأستاذ " هنري بر Henry berr " المشرف علي صدور الموسوعة التاريخية الكبرى " تطور الإنسانية Evolutionde l'humonite " في تقديمه للمجلد الرابع منها ، وعنوانه " الأرض والتطور البشري " يقول: لا ريب أن أثر البيئة قوي جداً علي الإنسان ، فالجفاف والرطوبة، والرياح ، والضوء ، والحرارة ،بل وكهرباء الجو تستطيع أن تعدل من صفات الكائن الحي تعديلاً دائماً أو مؤقتاً سواء كان هذا الكائن حيواناً أو نباتياً، كما أن الطعام الذي يستهلكه الكائن الحي يؤثر في نموه .. إن البيئة – بلا شك– تركت أثرها القوي في تكوين الإنسان خلقاً وتفنناً "(٣٥).

وإذا كانت البيئة تؤثر في الإنسان بصفة عامة، فالإنسان المصري أكثر تأثرًا من غيره ببيئته ، وذلك للارتباط الشديد بينهما، فلا يخفى علينا أثر الموقع الطبيعي ، والسطح السهل المنبسط علي تكوين الشخصية المصرية، حيث جعلت الروح المصرية تتسم بالبساطة والوضوح.

كذلك نيلها العظيم فمصر علي حد تعبير أبي التاريخ – هيرودوت – "هبـــة النيل"(٣٦) حيث أكسبها نيلها الصبر، وصفات الجهد والكدح والتعاون الجماعي في مواجهة الجفاف.

وأما مناخ مصر وصحرائها فقد اكسب حياة المصريين السياسية طابع الهدوء والاستمرار، والإيحاء إليهم بنوع من الشعور التلقائي بالكفاية، نتيجة الجهد المبذول في الأرض، وكفاية الموارد النسبية بها، فضلاً عن كفاية الحضارة في بلدهم دون حاجة إلي البلاد الخارجية.

وإذا كانت للبيئة المصرية كل هذا الأثر في تشكيل الشخصية المصرية القديمة، فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما هو موقف الإنسان المصري مـــن الثـــورة ؟ أو بصيغة أخرى: كيف أثرت البيئة في شخصية الإنسان المصري القديم تجاه " الثـــورة " ؟؟.

في الحقيقة إن هذه القضية كانت موضع اهتمام الباحثين في مختلف العـــصور، القديمة والحديثة. وسوف نناقش هذه القضية ، ونعرض فيها للآراء المختلفة ونخلص في نهاية هذا المبحث إلي الرأي الصواب في ذلك والذي يـــرجح بالـــدليل التـــاريخي القاطع، الذي يخضع للبحث العلمي الصحيح.

رأي فريق من المؤرخين والعلماء – القدماء والمحدثين– أن المصريين يتـــهمون بالجبن والمذلة ، ورددوا في ذلك عبارات مختلفة منها: ما روي عن الجاحظ: " قـــال الدين أسكن الحرمين، قالت الأمانة وأنا معك، وقال الغنى واليسار أسكن مصر ، قال الذل وأنا معك، وقال السخاء أسكن الشام، قالت الشجاعة وأنا معك "(٣٧)

ومن قائل: " ومن عيوبهم ضعف قلوبهم وقلة ثمارهم، وأهـــل الـــشام أبـــداً يعيبونهم، ويسخرون منهم ، يقولون مطر أهل مصر الندي وطيرهم الحدا، وكلامهم يا سيدي رخو مثل النساء "(٣٨).

ومن الغريب أن أحد المؤرخين المعجبين بمصر، والذي امتدحها في غير موضع من كتابه يقول عن أهل مصر " .. عدم اعتراضهم علي الناس فلا ينكرون عليهم ، ولا يحسدونهم ، ولا يدا فعونهم، بل يسلمون لكل أحد حاله، العالم مشغول بعلمه، والعابد بعبادته، العاصي بمعصيته، وكل ذي صنعة بصنعته، ولا يلتفت أحد إلي أحد ولا يلومه بسبب وقوعه في معصية أو نقيصة"(٣٩).

ومن هؤلاء أيضاً المقريزى أحد كبار كتاب ومؤرخي العصور الوسطي يقول ناقلاً بأسلوب العصر: " قال العقل أنا لاحق بالشام فقالت الفتنة وأنا معك، وقال الخصب أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك، وقال الشقاء أنا لاحق البادية فقالت الصحة وأنا معك. وقال في موضع آخر يصف أخلاق المصريين: " وكذلك أخلاقهم يغلب عليها الدعة والجبن والقنوط وقلة الصبر والحسد والنميمة والكذب والسعي إلي السلطان وذم الناس، وبالجملة فيغلب عليهم الشرور الدنية التي تكون من دناءة الأنفس، كما تورط المقريزي أيضاً – للأسف – في سقطة أشد خطأ وخطيئة حينما قال: " أهل مصر عبيد لمن غلب "(٤٠) .

هذه آراء قدامي المؤرخين في الشخصية المصرية ، وقد رأي بعض المؤرخين – المحدثين – هذا الرأي فقال: " فعلاقة المصريين بحكامهم المسلمين يسودها نوع من الاقتناع النفسي الذي ينبعث من النزعة الدينية ، فلقد كانت دائماً ترحب بالحاكم الأجنبي (٤١) متي كان مسلماً، ومن أجل ذلك لم تجد غضاضة في قبول الطولونيين والإخشيديين والفاطميين وغيرهم "(٤٢).

ومن الباحثين من وصف المصري بالدعة ، وحب السلام والقناعة بالرضا بما يتعاقب عليه من أحوال ، وكراهية العنف(٤٣).

ويبسط أحد العلماء الموقف كله بجميع تناقضاته ومفارقاته فيقول: " إن هذا شعب (مصر) مغلوب علي أمره، وبالتالي فهو ميئوس منه، فإنه بين العجز والسلبية،

غير قابل للثورة ، ولا قادر عليها، شعب غير ثوري ، باختصار ، الإنسان المـــصري بمزيد من الوضوح مخلوق غير ثوري بالطبع أو بالتطبع، بالوراثة أو البيئة ، بالجغرافيا والتاريخ ، فمصر لم تعرف الثورة– في تاريخها علي طول المدى قط – الثورة الشعبية الحقيقية"[٤٤] .

ذلك ما اشتهرت به مصر عند القدماء من المؤرخين ، ومن ساروا علي دربهم من المؤرخين المحدثين، فما مبلغ صحة هذه الشهرة ؟ وما أســـسها؟ وأيـــن الحقيقـــة التاريخية في هذا كله !!! ؟

(د) الثورة ونماذج القيادة في المجتمع المصري:

يعجب المرء إذ يري هذا الوصف للمصريين، والمصري مشهود له بالأصـــالة والحضارة ومشهود له كذلك بما أبداه من مقاومة إيجابية وسلبية لمن تقلبوا عليه مـــن محتلين أو غزاة، وفي الحقيقة إن لكل شعب أسلوبه الخاص في المقاومة، لـــذلك لجـــأ شعب مصر إلي العنف والقوة عندما كان قادراً علي ذلك، ولجأ إلي المقاومة الروحية عندما أعياه استخدام القوة المسلحة، فاتخذ من التمرد علي حاكمة والتـــهكم عليـــه والسخرية منه أسلوباً يعبر عن مقاومته وثورته [٤٥].

ومنذ الفتح الإسلامي لمصر (٢١هـ/ ٦٤١م) قام المصريون بالثورات ضـــد بعض الولاة، عندما كان يمسهم الأمر، ومن هذه الثورات– علي سبيل المثال – مـــا حدث في(١٠٧ هـ/ ٧٢٥م)، عندما ثار الوجه البحري ضد وآلي مصر آنـــذاك الحر بن يوسف بسبب زيادة الخراج [٤٦].

وقد اشترك القبط مع المسلمين في هذه الثورة ، ولكن الحر بن يوسف بـــادر بإرسال الجند إليهم واستطاع أن يقضي علي ثورتهم.

وقد تتابعت ثورات المصريين حتى شملت الوجه القبلي والبحري، ففي ســـنة (١٢١هـ/ ٧٣٨م) وفي خلافة هشام بن عبد الملك ثار أهل الصعيد ضد الـــوالي

حنظلة بن صفوان بسبب زيادة الخراج عليهم، فأرسل حنظلة الجند لقمع الثـورة " فقتلوا من القبط ناساً كثيراً وظفر بهم "[٤٧] وقضي علي ثورتهم .

وفي سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) خرج رجل من سمنود يسمي " يحنس" في ولاية عبد الملك بن مروان بن موسي النصيري . وجمع " يحنس " حوله عدداً كبيراً محـاولاً الثورة علي الوالي والاستقلال بمصر، ولكن عبد الملك بن مروان بعث إليه بـالجيش فهزمه وقضي علي ثورته[٤٨].

ثم ثار القبط في رشيد في نفس السنة (١٣٢ هـ/ ٧٤٩م) وكان علي رأسهم " مينا بن بقيرة " وامتنعوا عن أداء الخراج وسار إليهم عبد الملك بن مروان بنفسه لقمع ثورهم، ولكنه فشل في القضاء عليها. ولم تنته الثورة إلا بعد أن تمكن العباسيون من دخول مصر- بعد قضائهم علي الخلافة الأموية في دمشق ـ فتفاءل القبط خيراً ، وخمدت ثورة أهل رشيد، وكان سبب هذه الثورة زيادة الخراج عليهم.

وبعد أن أصبحت مصر ولاية عباسية (١٣٢هـ /٧٥٠م) لم تنتـه ثـورات المصريين، ففي سنة (١٥٠هـ / ٧٦٧م) في ولاية يزيد بن حاتم تحرك الأقباط وثاروا بمدينة سخا، بسبب زيادة الخراج عليهم، فأمر يزيد بن حاتم القائد نصر بن حبيب المهلبي بالقضاء علي هذه الثورة ، فخرج علي رأس جيش كبير، واستطاع أن يقضي عليهم[٤٩].

وعندما تولي حكم مصر موسي بن مصعب (١٦٧- ١٦٨هـ / ٧٨٣م) وتشدد في جباية الخراج وزاد علي كل فدان ضعف ما كان مقرراً عليـه، وجعـل الخراج علي أهل الأسواق وعلي الدواب ثار عليه أهـل الحـوف الـشرقي[٥٠] ، وتحالفت القبائل العربية القيسية واليمنية لقتال هذا الوالي، ونجحوا في قتله، مما جعل الخليفة المهدي يتهددهم، ولكن القدر كان في صالح الثوار، حيث توفي المهدي قبـل

القضاء علي هذه الثورة . ولنا أن نتصور ضخامة هذه الثورة، وقوة الثوار، الـــذين نجحوا في قتل وآلي مصر موسي بن مصعب وقائده خالد بن يزيد التجيبي.

وفي خلافة هارون الرشيد وعلي أثر عزله لعبد الله بن المسيب وتولية إسحاق بن سليمان ثار أهل الحوف الشرقي، وذلك بسبب زيادة الخراج المقرر علي المزارعين زيادة كبيرة أجحفت بهم، وقتل في هذه الثورة كثير من أهل الحوف الشرقي، ولم تنته ثورتهم إلا بإرسال هارون الرشيد قائده (هر ثمة بن أعين) إلي مصر، وعندما حضر " لقيه أهل الحوف بالطاعة وأذعنوا بأداء الخراج"[٥١] فعزل الرشيد الوالي إسحاق بن سليمان، وانتهت الثورة بالمصالحة بين أهل مصر والخليفة هارون الرشيد.

كذلك ثار المصريون سنة ١٨٦هـ في ولاية الليث بن الفضل حيث كان من عادة الليث أن يجمع الخراج ويتوجه به إلي هارون الرشيد، فخرج عليه أهل الحوف الشرقي وساروا إلي الفسطاط. فخرج إليهم الليث بن الفضل في أربعة آلاف مقاتل، واستخلف علي مصر " عبد الرحمن بن علي بن رباح " اســتخلفه علــي الـصلاة والخراج، ودارت الحرب بين الثوار والليث بن الفضل، الذي هزم في بداية المعركة. ثم حمل علي أهل الحوف حملة كبيرة، وانتصر عليهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً.وعندما عاد الليث إلي مصر، قام أهل الحوف الشرقي بثورة أخرى ، ومنعوا أداء الخراج. مما جعله يذهب إلي الخليفة هارون الرشيد، وشكا له من منع الخراج وثورة أهل الحوف عليه ، وسأله أن يبعث معه جيشاً كبيراً للقضاء علي ثورتهم .ولم يجبه الرشيد إلي طلبه خوفاً من زيادة الثورة وأرسل " محفوظ بن سليمان " إلي مصر. استطاع محفــوظ أن يجمع الخراج من غير ظلم ولا عقاب ، فولاه هارون الرشيد خراج مصر ، ثم عــزل الليث بن الفضل عن مصر وولى مكانه " أحمد بن إسماعيل" سنة ١٨٧ هـ.

أما أهم هذه الثورات فهي ما حدثت في عهد الخليفة المأمون سنة (٢١٦هـ/ ٨٣١م) في ولاية عيسي بن منصور حيث اشتركت جميع طوائف الشعب المـصري

من مسلمين وأقباط في هذه الثورة. تقول الرواية العربية: " انتفضت أسفل الأرض كلها عربها وقبطها في جمادي الأولي سنة ٢١٦ هـ ، وأخرجوا العمال ، وخالفوا الطاعة، وكان ذلك لسوء سيرة العمال فيهم "[٥٢] واشتدت هذه الثورة ، وزاد خطرها ، ولم تنته إلا بخروج المأمون بنفسه لقتالهم واضطر الثوار إلي التسليم .يقول المقريزي: " فحكم فيهم بقتل الرجال، وبيع النساء ، والذرية ، فبيعوا وسبي أكثرهم .. ومن حينئذ ذلت القبط في جميع أرض مصر، ولم يقدر أحد منهم بعد ذلك علي الخروج علي السلطان ، وغلبهم المسلمون علي عامة القرى، فرجعوا من المحاربة إلي المكايدة ، واستعمال المكر والحيلة ، ومكايدة المسلمين وعملوا كُتّاب الخراج "[٥٣] .

وإذا انتقلنا إلي عصر الولاة[٥٤]، نجد أن ثورات المصريين استمرت خلال تلك الفترة ففي العصر الطولوني (٢٥٤- ٢٩٢هـ / ٨٦٨- ٩٠٥م) تطالعنا كتب التاريخ أنه في أوائل عهد أحمد بن طولون خرج عليه " أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا العلوي " المعروف " بغبا الأصغر " في جمادي الأولي سنة(٢٥٥هـ / ٨٦٩م)، ونجح ابن طولون في القضاء علي هذه الثورة . ثم تجددت الثورة مرة أخري، إذ خرج بالصعيد " إبراهيم بن محمد بن يحيى " المعروف " بابن الصوفي العلوي " في ذي العقدة سنة (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، والذي بعث إليه أحمد بن طولون القائد " بهم بن الحسين " والذي نجح في القضاء علي الثورة ، ثم حمل " إبراهيم بن محمد " إلي مصر، وشهر علي جمل ثم اعتقل مدة . وبعدها أظهر توبته فأطلقه أحمد بن طولون وأحسن إليه، وارتحل " إبراهيم بن محمد " إلي المدينة المنورة ومات بها.

وفي سنة(٢٦٠هـ / ٨٧٤ م) خرج بالصعيد أحد أنصار " ابن الصوف العلوي " وهو " أبو الروح سكن "نجحت ثورته في البداية ، ولكن استطاع أحمد بن طولون أن يقضي علي الثورة، وانتهي أمر " أبي الروح سكن " بالقتل.

*النتيجة:

من كل ما سبق نستطيع أن نقرر بكل ثقة أنه لا يخلو عصر من العصور الـــتي مرت بها مصر من قيام ثورة سواء كانت إيجابية (مسلحة) أو سلبية (روحية). تلك هي حقيقة الشخصية المصرية في طابعها الثوري، وهي لا تتفق أبداً مع صفات الذلـــة والاستكانة التي وصفها بها بعض الباحثين، ولعل قـــصر نظـــرهم في فهـــم طبيعيـــة الشخصية المصرية هو الذي دفعهم إلي مثل هذه الأقوال.

وقد ثبت لنا بالأدلة التاريخية التي لا تدع مجالاً للشك، أن المـــصري ثـــوري بطبعه منذ أقدم العصور وحتي الآن. إن الإنسان المصري يثور عندما يتطلب الأمر منه ذلك، وإن كل ما يقال عن خضوعه واستكانته مرفوض تماماً، وافتراء كـــاذب مـــن وضع ودسيسة الاستعمار قديماً وحديثاً، وذلك بقصد تدمير النفسية المصري وتحطيم معنوياتها(٥٥).

ولكن الحقيقة إن الشخصية المصرية تثور عندما يتطلب الأمر منـــها ذلـــك، والشعب المصري لا ينخدع بسهولة ، ولكنه يصبر طويلاً، فإذا ما تطلب الأمر ثورة فإنه لا يتردد في ذلك.

المبحث الثاني

حالة المجتمع المصري قبيل الفتح الفاطمي

قامت الدولة الإخشيدية في مصر (٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٥-٩٦٩م) وتولى الإخشيديون حكم مصر. وقد استمرت ثورات المصريين ضدهم، بالإضافة إلى وقوع كثير من المجاعات في عهدهم بسبب اضطراب الإدارة الداخلية، لذلك تسارعت خطى التدهور إلى الدولة ويمكننا أن نجمل ذلك في عدة أسباب:

أولاً: الأزمات الاقتصادية:

تسارعت خطى الأزمات الاقتصادية إلى الدولة الإخشيدية، وزاد عددها، واشتد الغلاء بمصر، وكانت الدولة تبذل كل الجهود في تخفيف ويلات هذه الأزمات.

ومن أهم هذه الأزمات ما وقع في عام(٣٢٩هـ/ ٩٤١م) حيث غلت الأسعار، واختفت الأقوات من الأسواق، وعز القمح(٥٦) وتبع ذلك وباء شديد.

وفي عام(٣٣٨هـ/ ٩٤٩م) في أيام أنوجور بن الإخشيد وقعت مجاعة عظيمة، فثارت الرعية، ومنعوه من صلاة العشاء في جامع عمرو بن العاص(٥٧).

ثم وقعت مجاعة عظيمة استمرت لمدة سنتين من عام (٣٤١هـ/ ٩٥٣م)، وحتى عام (٣٤٣هـ/٩٥٥م)، وكان سببها كثرة الفئران التي أكلت المحاصيل، وانخفض منسوب النيل، وارتفعت الأسعار، واشتد الغلاء حتى بيع القمح كل ويبتين(٥٨) ونصف (٣٠,٤٢كلغ) بدينار، ومع ذلك لم يوجد. فثارت الرعية وكسروا منبر جامع عمرو بن العاص.

ولم تكن هذه المجاعة هي آخر مجاعات الدولة الإخشيدية، حيث وقعت مجاعة عظيمة استمرت خمس سنين متتابعة منذ عام (٣٥٢هـ، ٩٦٣م)، وكان وراءها

انخفاض مستوى النيل حيث بلغ خمسة عشر ذراعاً وأربعة أصابع، وارتفع السعر ثلاثة أضعاف واختفى القمح، وبيع كل ويبتين بدينار. وفي (٣٥٣هـ/٩٦٤م) زاد الخطر واضطرب الأمن، وعظم الغلاء، ونهبت الضياع والغلات، ودخل الناس جامع عمرو بن العاص، ومات رجل وامرأة من الزحام، ولم تصل الجمعة[٥٩] يومئذ.

واستمرت هذه المجاعة حتى عام(٣٥٧ هـ / ٩٦٨م) ، ومما زاد الموقف اضطرابًا موت كافور الإخشيدي واختلاف الجند والأمراء؛ ومن ثم وقعت الفتنة الداخلية في البلاد فنهبت الأسواق ، وارتفعت الأسعار ، وبيع القمح بدينار ، واشتد الغلاء، وفشا الموت في الناس حتى عجزوا عن تكفينهم ومواراتهم[٦٠]. ونتيجة لاضطراب أحوال البلاد لم يحج من مصر سوي عدد قليل من الناس.

ونستطيع القول أن سلسلة المجاعات الطويلة هذه عجلت بسقوط الدولة الإخشيدية[٦١] كما تركت أثارها علي العمران ، ويكفي للدلالة علي ذلك أن عدد القرى أصبح في عام (٣٤٥ هـ/٩٥٦م) خمسًا وتسعين وثلاثمائة وألفين قرية، بعد أن كان عددها في العصر الأموي أكثر من عشرة آلاف قرية.

ثانيًا: ثورات المصريين:

هذا، ولم تكن المجاعات وحدها هي التي عجلت بسقوط الدولة الإخشيدية بل نستطيع القول: إن ثورات المصريين كان لها دور– غير مباشر– في سقوط الدولة الإخشيدية (٣٥٨هـ/٩٦٩م) . حيث قام المصريون بثورات كثيرة ضد الأمراء الإخشيديين. ومن هذه الثورات: ما قام به أحد العلويين في(٣٣٠هـ/٩٤٢م) ويدعى ابن السراج ،حيث انتهز فرصة خروج الإخشيد لمحاربة القرامطة لاسترجاع الشام وخلو الفسطاط من الجند الإخشيديين فقام بثورة وأعلن الاستقلال بمصر . ولكن محاولته باءت الفشل، وفر إلي إفريقية .

قامت ثورة أخري في عام(٣٣٥ هـــ/٩٤٧م) بقيـــادة رجـــل يـــسمي "غليون"منتهزًا فرصة خروج كافور الإخشيدي و أنوجور للشام، فحاول الاستقلال بمصر. استمرت هذه الحركة حتى عام(٣٣٦هـــ/ ٩٨٤م)، ثم قُضي عليها. وكان من نتائج هذه الثورة: أن شغلت الحكومة بهذه الثورة واضطربت الأمـــور في تلـــك السنة حتى لم يستطع أحد من المصريين الذهاب إلي الحج فيها(٦٢). وخـــرج علـــى الإخشيديين كذلك أحد أفراد قبائل بني سليم ويدعي" محمد بن أحمد الـــسلمي" في سنة (٣٥٢هـــ/٩٦٣م) ، محاولا تقويض دعائم الدولة الإخشيدية. ولكن محاولتـــه باءت بالفشل وانتهي مصيره بالاعتقال ، ثم عُفي عنه بعد ذلك(٦٣).

كذلك حدث في سنة (٣٥٥هـــ/٩٦٦م) أن خرج بنو سليم ،وقاموا بقتـــل كثير من الحجاج ونهبوا أموالهم وأمتعتهم.كان معظم هؤلاء الناس من أهـــل الثغـــور والشام ومصر ،وهربوا بأموالهم وأهليهم خوفًا من هجوم الروم عليهم قاصدين مكة للحج. فخرج عليهم بنو سليم، ومات من الناس في البرية مالا يحصى ولم يـــسلم إلا القليل(٦٤) .ولم يستطع الإخشيديون القضاء عليهم.

ومن الجدير بالذكر أن ثورات المصريين لم تكن بسبب خروج أحد الأشخاص علي الولاة والأمراء فحسب؛ بل كان المصريون يثـــورون إذا ازداد نفـــوذ أهـــل الذمة(٦٥) في مصر . ومن ذلك ما حدث في عهد الأمير محمد بن طغج الإخشيد سنة (٣٢٦ هـــ/٩٣٨م). عندما أذن للقبط بتجديد كنيسة أبي شـــنودة فـــأفتي بعـــض الفقهاء بأحقية القبط في ذلك؛ بينما أنكر فريق أخر من الفقهاء . فثـــار المـــسلمون وأرادوا إشعال النيران في منازل الفقهاء الذين رأوا أحقية القبط في تجديد الكنيـــسة وتعميرها ، وأرادوا قتلهم ، كما أحاطوا بالكنيسة. مما اضطر الإخشيد إلي التـــدخل لتهدئة الأمور فبعث بجنده لصرف المتظاهرين،فرموهم بالحجارة. فأرسل الإخـــشيد

الفقيه أبا بكر بن الحداد مع أحد المهندسين فأقرا بقاءها دون تعمير[٦٦] وذلك خوفاً من ثورة المصريين المسلمين.

هذه نماذج من ثورات المصريين ضد الإخشيديين ، والتي عجلت – بلا شـــك – بسقوط الدولة الإخشيدية .

ثالثا: الحروب الخارجية:

من العوامل الهامة كذلك التي مهدت الطريق للفاطميين لفتح مصر ، الأخطار الخارجية التي واجهت الدولة الإخشيدية . حيث قامت بمحاربة القرامطـــة برئاســـة الحسن بن الأعصم القرمطي في بلاد الشام ، وخاضت كثيرًا مـــن الحـــروب ضـــد الحمدانيين والنوبيين والبيزنطيين ، حيث وقعت بينهم عدة حروب أهمها في ســـنوات ٣٣٩ هـــ/٣٤٤ هـــ و٣٤٥ هـــ[٦٧] . ومما لا شك فيه أن هذه الحروب جميعهـــا بددت الكثير من موارد الدولة ، حيث كانت الدولة الإخشيدية تحمل إلي القرامطـــة في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار كما يقول المقريزي[٦٨].

رابعًا: الأطماع الفاطمية في مصر:

أما أخر هذه العوامل التي عجلت بسقوط الدولة الإخشيدية فهـــي أطمـــاع الفاطميين في مصر. حيث بدأت هذه الأطماع مبكرّة جدًا، وذلك منذ قيام الدولـــة الفاطمية في المغرب علي يد عبيد الله المهدي. حيث قام بإرســـال جيوشـــه في ســـنة ٣٠١هـــ – أي بعد مبايعته بالخلافة الفاطمية بأربع سنوات فقط – إلي مصر بقيـــادة حباسة بن يوسف ، ووصلت هذه الحملة إلي برقة ولكنها باءت بالفشل لوصـــول الإمدادات من الخلافة العباسية بقيادة مؤنس الخادم للدفاع عن مصر . ولكن ظلت مصر ُحلمًا يراود أطماع الفاطميين[٦٩].

تجددت أطماع الفاطميين في فتح مصر سنة ٣٠٦هـ حيث جهز الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي حملة عسكرية كبري ، وأسند القيادة فيها لابنه أبي القاسم وكان هدفها الاستيلاء علي مصر،وصلت طلائع الجيش الفاطمي إلي مدينة الإسكندرية واستولت عليها بالفعل ثم تقدم الجيش الفاطمي إلي الفيوم.

وهنا هبت القوات المصرية إلي جانب الأمراء الإخشيدية وحضر مؤنس الخادم من مقر الخلافة العباسية ،واستطاع الانتصار علي الفاطميين للمرة الثانية. وخرج القواد ووجوه أهل مصر مرحبين بعودته منتصرًا، وأطلق عليه الخلفية المقتدر بالله العباسي لقب المُظفر.

توقفت حملات الفاطميين علي مصر – مؤقتًا– في زمن الخليفة القائم بأمر الله؛ الذي ولي الخلافة الفاطمية بعد وفاة عبيد الله المهدي .وذلك بسبب تمرد قبائل البربر . مع ذلك لم يغفل الفاطميون عن خطتهم في فتح مصر ، حيث تحرك الجيش الفاطمي في عام(٣٢٤ هـ/٩٣٦م). ووصل إلى مدينة الإسكندرية ، ولم يتجاوزها وانتهت الحملة بالفشل وعادت إلي المغرب.

يرجع بعض المؤرخين المحدثين(٧٠) سبب فشل هذه الحملة إلي انتشار مرض الطاعون بين أفراد الجيش الفاطمي؛ وإلي تمرد قبائل البربر بعد موت عبيد الله المهدي . والذي اضطر الخليفة القائم بأمر الله أن يخوض الحرب ضدهم . ولكن الخطر زاد بقيام ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي الذي اشتهر بلقب "صاحب الحمار" وزاد أمره في بلاد المغرب، وكاد أن ينجح في ثورته ويقضي علي الخلافة الفاطمية نهائيًا ؛ولولا وصول المدد من قبائل البربر الجنوبية لمساعدة الفاطميين لنجح في ذلك. وانتهت حركة أبي زيد بالقبض عليه(٧١)، ومات متأثرًا بجراحة في ١٧ المحرم(٣٣٥ هـ/٩٤٧م) في خلافة المنصور بالله الفاطمي .

وعندما آلت الخلافة للمعز لدين الله الفاطمي عمل علي توطيد نفوذ الفاطميين في بلاد المغرب واتخذ سياسة جديدة تجاه مصر. يصف المؤرخون المعز الفاطمي بأنـــه كثير الذكاء والنجابة، قوي العزيمة يواجه الصعاب دونما خوف أو وجل، ويقـــف في عزم وثبات في وجه الثورات. كما كان في نفس الوقت رحب الصدر، طيب القلب، كثير الحلم، يتقن عدة لغات كاللاتينية، واليونانية،و السودانية[٧٢] واستطاع أن يعيد الهدوء والسكون إلى البلاد، ويقضي علي الثورات في بلاد المغرب. وكان يجمع معه زعماء قبائل البربر فيطلعهم علي حاله وكافة شئونه. وكان دائمًا يحثهم علي النظـــام والتكاتف في نصرة الدين والدولة حتى ينشر السلام في ربوع بلاده، وكان يبين لهم أنه مشغول بشئون المشرق(مصر) "بقدر ما هو مشغول بشئون المغرب.

وهكذا نرى أن المعز لدين الله مهد بلاد المغرب وسيطر عليها، حيث وصلت جيوش القائد جوهر الصقلي إلى ساحل المحيط الأطلسي، ليعلن بذلك سيطرة مـــولاه المعز لدين الله على هذه الأمـــاكن. وبـــدأ المعـــز لـــدين الله يتطلـــع إلى المـــشرق "مصر"،مستغلاً الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة الإخشيدية؛ من ثـــورات داخلية، وحروب خارجية، ومجاعات وأوبئة. كذلك استطاع المعز لدين الله أن يهيـــأ الرأي العام المصري لتقبل الفتح الفاطمي، وعمل على نشر المذهب الشيعي[٧٣] في مصر على يد أعوانه، بل إن رسل المعز لدين الله وردت إلى كافور الإخشيدي يدعونه إلى الدخول في طاعته، فلاطفهم كافور[٧٤] ولم يعط أي رد حاسم. واستطاع دعـــاة الفاطميين أن يأخذوا البيعة للمعز لدين الله من كثير من وجوه القوم، ورؤساء الجند الإخشيديين من شتى الطوائف .

ومن الأدلة التي تثبت نفوذ الفاطميين، وتدل على انتشار المذهب الـــشيعي في مصر، ما حدث بين الجند السودانيين والأتراك، حيث كانوا يتعصبون ضد المـــذهب الشيعي في أواخر الدولة الإخشيدي، وذلك عندما وقعت الفتنة بين الشيعة وأهـــل

السنة في يوم عاشوراء [٧٥] سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م في الفسطاط، وكان الجنود يسألون من يقلبونه: مَنْ خالك؟ فإن لم يقل معاوية (ابن أبي سفيان) ضربوه. وطاف أحد المتحمسين من الجنود يصيح في الطرقات: معاوية خال على (ابن أبي طالب) وتبعه العامة في ذلك. ولم تستطع الحكومة الإخشيدية القضاء على هذه الفتنة؛حتى إن أكثر الناس كانوا يصيحون في الطرقات: معاوية خال على !! [٧٦].

بل حدث ما هو أكثر من ذلك، حيث وقف شيخان من عامة الناس على باب جامع عمرو بن العاص في كل يوم جمعة ينادیان في وجوه الناس" معاوية خالي وخال أمير المؤمنين، وكاتب الوحي، ورديف رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكانا يصيحان في وجه أبي جعفر مسلم الحسيني معاوية خال على .

وحدث في عام (٣٥٣هـ/٩٦٣م) أن أُخذ رجل من كبار الشيعة فعذب وضرب ضربًا مبرحًا حتى مات تحت وطأة العذاب في السجن، وحمل ليلا ودفن لئلا يشعر به العامة. فمضى جمع من الناس السنيين لينبشوا قبره، وأرسلت الحكومة المصرية طائفة من الجند لتمنعهم من ذلك، ونشب القتال بين الجند الإخشيدية وعامة المصريين، واضطر كافور الإخشيدي ــ للمحافظة على النظام ــ أن يفرض نظام منع التجول ليلا، وأمر بتشديد الحراسة على أبواب المدينة المؤدية إلى الصحراء[٧٧]، ومنع الناس من الخروج إليها إلا لضرورة.

كل هذه الأحداث تدل على محاولات الفاطميين المستمرة لنشر دعوتهم الشيعية في مصر حتى أن أهل السنة ضجوا وصاحوا بمخاطبة الناس بهذه المقولة التي تدل على مذهب أهل السنة، معاوية خال على!!.

وهكذا نستطيع القول: إن الرأي العام المصري تهيأ لاستقبال الفتح الفاطمي، حتى أن المؤرخ ابن تغري بردى يورد في كتابه: إن بعض المصريين طلبوا من المعز

الفاطمي إرسال جنده لفتح مصر وقالوا له: "إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز الدنيا كلها ويعنون بالحجر الأسود الأستاذ كافور الإخشيدي الخصي"

وفي ظـــل هـــذه الظـــروف العـــصيبة تـــوفى كـــافور الإخـــشيدي عـــام (٣٥٧هـــ/٩٦٨م)، واضطربت الحالة السياسة في البلاد، وتولى حكم البلاد أبـــو الفوارس أحمد، وكان ما زال صغيرًا في السن ، وتولى الوصاية عليـــه جعفـــر بـــن الفرات،حيث قضى على كثير من الموظفين، وصادر أملاكهم. وكان من بين هـــؤلاء يعقوب بن كلس الذي فر من مصر، واتصل بالمعز الفاطمي في بلاد المغرب، وحثـــه على النهوض بفتح مصر.

جهز المعز لدين الله قائده المظفر جوهر الصقلي لفتح مصر، حيث مهد الطرق المؤدية إلى مصر، وحفر عليها الآبار لتوفير المياه اللازمة للجنود، وزود الحملة بالعتاد والمؤن والرجال[٧٨] وأنفق على إعداد هذه الجيوش ما يقرب من أربعـــة وعـــشرين مليون دينار، عدا ما حمله ألف جمل من الذهب الذي رُصد للإنفاق على هذه الحملة.

وتظهرضخامة هذه الحملة الفاطمية التي أتت لتفح مصر، مما ورد على لسان المقريزى حيث وصفها بأنها "مثل جمع عرفات كثرة وعددًا"[٧٩]. وصل عدد الجنـــد مائة ألف جندي. وأعطى المعز قائدة جوهر الصقلي من المهابة والاحترام ما يستحقه، حيث ترجل له ومشى بين يديه، وأمر كبار رجال دولته بالترجل بين يدي جـــوهر، وقال على مرأى من الناس بصوت مرتفع يسمعه الجميع: "والله لو خـــرج هـــذا – وأشار إلى جوهر – لفتح مصر. ولتدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب ولتترلن في خرابات ابن طولون، وتبني مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا"[٨٠].

وهكذا ، تشابكت وتضافرت عدة عوامـــل: مجاعـــات وأوبئـــة، وثـــورات المصريين، والأخطار الخارجية، والأطماع الفاطمية. لتؤدي في النهايـــة إلى ســـقوط

الدولة الإخشيدية، وانتقالها من مسرح الأحداث إلى ذاكرة التاريخ، وتبدأ صفحة جديدة من تاريخ مصر، اصطلح المؤرخون على تسميتها باسم: "مصر الفاطمية".

ولكن السؤال الآن: لماذا توجه جوهر الصقلي لفتح مصر؟ وكيف تم الفتح؟ وما هو موقف الشعب المصري من هذا الفتح؟ هذا ما سنتعرف عليه في المبحث القادم.

هوامش التمهيد:

١- للفعل "عارض" معاني كثيرة في مدلولات اللغة فيقال: عارض الشيء معارضة قابله، وعارضت كتابي بكتابه، أي قابلته، وفلان يعارضني أي يباريني وينافسني ويروي ابن حجر أن جبريل- عليه السلام- كان يعارض الرسول القرآن في كل سنة وأنه عارضة في عام وفاته مرتين أي كان يدر اسه جميع ما نزل في القرآن. من المعارضة بمعنى المقابلة والمدارسة، وهذا يعنى أن "المعارضة" هي عملية مشاركة بين طرفين يقومان بها بحيث يقابلان ما عند بعضهما البعض ويتدارسانه. انظر مزيداً من التفصيل في الرازي: (محمد بن أبي بكر عبد القادر)، مختار الصحاح: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٧م، ص ٤٢٤.

وانظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٤١٩.ابن حجر: (احمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، جـ٨، ص ٦٥٩- ٦٧٠، وتعرف المعارضة في اللغة الإنجليزية بـ Opposition وهي اسم مصدر للفعل المتعدي Oppose من معانيه: يقابل، يقارن، يقام، يعارض، ومنها يشتق اللفظ Opposite بمعنى الضد أو النقيض، المتعارض، المعاكس، أنظر:

Oxford inter mediate: oxford university press 1981 first published fifteenth impression. P 188.

٢- سورة آل عمران أية ١٠٤، وفي عموم حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن، انظر ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي ت ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ، جـ١، ص ٣٩٠.

٣- يعتبر مفهوم "الديمقراطية" من أكثر المفاهيم اتساعاً واختلاطاً إلى الحد الذي تكاد فيه الكلمة أن تفقد معناها الأصلي، فتلك الكلمة التي تعني في الأصل اللفظي لها "حكم الشعب" قد أصبح لها على مستوى الاستخدام الاصطلاحي السياسي ما لا يقل عن ثلاثمائة تعريف مختلف وكلمة "ديمقراطية" من أصل لاتيني وتتكون من شقين هما: domo- gratia ومعناها حكم الشعب.انظر مزيداً من التفصيل د/ نيفين عبد الخالق مصطفى: المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي، مكتبة الملك فيصل الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ص ٣٨- ٣٩.

٤- د/ محمد ضياء الدين الريس: النظريات السياسية الإسلامية، دار التراث، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٧٩م، ص ٥٢.

٥- الرازي: مختار الصحاح، ص ٨٩.

٦- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، جـ٦، ص ٥٢١- ٥٢٢.

٧- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص ٨٩.الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود بن عمرت عام ٥٣٨هـ) أساس البلاغة، جـ١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص١٠٣.

٨- سورة البقرة أية ٧١.

٩- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ١، ص ١١٠-١١١.

١٠- سورة الروم، أية ٨.

١١- القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج ت ٦٧١هـ) : الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، ط٢، جـ ١، ص ٤٥٣.

١٢- ابن الأثير (مجد الدين أبي السعادات المبارك بن الجزري ت ٦٠٦هـ) النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمد محمود الطناحي، المكتبة الإسلامية، القاهرة جـ ١، ص ٢٢٩، والقرطبي : المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٤٤٦.

١٣- ابن منظور : لسان العرب، جـ ٦، ص ٥٢٢.

١٤- ابن حنبل : (أحمد بن حنبل الشيباني ت ٢٤١هـ) المسند، تحقيق أحمد شاكر، طبعة قرطبة، حديث(١٥٥٠٤)، وأبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥ هـ) : سنن أبي داود، طبعة دار الفكر، حديث(٤٤٣٥).

١٥- مسلم (مسلم بن الحجاج القشيري ت ٢٦١هـ) صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الإيمان، حديث(١١).

١٦- الخوارج : كل من خرج علي الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمي (خارجياً) وظهر الخوارج علي مسرح الأحداث أثناء الصراع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان بعد موقعة صفين سنة ٣٧ هـ وما ترتب عليها من مسألة التحكيم، ورفض الخوارج له، وخرجوا علي علي بن أبي طالب حتى قاتلهم في النهروان مما جعلهم يضمرون قتله سنة ٤٠ هـ. والخلافة عندهم يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين، وليس بضروري أن يكون الخليفة قرشيًا، ويرون الخروج علي الإمام إذا خالف السنة أو حقاً واجباً، وأهم فرقهم : المحكمة، والأزارقة، والصفرية، والإباضية. البغدادي (عبد القاهر بن طاهر ت ٤٢٩هـ) : الَفرق بين الِفرق، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٢٤ م، ص ٦٥- ٦٦ ابن حزم (علي بن أحمد بن حزم الظاهري ت ٤٥٦هـ) : الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م، جـ٢، ص ١٤٤ – ١٤٥، الشهر ستاني (محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر ت ٥٤٨هـ) الملل والنحل، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢م، جـ ١، ص ٢٥٦- ٢٦٥، أحمد

أمين : فجر الإسلام، مكتبة النهضة المـصرية، القـاهرة، ١٩٦٤ م، ط٩، ص ٢٥٦، وضـحي الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، جـ ٢، ص٣٣٠.

١٧– المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ١، ص ٢٤٥.

١٨– د/ محمد عمارة : الإسلام والثورة، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٨ هـــ– ١٩٨٨م، ط٣، ص ١٠.

١٩– سورة الشوري، الآيات ٣٩– ٤١.

٢٠– كلمة Revolution تعني الخروج علي الحكومة القائمة وذلك بحكومة جديدة، وتعني كـذلك التغيير الشامل " a complete change " وعلي ذلك فلا يوجد اختلاف كبير بـين اللغـة العربية واللغة الأجنبية حول معني الثورة، ويجب علينا أن نستعمل لفظ (الثورة) كمـا هـي في =اللفظ العربي الأكثر اتساعاً والأعم شمولاً.

Oxford inter mediate (dictionary) : op. cit.p. 228.

٢١– د / محمد عمارة : المرجع السابق، ص ١٠.

٢٢– محمد عبد الفتاح أبو الفضل: تأملات في ثورات مصر – علي ضوء قراءات تاريخية – ثـورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤ م، ط١، جـ١، ص ١٠.

٢٣– محمد أبو الفضل : نفس المرجع ، ص ٩.

٢٤– محمد أبو الفضل : نفس المرجع، ص ١٠.

٢٥– د / نيفين عبد الخالق : المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي، ص ٢٠، ٢١.

26- P.(VATIKLOTIS : Revolution in the middle east and other case studies, London, Georgo Allen, unwin, 1972, pp. 2.3.

٢٧– د / نيفين عبد الخالق : المعارضة في الفكر السياسي، ص ٤٣.

٢٨– د/ نيفين عبد الخالق : نفس المرجع، ص ٤٢.

٢٩– د / قاسم عبده قاسم : أهل الذمة في مصر العصور الوسطي – دراسة وثائقيـة – دار المعـارف، القاهرة، ١٩٧٧م، الطبعة الأولي، ص ١٨١.

٣٠– د/ قاسم عبده قاسم : نفس المرجع، ص ١٨٢.

٣١– محمد أبو الفضل : تأملات في ثورات مصر، ص ١١.

٣٢– د/ نيفين عبد الخالق : المعارضة في الفكر السياسي، ص ١٢٨.

٣٣– د / أحمد سيد محمد : الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي، دار المعـارف، القـاهرة، ١٩٩٢م، الطبعة الثانية، ص ٩.

٣٤– د/ جمال حمدان : شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، دار الهلال، القاهرة، لم تذكر سنة الطبع،

جـ١، ص ١٦.

٣٥- د/ أحمد سيد محمد : المرجع السابق، ص ١١.

٣٦- الإصطخري : (ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري): المسالك والممالك، تحقيق د/ محمد جابر عبدالعال مراجعه د/ محمد شفيق غربان، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص ٤. ومن المراجع الحديثة انظر إميل لود فيغ: النيل حياة نهر، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م/ ١٤٢٠هـ، ص ١٤- ١٥، وعن أثر النيل في تكوين مصر انظر د/ جمال حمدان : شخصية مصر، جـ ١، ص ٤٦.

٣٧- أحمد أمين: ضحي الإسلام، جـ ٢، ص ٨٤.

٣٨- المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ت ٣٩٠هـ) : أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم،تحقيق M.J.DOFJE، طبعة ليدن، ١٩٠٩ م، ط ٢، ص ٢٠٥ – ٢٠٦.

٣٩- ابن ظهير : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفي السقا، كامل المهندس، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٠٤.

٤٠- المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الآداب، القاهرة، جـ ١، ص ٧١، ٧٩، ٨٠.

٤١- الإسلام قد سوي بين الجميع فلا يجوز أن نطلق علي الحاكم المسلم أجنبي لأنه غير مصري.

٤٢- د/ أحمد سيد محمد : الشخصية المصرية، ص ٣٣.

٤٣- د/ حسين نصار : الثورات الشعبية في مصر الإسلامية، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٨.

٤٤- د/ جمال حمدان: شخصية مصر، جـ ٢، ص ٥٩٣.

٤٥- د/ أحمد سيد محمد : الشخصية المصرية، ص ٣٤.

٤٦- الخراج : هو ما وضع علي الأرض من حقوق تؤدي عنها، وفيه نص من القرآن الكريم، قال تعالي : أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ " المؤمنون آية ٧٣. وكان خراج مصر في عهد الأمويين والعباسيين يقارب الثلاثة ملايين دينار، ويؤخذ عن الأراضي التي تزرع حبوباً ونخلاً وعنباً وفاكهة، وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج، أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري ت ١٨٢هـ): الخراج، تحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الإصلاح، القاهرة، ص ٥٦ – ٦٩، الماوردي (علي بن محمد البصري ت ٤٥٠هـ) : الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ص ١٥١ – ١٥٥، المقريزي : الخطط، جـ١، ص ٩٨ – ١٠٣، د/ محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة

١٩٧٧ م، ط ٤، ص ١٢١ – ١٢.

٤٧– الكندي : ولاة مصر، ص ١٠٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ١، ص ٢٨١

٤٨– المقريزي: الخطط، جـ ٤، ص ٣٩٥.

٤٩– المقريزي:نفس المصدر،نفس الجزء، ص ٣٩٦، ابن تغري بردي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣.

٥٠– د/ أحمد السيد شحاته : الحوف الشرقي، ص ١٤٨.

٥١– ابن تغري بردي :المصدر السابق،نفس الجزء، ص ٨٧ – ٨٨، ابن إياس : بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ١٣٩.

٥٢– الكندي : ولاة مصر، ص ٢١٤، المقريزي : الخطط، جـ ٢، ص ١٠٠– ١٠٢.

٥٣– المقريزي :نفس المصدر، جـ ١، ص ١٢٨، ابن تغري بردي : النجوم الزاهـرة، جـ ٢، ص ٢١٦.

٥٤– د/ سيدة إسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلي قيام الدولة الطولونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٤٩.

٥٥– د/ جمال حمدان : شخصية مصر، جـ ٢، ص ٥٨٧.

٥٦– د/سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، الهيئة المصرية للكتاب، القـاهرة، ١٩٨٩م، ص٣٤٦. د/ أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية– أسباب ونتائج– دار التضامن، بيروت، ١٩٨٨م، ط١، ص ٢٠.

٥٧– هذا الجامع بمدينة الفسطاط: يقال له تاج الجوامع،الجامع العتيق. شرع عمرو بن العاص في بنـاءه بعد بناء مدينة الفسـطاط، وهو أول جامع بني في مصر، وكان طوله أولاً نحو خمسين ذراعاً في عرض ثلاثين ذراعاً، وحدد قبلته ثمانين من صحابة الرسول صلى الله عليه وسـلم. المقريـزي: الخطـط، جـ٤، ص ٤–٢٠، السيوطي: حسن المحاضرة، جـ٢، ص٢٠٩، د/كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية في مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٤.

٥٨– الويبة : ميكال للحبوب سعته سدس الإردب، وكانت قديمًا تساوي كيلة مصرية بمكاييلنا الحالية. د/ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية، ص٤٢٥.

٥٩– يحيي بن سعيد (ين يحيي الأنطاكي ت ٤٥٨ هـ) : تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، تحقيق د\ عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، لبنان ١٩٩٠م، ص١٢٢، المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق د/ جمال الدين الشيال. د/ مصطفي زيادة، الهيئة العامة للكتـاب، القـاهرة، ١٩٩٩م، ص٣٩.

٦٠– ابن الأثير : الكامل، جـ٨، ص٥٩٠، د/ طه شـرق : المعـز لـدين الله، النهـضة المـصرية،

القاهرة،١٩٦٣م، ص٧٩-٨٠.

٦١- د/ سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٤٦.

٦٢- المقريزي : الخطط جـ٢، ص١٢٨، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، جـ ٤ ، ص٢-٣.

٦٣- ابن الأثير : الكامل، جـ٨، ص٥٧٤، أبو الفدا : المختصر، جـ٢، ص١٥٢.

٦٤- يحيى بن سعيد : تاريخ الأنطاكي، ص١٠٢، ابن الأثير : نفس المصدر،نفس الجزء، ص٥٧٤.

٦٥- أهل الذمة : هم المستوطنون من غير المسلمين في البلاد التي فتحها المسلمون وصاروا حكمها. والذمة في اللغة هي العهد والأمان والضمان والمنتفعون بهذا العهد يسمون أهل الذمة، والمراد بهم أهل الكتاب (التوراة والإنجيل) وهم اليهود والمسيحيون ومن في حكمهم وممن لا كتاب سماوي لهم، وهم: المجوس والسا مرية والصابئة. الماوردي : الأحكام السلطانية، ص١٣٧،١.ابن الأخوة(محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت٧٢٩هـ) معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق د/محمد محمود شعبان، وصديق أحمد عيسي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦، ص٩٢، ابن قيم الجوزية (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ت ٧٥١هـ) أحكام أهل الذمة، تحقيق د/ صبحي صالح، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٣، جـ٢، ص٢٠٨.

٦٦- ابن سعيد : المغرب، جـ١، د/فاطمة مصطفي عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلي نهاية العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، جـ١، ص٤٤٨.

٦٧- المقريزي : الخطط جـ١، ص١٩٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،جـ٣،ص ٣٢٦.

٦٨- اتعاظ الحنفا، جـ١، ص١٨٧.

٦٩- د/ عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين، ص١٤٥.

٧٠- د/ عبد المنعم ماجد : نفس المرجع، ص١٠٢

٧١- ابن الأثير : الكامل، جـ٨، ص٤٢٢-٤٣٨، د/ عارف تامر : القائم والمنصور الفاطميان، أمام ثورة الخوارج، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٣- ١٩٨٣ م، ط١، ص٣٥-٣٦.

٧٢- د/ حسن إبراهيم : المعز لدين الله ص٨٢. د/عارف تامر : المعز لدين الله واضع أسس الوحدة العربية الكبرى، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ص٦٧. إبراهيم جلال : المعز لدين الله الفاطمي وتشييد مدينة القاهرة، سلسلة الألف كتاب، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٣م، ص٢٣.

٧٣- الشيعة: هم الذين شايعوا على بن أبي طالب، وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية إما جليًا وإما خفياً، ولهم فرق كثيرة.الشهر ستاني: الملل والنحل، جـ١، ص١٣١، أحمد أمين: فجر الإسلام،ص٢٦٧، ضحى الإسلام، جـ٣، ص٢١٠ وما بعدها.

٧٤- ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٥٨١، المقريزي: الخطط، جـ٢، ص١٦٥، ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، جـ٤،ص٢.

٧٥- هو: اليوم العاشر من المحرم واتخذه الشيعة يوم عزاء وحزن على مقتل الحسين بن على في كـربلاء عام ٦٢هـ ، وكثيرًا ما كانت تتعطل فيه الأسواق، ويصيح الرجال بالنياحة والبكاء ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن.المقريزي: الخطط، جـ٢ ص٢٨٩-٣٨٥.

٧٦- المقريزي : نفس المصدر ، جـ٤ ص١٥٥،د/ سيدة كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص٣٣٣.

٧٧- المقريزي: نفس المصدر،نفس الجزء ، ص١٥٦، د/ سيدة كاشف: نفس المرجع، ص٣٣٤.

٧٨- د/ محمد محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٠٠، د/حسن إبراهيم حسن : المعز لدين الله، ص٨٤.

٧٩- المقريزي : اتعاظ الحنفا، جـ١، ص١٠٧.

٨٠- المقريزي: الخطط،جـ٢،ص٢٠٥.

الفصل الأول

الثورات في مصر عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي

المبحث الأول

(الفتح الفاطمي لمصر)

(أ) أحداث الفتح:

تركنا الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١- ٣٦٥هـ/ ٩٥٢- ٩٧٥م)- في المبحث السابق- يودع جيش القائد الفاطمي جوهر الصقلي، ويحثه على سرعة فتح مصر. وبالفعل تحرك جوهر من مدينة القيروان بجيش وصل إلى مائة ألف مقاتل[1] سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م)، وعندما رأي ابن هانئ الأندلسي – شاعر المعز لدين الله- هذا الجيش الضخم نطق لسانه يصف هذا الحشد الضخم بأبيات رائعة فقال:

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع ... وقد راعني يوم من الحشر أروع

غدة كأن الأفق سد بمثله ... فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

فلم أدر إذ ودعت كيف أودع ... ولم أدر إذ شيعت كيف أشيع[2]

وسار هذا الجيش الضخم يصحبه بعض القطع الحربية في طريقها إلى مدينة الإسكندرية، ووصل جيش جوهر الصقلي البري إلى مدينة برقة ومنها سار إلى الإسكندرية، ولم يجد مقاومة تذكر فدخلها بسهولة، وأعلن سيطرته عليها.

وعندما وردت إلى الفسطاط أخبار استيلاء جوهر الصقلي على الإسكندرية حدث اضطراب وجزع شديد بين الرعية، نظراً لحالة الضعف الذي باتت تعانيه البلاد. ومع ذلك يطالعنا المقريزي أن أهل مصر اجتمعوا على مقاومة جوهر ولكن

هذا الموقف لم يطل، حيث عادوا إلى المراسلة بالصلح وتشاورت القيادة المصرية برئاسة الوزير جعفر بن الفرات، والقاضي أبو طاهر الذهلي وغيرهم .واستقر الرأي– أخيراً– على إرسال وفد منهم إلى القائد جوهر الصقلي لطلب الأمان على أرواح المصريين وأملاكهم، وذهب الوفد الذي "لم يتأخر عن تشييعه قائد، ولا كاتب، ولا عالم، ولا شاهد، ولا تاجر[٣] " وفي هذا دلالة على أن جميع طوائف الشعب المصري كانت موافقة على هذا الصلح، وأنه تم بناءاً على رأيهم ومشورتهم. وبالفعل؛ وصل الوفد المصري إلى القائد جوهر، واستقرت المباحثات على إعطاء المصريين كتاب أمان، فيه عدة مبادئ تكفل الأمن والحرية المذهبية للمصريين.

وهكذا؛ أصبحت الفسطاط مجهزة لاستقبال القائد جوهر الصقلي، الذي تحرك من مدينة برقة في موكب حافل بين يديه أحمال المال التي جاء بها من المغرب، ودخل الفسطاط. و بذلك استطاع جوهر أن يحقق الحلم الذي رواد الخلفاء الفاطميين منذ أن وطئت أقدامهم أرض المغرب، ذلك الأمل الذي بذل في سبيله المهدي، وابنه القائم، الكثير من المال والرجال، إلا إنهما فشلا في تحقيقه، وأتمه المعز لدين الله؛الذي فرح فرحاً شديداً حين جاءته البشرى بهذا الفتح العظيم وأخذ الشعراء يهنئون بهذا النصر، فقال شاعره ابن هانئ الأندلسي:

يقول: بنو العباس هل فتحت مصر   فقل لبني العباس قد قضى الأمر
وقد جاوز الإسكندرية جوهر   تطالعه البشرى ويقدمه النصر[٤]

(ب) أعمال جوهر الصقلي في مصر:

بعد دخول القائد جوهر مدينة الفسطاط، شرع في القيام بأعمال كثيرة تدل على أن الفاطميين أرادوا أن يتخذوا من مصر مركزاً لخلافة جديدة، يتوسعون منها إلى بقية العالم الإسلامي، محاولين نشر التشيع في مصر.

*تأسيس القاهرة:

ارتبط بناء المدن في الإسلام بالفتح[٥] فغالباً بعد أن يتم فتح جديد للبلاد، يعقبه اتخاذ عاصمة جديدة لهم، تظهر فيها شعائرهم، ولكي يتركوا الحرية الكاملة لأهالي البلاد المفتوحة ليقوموا بأعمالهم في حرية تامة.هذا ما فكر فيه القائد جوهر بعد دخوله الفسطاط، حيث بات المصريون في الأمان الذي أعطاه لهم فلما أصبحوا وحضروا لتهنئته وجدوه قد وضع أساس العاصمة الجديدة، حيث أراد جوهر الصقلي اتخاذ قاعدة جديدة للحكم، تحمل طابع الفاطميين، وتتميز– في الوقت نفسه– عما سبقها من قصبات الحكم. لذا حرص القائد الفاطمي ليلة وصوله الفسطاط على وضع حجر أساس المدينة الجديدة، وكأنه كان ينفذ رغبة من رغبات سيده المعز لدين الله، حين ودعه في القيروان بقوله: "والله لو خرج هذا لفتح مصر، ولتدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب، ولتترلن في خرابات ابن طولون، وتبني مدينة تسمى القاهرة، تقهر الدنيا[٦]".

ولكن السؤال الآن: ما الغرض الذي من أجله بنيت المدينة الجديدة؟ أو بصيغة أوضح، لماذا قام جوهر الصقلي ببناء مدينة القاهرة؟؟

في الحقيقة تعددت الأسباب التي من أجلها قام القائد جوهر ببناء المدينة الجديدة، ويمكننا أن نرجع هذه الأسباب– مع الإيجاز الشديد– للآتي:

أولاً: يعزو المقريزي[٧] سبب بناء القاهرة بهذه السرعة، وإحاطتها بسور ضخم من الطوب اللبن إلى خوف الفاطميين من هجوم القرامطة المرتقب، خاصة بعد حرمانهم من ضريبة المال التي كانت تؤديها مصر لهم في عصر كافور الإخشيدي، والتي وصلت إلى ثلاثمائة ألف دينار[٨].

ثانياً: كان جوهر يعلم أن مصر من أهم ولايات الدولة العباسية، وأن العباسيين لن يتركوا مصر تخرج من حوزتهم، ولابد أنهم يجهزون جيشاً لأخذها[٩].

ثالثاً: مخاوف جوهر من خطر الروم الذين زاد نفوذهم في بلاد الشام، وكانوا يحاولون إعادة سيطرتهم على ولاياتهم المفقودة– مـــصر– وإذا تـــذكرنا أن جـــوهر الصقلي قد ذكر في الأمان الذي أعطاه للمصريين أنه جاء إلى بلادهم لمحاربة الـــروم، عرفنا أن بناءه القاهرة جاء أمراً طبيعياً لرد هذا العدوان المتوقع.

رابعاً: خوف جوهر من ثورات المصريين، خاصة بعد نزول الجنود المغاربة إلى مصر حيث كانوا يعيثون فيها فساداً، وكثيراً ما وقعت المـــصادمات بينـــهم وبـــين المصريين، فأراد جوهر أن يبني مدينة جديدة لجنده، حتى لا يثير شعور المصريين فكان منادي جوهر "ينادي كل عيشة لا يبيتن أحد في المدينة من المغاربـــة"(١٠) وفي نفـــس الوقت يقوم بنشر المذهب الشيعي في مصر، بعيداً عن معارضة المصريين.

إذا عرفنا سبب بناء القاهرة، فالسؤال الآن: لماذا سميت بهذا الاسم؟ ولم تسم بأي اسم آخر؟؟

في الحقيقة إن بناء المدن الإسلامية يكتنفه بعض الغموض، وذلـــك لاخـــتلاط الحقيقة بالأسطورة، وفي بناء – القاهرة– نواجه نفس الحيرة، وذلك يرجع إلى تعـــدد الروايات التاريخية التي تحدثت عن بناء المدينة، ويمكننا إيجاز هذه الآراء فيما يلي:

الرأي الأول: ذكر بعض المؤرخين(١١) أن سبب تسمية المدينة بالقاهرة يرجع إلى قصة الغراب الذي وقف على الأسلاك ذات الأجراس فجعلها تدق مؤذنة لعمال البناء بوضع أحجار الأساس، بينما كان المنجمون يرقبون السماء ينتظرون ظهور نجم سعيد ليبدأ البناء. وأحسب أن هذه القصة من خيال الكُتّاب والمؤرخين الذين كانوا يعرفون شغف الفاطميين بالنجوم والتنجيم. وهذه الأسطورة تخدم أعداء الفـــاطميين أكثر مما تخدم الدولة الفتية التي بنت القاهرة عاصمة جديدة لها.

وهناك رأي ثاني: ينسب القاهرة إلى مدينة فرعونيـــة قديمـــة اسمهـــا "بكـــا Ebkahi" ثم حرف هذا الاسم إلى قاهرة(١٢) .

الرأي الثالث: يرجع بعض المؤرخين تسمية القاهرة إلى أنه كان بقصور الفاطميين قبة تسمى القاهرة، فسميت على اسمها العاصمة الجديدة للبلاد.وقيل إنها سميت في البداية بالمنصورية؛ نسبة إلى المنصور والد المعز لدين الله الفاطمي.ثم تغير اسمها إلى القاهرة. والمؤرخ ابن تغري بردي – الذي ذكر هذا الرأي– ألقى بظلال من الشك حوله فقال: "(تسميتها المنصورية) هو المتواتر بين الناس والأقوى"[١٣].

وصفوة القول: أن القائد جوهر قد وضع أساس العاصمة الجديدة وأطلق عليها اسم المنصورية – نسبة إلى المنصور والد المعز الفاطمي– وعندما حضر المعز لدين الله إلى مصر أطلق عليها اسمها الجديدة "القاهرة" وذلك لمغزى سياسي وهو: الإعلان بأن هذه العاصمة الجديدة سوف تقهر الأعداء وكل "من شذ عنها ورام مخالفة أميرها"[١٤] لاسيما العباسيين في بغداد. يقول ابن ظهير تعليقاً على الآراء السابقة" والصحيح ما قلناه.

أما إذا حاولنا أن نضع وصفاً سريعاً للمدينة الجديدة– القاهرة– التي وضع أساسها جوهر الصقلي يتضح لنا أنها كانت صغيرة في البداية بلغ "طول كل جانب من جوانبها ألفين ومائتي متر، ومساحة هذا المكان ٣٤٠ فداناً، وكان قصر المعز يشغل منها مساحة مقدارها سبعون فداناً، وكانت حديقة كافور تشغل منها خمسة وثلاثين فداناً، وخمسة وثلاثين فداناً للمكان المخصص لاستعراض الجند، والباقي وقدره مائتا فدان لسكن العسكر" .وكان حول القصر الكبيرة خطة عرفت باسمها، فاختطت جماعة من برقة حارة البرقية، واختط الروم حارتين أحدهما حارة الروم الخارجية، والأخرى حارة الروم الجوانية، ثم تابعت القبائل بناء حارات لهم مثل: حارة الديلم، والباطلية، وكتامة، وغيرها من القبائل[١٥].

وقد أحاطها جوهر الصقلي بسور كبير من الطوب اللبن الضخم. أدرك المقريزي قطعة منه كانت باقية حتى عام (٨٠٣هـ/١٤٠١م) فأعجب ببنائه، وذلك

أن اللبنة الواحدة منه كانت قدر ذراع في ثلث ذراع، وأن عرض جدار السور عدة أذرع وأنه يسع أن يمر به فارسان[١٦]، وكان للسور عدة أبواب: فكـــان في جهتـــه القبلية بابان متلاصقان يقال لهما: باب زويلة، وفي جهته البحرية بابان متباعدان هما: باب الفتوح وباب النصر، وفي جهة الشرقية بابان هما: باب البرقية والباب الجديـــد، وفي جهة الغربية بابان هما: باب القنطرة، وبـــاب ســـعادة[١٧] ثم تم بنـــاء أســـوار أخرى[١٨].

*الجامع الأزهر[١٩]: بعد أن وضع جوهر الصقلي حجـــر أســـاس مدينـــة القاهرة، وضع معه– كذلك– حجر أساس الجامع الأزهر وافتتح للصلاة فيه بـــصفة رسمية في يوم الجمعة ٧ رمضان (٣٦١هـــ/ ٩٧٢م)، وكان الغرض من بنـــاء هـــذا الجامع أداء الشعائر الشيعية فيه. كما كان يعتقد أن المـــصريين ســـوف يتوجهـــون للصلاة فيه، ومن ثم يتأثرون بالمذهب الشيعي. إلا أن المصريين لم يصلوا فيه في البداية يقول المقريزي: "ولم يصل أهل مصر (في الأزهر) وصلوا من الغد في الجامع العتيـــق، وخطب لهم رجل هاشمي"[٢٠].

وسمى هذا المسجد عند إنشائية بجامع القاهرة، وقيل سمي بالجامع الأزهر نسبة إلى القصور الزاهرة الفاطمية، وقيل سمى بذلك نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت المصطفي– صلي الله عليه وسلم– ثم ما لبث الأزهر أن أصبح معهداً ومركزاً للعلـــم والعلماء.

يقول ابن ظهيرة: "وجامعها الأزهر بالخصوص فليس في الـــدنيا الآن– فيمـــا أعلم– له نظير، ولا ينقطع ذكر الله تعالى عنه طرفة عين في ليل ولا نهار، وفيه أروقة لأصناف من الخلق منقطعين لعبادة الله تعالي، والاشتغال بـــالعلوم وتـــلاوة القـــرآن (الكريم) لا يفترون ساعة[٢١]".

على كل حال، بني هذا المسجد ليكون مقراً للعبادة، ولكن ما لبث أن أصبح جامعاً وجامعة للعلوم[٢٢] في مصر في مختلف العصور، وحمى الإسلام واللغة العربية وكافح ضد الاستعمار الغربي – بكافة صوره حتى الوقت الحاضر.

المبحث الثاني

(ثورات المصريين)

يعد الفتح الفاطمي لمصر (٣٥٨هـ/٩٦٩م) بداية صفحة جديدة في تاريخ مصر السياسي حيث أصبحت مصر لأول مرة في تاريخها دار خلافة بعد أن كانت مجرد ولاية تابعة لإحدى العواصم الكبرى (المدينة المنورة، دمشق، بغداد).

وإذا كانت مصر قد شهدت الفاتحين الذين يتبعون عملية الفتح باستنزاف خيراتها ليبعثوا بها إلى القواعد التي جيشت لفتحها الجيوش، فإنها قد شهدت للمرة الأولى فتحًا لا يُرسل خيراتها خارج حدودها، بل يأتي هو بأمواله ليستقر فيها.

وإن كان الفتح الشيعي الفاطمي للمجتمع المصري السني المذهب أمراً فريداً في نوعه، فهو في نفس الوقت ليس فيه شبهة يمكن أن يتعلق بها أولئك الذين يتوهمون فيه دليلاً على سلبية المصريين، وخضوعهم المستمر والأبدي للغزاة الفاتحين ، وذلك لأن الدعاية الشيعية ـ في مصر ـ قد نجحت إلى حد كبير في تهيئة عقول المصريين لتقبل هذا الفتح الشيعي، خاصة إذا علمنا أن الحركات الشيعية كانت تعتمد على الدعاة وسلطان الفكر وغزو العقول قبل أن توجه الجيوش لفتح البلاد.

إذا علمنا ذلك فهل صحيح ما يردده المستشرقون، ومن سار على دربهم من المؤرخين والباحثين العرب، الذين اتهموا المصريين بالجبن والمذلة، يقول ستانلي لينبول عن الفتح الفاطمي لمصر: "إن المصريين لم يقاوموا (الفاطميين) مقاومة تذكر، إذا كان الإجهاد قد أصابهم نتيجة مجاعة أعقبت انتشار الطاعون في البلاد، وكانوا في حاجة إلى قائد كفء، هذا فضلاً عن تمرد الجنود المصريين، وأخيراً كان هناك كثير من المعضدين للخلافة الفاطمية ممن كانوا يعملون في السر وممن كان لهم أثر في مصر"(٢٣).

وما يردده أحد العلماء والمفكرين المصريين حين قال: "لا يستطيع باحث أن يزعم أنه قد حدثت بمصر الفاطمية ثورات شعبية ضد الحكم الفاطمي، ولا أن الشعب قد نظم صفوفه لمقاومة المظالم الاجتماعية "والسبب في رأيه يرجع إلى: "إن كتب التاريخ لا تسعفنا بالمادة التي تؤهلنا للخوض في هذا الحديث، حديث قيام الثورات"(٢٤).

والبحث التاريخي والأمانة العلمية تثبت أن الجنود الإخشيديين وبجانبهم بعض المصريين قد قاوموا الفتح الفاطمي لمصر (٣٥٨هـ/ ٩٦٩م) وإن المصريين قد قاموا بثورات سياسية، واقتصادية، وليس المقصود بالثورة- في هذا البحث- هو الانقلاب المنظم الشامل الذي يهدف إلى تغيير السلطة السياسية في البلاد، بل يشمل كذلك حركات التمرد والعصيان والانتفاضة التي قام بها المصريون ضد الخلافة الفاطمية. وقد تتعددت أشكال هذه الثورات بمعنى أنها قد تأخذ التوجه السياسي أو الاقتصادي أو الديني- مثلاً- ولكن في نفس الوقت قد تشترك هذه العوامل جميعاً لقيام ثورة واحدة.

أولاً: الثورات السياسية:

أشرت سابقاً إلى عهد الأمان الذي أعطاه جوهر الصقلي للمصريين، والذي أعطاهم فيه بعض الوعود البراقة، وإن كان العهد لم يخل- في نفس الوقت- من التهديد: "فلتحمدوا الله على ما أولاكم، وتشكروه على ما حماكم، وتدأبوا فيما يلزمكم، وتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم، العائدة بالسلامة لكم، وبالسعادة عليكم"(٢٥). فهل انخدع المصريون بهذا الأمان الفاطمي؟ وهل استسلموا لهذا الفتح الجديد الذي أصبحت فيه بلادهم؟

في الحقيقة إن المصريين لم ينخدعوا بعهود جواهر الصقلي، بل قامت الانتفاضات وحركات التمرد في أنحاء مصر، وظهر العصيان والمقاومة ضد الفاطميين، وظهر من بين المصريين من وقف إلى جانب الإخشيديين أثناء مقاومتهم للفاطميين.

*المقاومة الإخشيدية:

بعد أن تم للقائد جوهر الصقلي الاستيلاء على الإسكندرية، وأعطى عهد الأمان لأهل مصر، تقدم بجيشه إلى الفسطاط، حيث كان يعتقد أن الطريق أصبح سهلاً ميسوراً . فحدث ما لم يكن متوقعاً، إذ هبت جموع الجند الإخشيدية والكافورية تحت قيادة أحد الثائرين ويدعى "نحرير الشويزاني" وبايعه الجند بالإمارة عليهم لمقاومة الفاطميين، وكان نحرير يطمع في حكم الأشمونين أو يأخذ من الفاطميين إمارة مكة والمدينة ويقيم في الحجاز. ولكن جوهر الصقلي رفض هذا المطلب، فاستعد "نحرير" للمقاومة، فقام بالجيزة وأرسل بعض المراكب إلى منية الصيادين(٢٦)، لحفظها ولمنع عبور جوهر الصقلي إلى الفسطاط.

وعندما بلغت هذه الأنباء القائد جوهر، استصدر فتوى من القاضي أبي طاهر الذهلي بوجوب قتلهم "قال جوهر: ما تقول يا قاض في هذه المسألة؟ فقال ما هي؟ فقال ما تقول فيمن أراد العبور إلى مصر ليمضى إلى الجهاد لقتال الروم فمنع أليس له قتالهم؟ فقال له القاضي: نعم، فقال: وحلال قتلهم؟ فقال نعم"(٢٧) وهكذا برر جوهر الصقلي مجيئه إلى مصر، وأن ذلك بهدف الدفاع عنها ضد الروم، وأنه إذا منع من قتالهم، وجب قتال من يعترض طريقة بموجب فتوى القاضي السني، وبذلك أكسب جوهر الصقلي مجيئه إلى مصر صفة الوجوب لصد أعداء الإسلام من الروم.

وقد حاول الوفد المصري بعد وصوله إلى الفسطاط تهدئة الثورة، وإعادة الإخشيديين والمصريين إلى الطاعة والالتزام بعهد جوهر الصقلي لهم، إلا إنهم فشلوا. ووقف أحد المصريين يوم الجمعة في المسجد قبل الصلاة فقال: أيها الناس قد أظلكم

من أخرب فارس وسبي أهلها، وخرب المغرب.. ألقوا جعفر بن الفرات، فإنه قد شرع في إتلاف بلدكم وسفك دمائكم بمراسلة جوهر الفاطمي "فسمع الناس كلامه ورجعوا عما سألوه من الأمان وقالوا ما بيننا وبين جوهر إلا السيف"[٢٨] معلنين بذلك المقاومة المسلحة.

تحرك القائد جوهر الصقلي بجيشه تجاه الجيزة في شعبان(٣٥٨هـ/٩٦٩م)، وبدأ في قتال القوات الإخشيدية، وتمكن من الاستيلاء على منية الصيادين، ثم توجه إلى منية شلقان واستولى عليها، ثم عبر النيل إلى الفسطاط، وأرسل لاستقبال المراكب الآتية من تنيس ودمياط والوجه البحري، فأخذها جوهر وفرض سيطرته عليها. ثم تولى جعفر بن فلاح قيادة الجيش الفاطمي للقضاء على ثورة الجند الإخشيدية والكافورية، وشد القائد العام جوهر الصقلي من أزره حين قال له: لهذا اليوم أرادك المعز لدين الله. فعبر جعفر وقواده النيل عرياناً في سراويل، ووقع القتال بينهم[٢٩] وبين الإخشيديين والمصريين، وبعد قليل من بداية المعركة، قتل كثير من الإخشيديين، وانهزم الباقون ففروا مع قائدهم "نحرير" – الذي حمل أمواله ومتاعه– إلى بلاد الشام، وطاردت قوات جوهر الصقلي تلك الفلول الإخشيدية في أرض الحوف الشرقي (الشرقية) حتى بلبيس حيث قتل بعضهم، وألقي القبض على الآخرين، فأرسلهم جوهر إلى المعز في المغرب.

وهكذا باءت محاولة الجند الإخشيديين والكافوريين وبجانبهم المصريين بالفشل، ودخل جوهر الصقلي بقواته إلى الفسطاط بعد انتصاره، وأرسل بعض جنده ليتتبع فلول القوات التي فرت ويطاردها عبر الحوف الشرقي، حتى تمكن من القبض عليهم.

*ثورة تبر الإخشيدي:

لم يكد القائد جوهر الصقلي يقضي على مقاومة "نحرير الشوٰيزاني" حتى ثار ضده في شعبان ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م "تبر الإخشيدي" والي البشمور الذي دعا للخليفة

العباسي المطيع لله وكتب اسمه على البنود، وأعلن الثورة ضد جوهر الصقلي، ورفض دفع الضرائب المالية المفروضة عليه، وطلب من أهل البشمور مساعدته في ثورته على أن يوفي عنهم دفع الخراج؛ فانضم إليه خلق كثير من أهالي تلك المنطقة. وعندما علم جوهر الصقلي بذلك أرسل إلى "تبر" بعقد الصلح بينهما، ولكن "تبر" رفض ذلـــك معتمداً على قواته، وانضمام الثائرين إليه، فلم يمهله جوهر فأرســـل إليـــه الجيـــوش الفاطمية عن طريق البر والبحر.

سار "تبر" حتى بلغ صهرجت[٣٠] فنهبها، وعندما وصل هذا الخبر إلى القائـــد جوهر أمر بنهب دوره بمصر، وقبض على أقاربه. وبعد قليل التقت الجيوش الفاطمية مع الثوار، وسرعان ما انتهت المعركة بانتصار الفاطميين، وفر "تبر" إلى تنيس ومنـــها إلى دمياط، ثم ركب البحر المتوسط حتى بلغ سواحل الشام، فنزل في مدينة صـــور. وهناك تمكن القائد جعفر بن فلاح من القبض عليه، وإعادته إلى القائد جوهر الصقلي بمصر، فأدخله القاهرة على فيل وخلفه قرد يصفعه على قفاه، ثم اعتقل فترة ولما اشتد عليه السجن[٣١] جرح نفسه فمات عام(٣٦٠هـــ/ ٩٧٠م).

أثر الثورة على الحياة السياسية:

وهكذا نستطيع القول: إن القائد جوهر الصقلي نجح في القضاء على مقاومة الإخشيديين؛ ونجح– كذلك– في فرض سيطرته على الجزء الأوسط والجنوبي والمنطقة الشمالية من الحوف الشرقي، ودان هذا الجزء بالطاعة للفاطميين. واستطاع جـــوهر تثبيت نفوذه في هذه المنطقة، وذلك بعد تقطيـــع أوصـــال القـــوات الإخـــشيدية والكافورية[٣٢]، وتمزيقها بعد القضاء على "تبر الإخشيدي" وفلول قواته .وكان من نتائجها من جهة أخرى– أن طلب المصريون تجديد الأمان من القائد جوهر الصقلي، وبات الناس على هدوء وطمأنينة، وخرج– بعض المصريين– لاستقبال الفاطميين عند دخولهم الفسطاط.

*ثورة أهل تنيس:

بعد قضاء جوهر الصقلي على فلول المقاومة الإخشيدية والكافورية، وتجديد الأمان للمصريين قام أهل تنيس(٣٦٠هـ/٩٧٠م) بثورة ضد الفاطميين، فطردوا واليهم الفاطمي وأظهروا العصيان، ومنعوا إرسال الخراج إلى العاصمة الجديدة (القاهرة) واستطاع أهل تنيس أن ينتصروا على القوات الفاطمية القليلة الموجودة في المدينة. وعندما علم القائد جوهر خبر هذه الثورة، بعث مجموعة من الجند استطاعوا أن يقضوا على الثورة. ولم يرد القائد جوهر أن يصعد الموقف، واكتفى بتحذير أهل المدينة من العصيان. يقول المقريزي: "ووثب أهل تنيس على واليهم (الفاطمي) وقتلوا جماعة منهم الإمام في القبلة"[٣٣].

ولكن السؤال الآن: لماذا قام أهل تنيس بالثورة؟؟ أو بصيغ أخرى: ما سبب ثورة أهل تنيس؟؟

بالرجوع إلى المصادر التاريخية، وتحليل الأحداث يمكننا القول: إن ثورة أهل تنيس ترجع إلى سببين: أولهما (سياسي): حيث وصل إلى أهل تنيس خبر تقدم جيش القرامطة[٣٤] إلى القاهرة، لطرد الفاطميين منها، وإعادة مصر إلى الخلافة العباسية مرة ثانية. وأما السبب الثاني فهو سبب (اقتصادي): حيث أمر جوهر الصقلي بتغير العملة القديمة، وأمر بسك عملة جديدة تحمل اسم الخليفة المعز لدين الله الفاطمي[٣٥]، وترتب على ذلك التغيير، انهيار اقتصاد أهل تنيس. فإذا علمنا أن مدينة تنيس مدينة صناعية يقوم نشاط سكانها على التجارة، عرفنا أن تغيير العملة قد أضر بأهل تنيس، ومن ثم قامت الثورة.

ويبدو أن أهل الفسطاط قد اشتركوا في الثورة، حيث قام مجموعة من الشباب بتوزيع رقاع (منشورات) تحذر المصريين من التعاون مع الفاطميين، أو اعتناق المذهب

الشيعي وكانت هذه الرقاع (المنشورات) توزع في الجامع العتيق (عمرو بن العاص) في يوم الجمعة.

وعالج جوهر الصقلي هذه الثورة بالحلم، حيث لم يتخذ موقفاً حاسماً ضد الثوار، ولم يزد على أن جمع قادة الثورة ووبخهم. يقول المقريزي: "ووجدت رقاع في الجامع العتيق (عمرو بن العاص) فيها التحذير من جوهر، فجمع الناس ووبخهم فاعتذروا (إليه)" [٣٦]. ولم يكن اعتذار المصريين للقائد جوهر يعني انتهاء ثورتهم أو انتهاء المقاومة، بل هو نوع من المهادنة والفطنة التي اشتهر بها المصريون، ودليلنا على ذلك تجدد الثورة بعد ذلك بقليل.

ففي سنة (٣٦١هـ/ ٩٧١م)تجددت ثورة أهل تنيس، حيث وصل إليهم خبر تقديم جيش القرامطة إلى مدينة الفرما[٣٧]، وبدأ يزحف إلى القاهرة، عاصمة الفاطميين، ووقف المصريون إلى جانب القرامطة، فرفعوا شعار العباسيين، وأخذ جيش القرامطة يتقدم حتى وصل إلى عين شمس وعندما علم جوهر بذلك بدأ في ترتيب الجبهة الداخلية، حيث اعتقل كثيراً من المصريين وقتل أربعة منهم، ثم صلبهم على باب القاهرة، ليكونوا عبرة للثوار، أو لمن يقف إلى جانب القرامطة أعداء الفاطميين. كما أمر جوهر باعتقال الوزير جعفر بن الفرات، حيث نقله من داره بالفسطاط إلى القاهرة، ليكون وسط معسكر الفاطميين.

ولكن لماذا اعتقل جوهر الوزير جعفر بن الفرات– وهو أول من هادن جوهر أثناء فتح مصر(٣٥٨هـ/٩٦٩م)؟ وهو أول من التمس الأمان للمصريين؟ يبدو لي أن هذا الاعتقال يرجع إلى سببين، أولهما: إن الوزير جعفر بن الفرات كانت له مكانة عالية في نفوس المصريين، حيث كان مسموع الكلمة، مطاع الرأي، فإذا أمر المصريين بشيء فعلوه، فخاف الفاطميون من أن يأمرهم بالثورة، فيثوروا في وجه الفاطميين. والسبب الثاني: فهو وجود أخو الوزير[٣٨] جعفر بن الفرات في صفوف

القرامطة؛ لذلك أمر جوهر باعتقال الوزير. على كل حال: ظل الوزير في محبسه حتى انتهى هجوم القرامطة على القاهرة، فخرج من محبسه وعاد إلى منزله بالفسطاط.

وأما أهل تنيس فقد استمرت ثورتهم حتى سنة(٣٦٢هـ/٩٧٣م). وعندما وصلت جيوش القرامطة إلى المدينة، اشترك معهم أهل تنيس في حربهم ضد الفاطميين، وهذا يدل على أن نفوس المصريين وقلوبهم ما زالت مرتبطة بالخلافة العباسية السنية وأن التغيرات التي قام بها القائد جوهر لم تؤثر في المصريين، لذلك عندما سنحت لهم الفرصة ثاروا ضد الفاطميين.

على كل حال: يبدو أن المعركة لم تستمر طويلا، وانتهت بانتصار الفاطميين، وهزيمة أهل تنيس، وفرار القرامطة إلى بلاد الشام.

*النتائج السياسية للثورة:

لقد تمكنت القوات الفاطمية من القضاء على ثورة أهل تنيس، والمرجح عندي أن القوات الفاطمية استمرت في سيرها في تلك المنطقة لتوطيد النفود الفاطمي فيها. ويبدو لي- كذلك- إن الفاطميين أعادوا ترتيب أمور البلاد الإدارية من جديد، حيث نصبوا على هذا الإقليم واليًا فاطمياً هو جبر بن القاسم الكتامي (ت ٣٦٥هـ)- الذي قدم مع الخليفة المعز لدين الله (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م) - فأصبح "جبراً" والياً على تنيس ودمياط. وبهذا يمكن القول: إن الفاطميين تمكنوا – أخيراً- من بسط نفوذهم على الحوف الشرقي كله، واستمر الإقليم الشمالي من الحوف الشرقي إقليماً واحداً يضم تنيس ودمياط.

النتائج الاقتصادية للثورة:

بعد أن تحقق لجوهر الصقلي النصر على القرامطة، والقضاء على ثورة أهل تنيس، قام بإحضار قادة الثورة وفرض عليهم ديات القتلى المغاربة، وطلب منهم مبلغاً كبيراً من المال وصل إلى ٢٠٠,٠٠٠ دينار ولم يكن في استطاعة أهل تنيس

تعويض جوهر الصقلي بكل هذا المبلغ نظراً لسوء الحالة الاقتصادية التي تمر بها البلاد بسبب تغيير العملة. وبعد مباحثات عديدة، ونظراً لخوف جوهر من تجدد الثــورة، استقر الأمر على دفع أهل تنيس مبلغاً من المال وصل إلى ألفى درهم فقط،ثم عقــد الصلح بين الطرفين.

*ثورة الصعيد:

رغم استقرار المنطقة الشمالية للفاطميين، إلا أن جنوب البلاد لم ينعم بالهدوء والاستقرار، حيث ظهرت بعض التمردات والثورات ضد الخلافة الفاطمية، وعلــى الرغم من أنها قليلة، لكنها تثبت أن المصريين لم يستسلموا للفتح الفاطمي بــسهولة. حيث شهد الصعيد حركة تمرد وعصيان ضد القائد الفاطمي جوهر الصقلي.

ويمكننا القول: إن هذه الثورة تعد من أخطر الثورات التي صادفت الفاطميين في الصعيد وإنها كادت أن تودي بسلطان الفاطميين في مصر لو قدر لهــا النجــاح، ويرجع ذلك لعوامل: أولها: أنها قامت في الصعيد بعيداً عن مقر حكم القائد جــوهر في القاهرة، ومما لا شك فيه أن القضاء على هذه الثورة يتطلب كــثيراً مــن المــال والرجال وذلك لطول المسافة وبُعد الصعيد عن القاهرة . وثاني هــذه العوامــل: أن هذه الثورة شارك فيه مجموعة من الثوار الذين نجحوا في تنظيم صفوفهم، وتعاهــدوا على طرد الفاطميين من مصر.

بدأت هذه الثورة(٣٦١هــ/ ٩٧١م) بخروج ثائر من أهل الصعيد يــسمى "عبد العزيز بن إبراهيم الكلابي" – لم تمدنا المصادر التاريخية بالكثير عــن حياتــه– فأعلن الثورة، وطرد الوالي الفاطمي، وأخذ يدعو إلى الدخول في طاعة العباســين، ولبس السواد. واتسعت ثورته، وانضم إليه كثير من أهل الصعيد. ثم نظــم جيــشاً كبيراً من الثوار، واستعد للزحف إلى القاهرة عاصمة الفاطميين، للاستيلاء عليهــا، وإعلان السيادة العباسية فيها.

عندما وصلت أخبار هذه الثورة إلى القائد جوهر الصقلي، أحس بخطورة الموقف، ومن ثم قسم جيشه إلى فرقتين: فرقة برية بقيادة القائد المسمى "أزرق"، وفرقة بحرية عن طريق النيل، وتتكون من أربعين مركبا بقيادة القائد "بشارة النوبي". ويبدو من تقسيم هذا الجيش أن جوهر الصقلي كان يرغب في محاصرة الثوار من جهة البر والبحر (النيل). ويبدو كذلك من توليته للقائد "بشارة النوبي" ـ والذي اعتقد أنه ينسب إلى بلاد النوبة ـ ، أن هدف جوهر الصقلي من ذلك هو معرفة "بشارة" بمسالك وطرق هذه البلاد.

على كل حال: وصلت القوات الفاطمية- البرية والبحرية- إلى الصعيد، وقامت بمحاصرة الثوار، ودارت المعركة بين الفاطميين وبين الثوار، ولكن لم تطل مقاومتهم، حيث نزلت بهم الهزيمة، وتفرق الناس عن الثائر "عبد العزيز بن إبراهيم" ودخلوا في طاعة "بشارة النوبي" الذي وعدهم بالعفو وأعطاهم الأمان باسم القائد جوهر الصقلي. ووقع الثائر "عبد العزيز بن إبراهيم" في الأسر، وسيق إلى القاهرة، مصفداً بالأغلال في قفص حديدي، وطيف به في شوارع المدينة، ثم أعدم بعد ذلك، وسجن بعض أعوانه. يقول المقريزي "وخرج عبد العزيز بن إبراهيم الكلابي بالصعيد، وسود، ودعا لبني العباس فبعث إليه جوهر في البحر أربعين مركباً عليها بشارة النوبي، وأنفذ أزرق في البر على عسكر، فأخذ وأدخل في قفص مغلولا، وطيف به وبمن معه"[٣٩].

الأثر السياسي للثورة:

بقضاء جوهر الصقلي على الثورة، استطاع أن يعيد الهدوء والاستقرار إلى جنوب مصر، ويبدو أن قتل "عبد العزيز بن إبراهيم" الثائر بهذه الطريقة قد قضى على مقاومة أهل الصعيد تماماً، فلم نسمع بعد ذلك عن ثورة في الصعيد طيلة عهد المعز لدين الله الفاطمي .

ثانياً: الثورات الاقتصادية:

يعد إصدار العملة من قبل الدولة من أهم النظم التي تدل على سيادة الدولـــة السياسية والتي استنتها الدول من أجل تنظيم الاقتصاد الوطني. بالإضافة إلى أهميتها كمظهر من مظاهر سلطة الدولة وقوتها، فقد كانت العملة– وما زالت– من وسائل المعاملات التجارية التي يحتاج إليها الناس في تقدير مختلف أنواع السلع[٤٠].

عندما دخل جوهر الصقلي مصر(٣٥٨هـــ/ ٩٦٩م) لم يغـــير العملـــة في البداية، طبقاً لعهد الأمان الذي أعطاه للمصريين، والذي وعدهم فيـــه" بتحـــسين السكة". ولكن القائد جوهر لم يصدق في ذلك الوعد الذي قطعه على نفسه، فبعـــد أن أتم بناء مدينته الجديدة– القاهرة– أمر بضرب عملة جديدة تحمل عقيدتهم الشيعية وأسماء خلفائهم وألقابهم، وتاريخ إصدارها، وكان أول عملة شيعية صدرت في مصر هي الدينار المعزى، الذي نقش عليه في أحد وجهيه دعاء الإمام المعز لتوحيد الأحـــد الصمد، وتحته سطر فيه: "ضرب هذا الدينار بمصر ٣٥٨هـــ" وفي الوجه الآخـــر: لا إله إلا الله محمـــد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون على أفضل الوصيين، ووزير خير المرسلين"[٤١]. يقول المؤرخون:" ثم جدد السَّكة، وصرفها إلى العيار الذي عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة وقطـــع الغش منها"[٤٢].

ثم كثر ضرب الدينار المعزى، حتى أن يعقوب بن كلس لما ولي أمر الخراج من الخليفة المعز لدين الله (٣٤١- ٣٦٥هـــ/٩٥٢-٩٧٥م) رفض جباية الخـــراج إلا بالدينار المعزى، ومن ثم نقصت قيمة الدينار الراضي[٤٣] أكثر من ربع دينار، حيـــث كان صرف الدينار المعزى خمسة عشر درهمًا ونصف[٤٤].كذلك أبطل الفـــاطميون المثاقيل الصغيرة والقطع، مما أضر باقتصاد التجار، وخاصة الصيارفة. ويبـــدو مـــن العملة الجديدة التي أصدرها جوهر الصقلي أنها بداية عصر جديد في مصر، وذلـــك

لأن، هذه العملة ضربت من الذهب الخالص، وهذا يدل على سيادة الذهب في مصر حينئذ.

على كل حال: بعد أن استقرت الأمور للقائد جوهر في مصر، خصص مكاناً محدداً للصيرفه عرف "برحبة الصيارفة"[٤٥]- كان يقع بجوار الجامع العتيق (عمرو بن العاص) بالفسطاط- وكان من مهام المحتسب معاقبة الصيارفة عند وقوع أي خطأ منهم. ومما هو جدير بالذكر: أن القائد جوهر الصقلي بعد دخوله مصر قام بعزل المحتسب السني" أبو جعفر الخراساني" وعين بدلاً منه محتسباً شيعياً يسمي "سليمان بن عزة"، وكان هذا المحتسب يتشدد في طلب الحسبة وفي تنفيذها قوانينها، وخصوصاً على صيارفة الفسطاط، سواء كانوا من أهل السنة أو من أهل الذمة، لأن معظم أعمال الصيارفة كانت في أيديهم.

وقد ألقت وثائق الجنيزة[٤٦] الضوء على عمل الصيارفة- من أهل الذمة- في مصر خلال تلك الفترة، حيث كانوا يقومون في الأصل بدور الوساطة بين الناس ودار الضرب (سك العملة) فيأخذون من الناس العملة الرسمية من الدنانير، لذلك حفلت هذه الوثائق بعبارات مختلفة تدل على هذا الدور، ومنها:" اشتريت دنانير من الصرافة"، و"أرسلت فضة لبيعها عند الصراف" إلى آخر هذه الألفاظ.

ويبدو أن تغير العملة- التي قام بها جوهر- قد أضر بالصيارفة، إذ يقول المقريزي عن جوهر: "فرد الدينار الأبيض[٤٧] إلى ستة دراهم، فتلف وافتقر خلق كثيراً[٤٨]". ولم يقف الصيارفة صامتين أمام هذا التغيير، فقاموا بثورة كبيرة، واعتصموا بالطرقات وأخذوا يرددون بعض الهتافات المعادية للشيعة ومنها عبارة: "معاوية خال على بن أبي طالب" وأحدثوا شغباً كثيراً، مما أثار شعور القائد جوهر، حتى إنه هم- للقضاء على الثورة- بإحراق رحبة الصيارفة.

ويبدو من رد فعل القائد جوهر أن ثورة الصيارفة لم تقتصر على المقاومة القولية فقط، بل تعدتها إلى أعمال الشغب، خاصة بعد اشتراك أهل الفسطاط في هذه الثورة، ونلحظ من الأحداث أن القائد جوهر قد خرج عن سياسته تجاه المصريين حتى أنه هم بإحراق رحبة الصيارفة، ولولا خوفه من أن تمتد النار[٤٩] إلى مسجد عمرو بن العاص فيثير المصريين أكثر، لفعل.

وبعد قليل، انتهت الثورة، وفرض جوهر تعزيرات كثيرة على المصريين السنيين، واشتد في معاملة اليهود، حيث فرض عليهم لبس الغيار[٥٠]، وهذا يثبت اشتراك اليهود في الثورة، ويثبت– كذلك– أن الفاطميين كانوا يترلون عقابهم بكل من اشترك في ثورة ضدهم؛ وينفي ميل الفاطميين إلى اليهود كما يردد ذلك بعض الباحثين المحدثين[٥١].

ويحسن بنا أن نذكر بعض إصلاحات القائد جوهر الإدارية، لنعرف حالة مصر الاقتصادية خلال تلك الفترة، ولنعرف– كذلك– لماذا أصدر جوهر الصقلي عملة (شيعية) جديدة في مصر؟.

بعد الفتح الفاطمي لمصر (٣٥٨هـ/٩٦٩م) حاول القائد جوهر إصلاح الاقتصاد المصري المتدهور منذ عصر الإخشيديين، ولم تكن هذه الإصلاحات تتم بين عشية وضحاها، إذ استغرقت ما يقرب من ثلاث سنوات، جاهد فيها جوهر لمنع الغش، ومعاقبة التجار والطحانين الذين استغلوا حالة البلاد السيئة– محاولين تحقيق الثراء السريع– فقاموا بزيادة الأسعار، فأمر جوهر المحتسب الشيعي سليمان بن عزة المغربي أن يتخذ بعض الإجراءات الوقائية لمواجهة الأسعار. فأمر المحتسب بضرب جماعة من الطاحنين وطيف بهم في الفسطاط، وجمع سماسرة الغلال بمكان واحد، وأمر ألا تباع إلا هناك، وكان لا يخرج قدح قمح إلا ويقف عليه سليمان بن عزة المحتسب.

وفي سنة(٣٦٠هـ/ ٩٧١م) زادت الأزمة الاقتصادية ؛ويرجع ذلك إلى تفشي الأمراض والأوبئة وانتشار مرض الطاعون، الذي أدى إلى وفاة كثير من الناس "حتى عجز الناس عن تكفين الأموات ودفنهم فكان من مات يطرح في النيل"(٥٢). واستمرت هذه المجاعة حتى عام(٣٦١هـ/ ٩٧١م)، فانخفضت الأسعار، وحصل الرخاء بالبلاد، وانتشر الأمن، ووصلت زيادة النيل إلى ١٧ ذراعاً و ٤ أصابع(٥٣)، وفي نفس الوقت زال خطر القرامطة بهزيمتهم، وعودتهم إلى الشام.

وبانتهاء هذه الأزمة الاقتصادية كان الخليفة المعز لدين الله وقائده جوهر، قد وعيا الدرس جيداً، وهو أن الاحتكار التجاري مرتبط بفيضان النيل، وخوف الناس من المجاعة. لذلك منع الخليفة المعز- بشكل قاطع- المناداة اليومية على مقدار زيادة النيل، وبأن لا يكتب بذلك إلا إليه وإلى قائده جوهر "ولما تم (النيل ١٦ ذراعا) أباح النداء"(٥٤)، ويثني المقريزي- المؤرخ الخبير بشئون مصر- على ذكاء المعز الفاطمي، وحكمته في إدارة شئون البلاد بقوله: "فتأمل ما أبدع هذه السياسة ،فإن الناس دائما إذا توقف النيل في أيام زيادته أو زاد قليلا يقلقون، ويحدثون أنفسهم بعدم طلوع النيل فيقبضون أيديهم على الغلال، ويمتنعون من بيعها رجاء ارتفاع السعر، ويجتهد من عنده مال في خزن الغلة إما لطلب السد أو لطلب ادخار قوت عياله، فيحدث الغلاء، فإن زاد الماء على السعر وإلا كان الجدب والقحط، ففي كتمان الزيادة عن العامة أعظم فائدة وأجل عائدة"(٥٥).

مما سبق يمكننا القول: إن القائد جوهر قد نجح في أن يستغل سوء الحالة الاقتصادية التي تمر بها البلاد فقام بإصدار عملة جديدة وذلك لنشر المذهب الشيعي في مصر، خاصة وأن هذه العملة كانت تحمل اسم المعز ولقبه، بالإضافة إلى معاقبة الصيارفة الذين كانوا يكترون الدنانير (ظاهرة الاكتناز) مستغلين سوء الحالة

الاقتصادية التي تمر بها البلاد فعاقبهم جوهر بتغير العملة، فظهرت خسارتهم الفادحة، ومن ثم قامت الثورة.

ثالثاً: الثورات الدينية:

نقصد بالثورات الدينية: تلك الثورات التي قام بها أهل السنة ضد الخلافة الفاطمية أو الاحتجاجية التي قدمها المصريون إلى الخلافة الفاطمية ضد زيادة نفوذ أهل الذمة في مصر. ويدخل ضمنها الاشتباكات التي كانت تحدث بين الطرفين، خاصة إذا علمنا أن الدين كان له– وما زال– أكبر الأثر في نفوس الناس في ذلك الوقت، فسرعان ما تثور ثائرتهم إذا مس عقيدتهم أو شعائرهم شيئاً– ولو بسيطاً– من التغيير.

(أ) ثورات أهل السنة:

بعد أن تم الفتح الفاطمي لمصر (٣٥٨هـ/٩٦٩م) عمل الفاطميون على استمالة المصريين إلى جانبهم، حتى يستطيعوا نشر مذهبهم الشيعي في مصر، ولتوحيد العالم الإسلامي تحت رأيتهم الشيعية. لذلك عندما دخل الفاطميون مصر لم يدخلوها دخول الغزاة المنتقمين بل– على العكس– كان همهم الأكبر، استمالة قلوب المصريين إليهم. حتى إن القائد جوهر الصقلي كرر الأمان الذي أعطاه للمصريين أكثر من مرة[٥٦] بغرض التقرب إليهم .

*موقف أهل السنة من نشر المذهب الشيعي في مصر:

بعد أن استقر القائد جوهر الصقلي في القاهرة– عاصمته الجديدة– لم يف بعهده الذي أعطاه للمصريين، والذي التزم فيه بإطلاق الحرية الدينية لهم في معتقداتهم، بل كان أكبر همه، هو تحويل المصريين إلى المذهب الشيعي. وإحلال التشريع الشيعي محل التشريع السني في كافة شئون الحياة، وإنكار ما خالفه. فأمر جوهر بإزالة السواد شعار العباسيين، ومنع التكبير بعد صلاة الجمعة. وعلى الجملة:

"لم يدع عملا إلا جعل فيه مغربيًا شريكًا لمن فيه"[٥٧] وبذلك أخذت شعائر الشيعة تظهر في مصر .يقول المقريزى: "ولما دخل جوهر القائد بعساكر المعز لدين الله إلى مصر، وبني القاهرة، أظهر مذهب الشيعة، وأذن في جميع المساجد الجامعة وغيرها حي على خير العمل، وأعلن بتفضيل على بن أبي طالب علي غيره، وجهر بالصلاة عليه وعلى الحسن والحسين وفاطمة الزهراء، رضوان الله عليهم"[٥٨]. ويعلق السيوطي على موقف المصريين بقوله: "فشق ذلك على الناس وما استطاعوا له ردا، وصبروا لحكم الله (تعالى)" [٥٩].

ويظهر لنا من عبارة المقريزي، أن القائد جوهر قد حاول نشر المذهب الشيعي في مصر، حيث أمر بالأذان الشيعي[٦٠] في المساجد الجامعة مثل مسجد أحمد بن طولون[٦١]

والذي كانت تسكن بجواره طائفة المغاربة[٦٢]، ومسجد عمرو بن العاص معقل أهل السنة في مصر، بالإضافة للجامع الأزهر الشيعي المنشأ. ولم يكن التغيير في الشعائر الدينية الظاهرة فقط، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فأمر بإحلال التشريع الشيعي محل التشريع السني، فأمر أن تأخذ البنت التركة كلها في حالة انفرادها بالميراث، وأمر في صيام رمضان على إتمام الشهور[٦٣]، وليس على الرؤية، كما يفعل أهل السنة. وأجلس القاضي على بن النعمان في الجامع الأزهر، وأخذ يملئ على الطلاب الفقه الشيعي[٦٤]. وشجع المصريين على دراسة هذا المذهب. في نفس الوقت أخذت أعياد الشيعة تنتشر في مصر، ومن هذه الأعياد: عيد غدير خم[٦٥]، واحتفال يوم عاشوراء، بالإضافة لعيد الفطر، وعيد الأضحى، وغيرها من الأعياد. وجدير بالذكر: أن هذه الأعياد- كان غالبًا- ما يحدث فيها كثيراً من المناوشات والاشتباكات بين المصريين (السنيين) والمغاربة (الشيعة)، حيث كان يحاول كان فريق، أن يظهر شعائره على حساب الفريق الآخر، فكثيرًا ما كانت تقع المصادمات.

ومن ذلك ما وقع يوم عاشوراء سنة(٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)، حيث انصرفت مجموعة من الشيعة، ومعهم بعض فرق الجيش المغربي، وأخذت مشاعر الأسى والحزن تظهر عليهم، واشتد بهم البكاء والنياحة على الحسين بن علي– رضى الله عنه– وقاموا بالاعتداء على المصريين في أسواقهم، وكسروا أواني السقاءين، وسبوا كل من ينفق في هذا اليوم.

لم يقف المصريون صامتين أمام هذه الاعتداءات، بل قاموا بغلق الدكاكين، وتعطلت الأسواق، واتحدت كلمة المصريين السنيين على رد عدوان المغاربة عليهم(٦٦)، ووقعت المصادمات، واشتعلت الثورة، وقتل كثير من المصريين، ولم تنته الثورة إلا بخروج الحسن بن عمار إليهم، فأنهى الثورة بين الطرفين.

*أثر الثورة على الناحية الدينية:

كان لهذه الثورة أثر كبير على حياة المصريين، فقد استاءوا من إظهار الشعائر الشيعية في مصر، فازدادت كراهيتهم للفاطميين، بالإضافة إلى اعتداءات الشيعة (المغاربة) على المصريين، ومن ثم رأى أهل السنة أن يتخذوا لهم عيدًا يظهرون فيه شعائرهم الدينية، فاتخذوا من يوم دخول الرسول– صلي الله عليه وسلم– وأبو بكر الصديق غار ثور– أيام الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة– عيداً لهم، وقالوا إن ذلك اليوم يوافق ٢٣ ذي الحجة(٦٧)وبالغوا في إظهار الزينات والاحتفالات، وأشعلوا النيران– كمظهر من مظاهر الاحتفال المعروفة في ذلك الوقت– ورأت الخلافة الفاطمية عدم منع المصريين من هذه الاحتفالات خوفًا من إثارة غضبهم أو تجدد ثورتهم.

*موقف أهل السنة من نفوذ أهل الذمة:

لقد تسامح أهل السنة في مصر، مع أهل الذمة، حيث ترك المسلمون لأهل الذمة الحرية الدينية، تلك الحرية التي لم "ينعموا بها– قبل ذلك بقرن من الزمان"(٦٨).

فبعد الفتح الإسلامي لمصر على يد القائد عمرو بن العاص(٢١هـ/ ٦٤١م)، تركهم أحراراً على أن يدفعوا الجزية، وكفل لهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، ولم يضع يده على شيء من ممتلكات كنائسهم وكما لم يرتكب عملا من أعمال السلب والنهب. ويقرر أحد المستشرقين ذلك بقوله: "ويظهر أن حالة القبط في الأيام الأولى من حكم المسلمين كانت معتدلة"[٦٩]. كذلك تمتع القبط بالحرية الدينية خلال عصر الولاة وفي الدولتين الطولونية والإخشيدية.

فإذا انتقلنا إلى أهل الذمة في العصر الفاطمي- فترة البحث- يمكننا القول: إن عصر الدولة الفاطمية كان العصر الذهبي لأهل الذمة سواء القبط أو اليهود، فقد تمتعوا خلاله بالهدوء والاستقرار، وشغلوا الكثير من المناصب الإدارية والمالية في عهود الخلفاء الفاطميين.

وأما عن دور أهل الذمة في عهد الخليفة المعز لدين الله (٣٤١- ٣٦٥هـ/ ٩٥٢- ٩٧٥م) فنجد أنه رأى استخدام الذميين من القبط واليهود، والاعتماد عليهم في إدارة البلاد المصرية، وجباية خراجها، لأنهم بعيدون عن التعصب لهذا المذهب أو ذاك[٧٠]. بالإضافة إلى خبرتهم في الأمور المالية والإدارية، وبمرور الوقت، ارتفع شأن أهل الذمة، وتمكنوا من البلاد وصار لهم- في معظم الأحيان- السيادة على المسلمين، مما كان يؤدي- في بعض الأوقات- إلى تذمر المسلمين، وإثارة مشاعرهم.

ومن ذلك ما حدث عندما ظفر القبط بكتاب من المعز لدين الله للبطرك "أنبا أفراهام" السرياني، يخول له بناء كنيسة أبي مرقورة- التي كانت قد هدمت قبل ذلك وصارت شونة للقصب- ؛والكنيسة المعلقة[٧١] بقصر الشمع. كما أطلق المعز الفاطمي للبطرك أموالا من بيت المال مساعدة له في بناء هذه الكنائس، إلا أن

البطرك رد الأموال للخليفة المعز لدين الله، واكتفى بأخذ السجل الذي يبيح له بناء الكنائس.

ولم يمر الأمر بهذه السهولة، إذ ثار عامة المسلمين على هذا البناء، وتعرضـــوا للبطرك "أنبا أفراهام" عند بناءه كنيسة أبي مرقورة، وحالوا بينه وبين إتمام هذا البناء، مما جعل البطرك يتقدم بشكواه للمعز الفاطمي، والذي تولى بنفسه مباشرة البنـــاء، وصحب معه فرقة من الجند كي يقضي على ثورة المصريين، وأتم بنـــاء الكنيـــسة. وانتهز البطرك "أنبا افراهام" هـــذا الموقـــف وقـــام بتجديـــد كافـــة الكنـــائس في الفسطاط(٧٢) التي تحتاج إلى تجديد دون أن يتعرض له أحد من المـــصريين. هـــذا إلى جانب تجديد عدة كنائس في مواضع مختلفة بالإسكندرية، وأنفق البطـــرك في ذلـــك أموالا كثيرة، وهذا التصرف من جانب المعز الفاطمي أدى إلى كراهية أهل الـــسنة للفاطميين والذميين معاً.

وإذا انتقلنا للمعابد اليهودية، فلا نكاد نجد إلا إشارات طفيفـــة في المـــصادر التاريخية تتحدث عنهم، ولعل ذلك يرجع إلى قلة عددهم في مصر بالنـــسبة لعـــدد القبط، الذين كان لهم دور كبير في المجتمع المصري. بالإضافة لطبيعة اليهود المنغلقين على أنفسهم.يحدثنا المقريزي(٧٣) عن كنائس اليهود في مصر حديثا موجزًا. ولكـــن يبدو– لي– أن كنائس اليهود لم تتعرض لسوء، ولم يهدم أو يخرب(٧٤) منـــها شـــيء خلال عضر المعز الفاطمي.

من كل ما سبق يمكننا القول: إن أهل الذمة قد تمتعوا بالحرية التامـــة في أداء شعائرهم، بل إنهم وصلوا إلى مكانة عالية في الدولة الفاطمية– فترة البحث– ويكفي الإشارة إلى أنه لما فتح جوهر الصقلي مصر (٣٥٨هـــ/ ٩٦٩م)، كان يشرف على أمور مصر المالية أحد الأقباط، يسمى "أبو اليمن قزمان بن مينا"– وكان مـــشهورا بالأمانة والثقة– فأبقاه جوهر الصقلي على منصبه. وعندما دخل المعز لدين الله مصر

(٣٦٢هـ/ ٩٧٢م) قرب إليه "قزمان بن مينا"، وكان يأخذ برأيه، ويسمع مشورته[٧٥]. ولم يكن قزمان فقط هو الذي أخذ مكانة عظيمة في البلاد المصرية، بل كان هناك- أيضا- يعقوب بن كلس، الذي ارتفع شأنه، وذاع صيته، حيث عهد إليه المعز لدين الله (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) بولاية الخراج، وجميع الأموال والحسبة[٧٦] والسواحل والأحباس والمواريث وغيرها.

ويكفي دليلا على نفوذ أهل الذمة في العصر الفاطمي- فترة البحث- استعراض قائمة أطباء[٧٧] المعز لدين الله؛ نجد أن معظمهم من أهل الذمة. يقول آدم متز: "إن الخلفاء الفاطميين قد أظهر تسامحًا نعجب له، وإنه لم يكن ينتظر ذلك من قوم لهم مذهبهم الخاص الذي انفردوا به، وخالفوا جمهور المسلمين، وكان أطباء الخلفاء من اليهود الذين لم يحتاجوا إلى تغيير دينهم، ولم يضطرهم أحد إلى ذلك، وقد عظم نفوذ اليهود في بلاط الخليفة المعز إلى حد كبير، فصار لا يعمل شيئا إلا بمعونتهم، وإبداء رأيهم"[٧٨].

(ب) المقاومة القولية: (السلمية)

لم تتوقف مقاومة المصريين للخلافة الفاطمية على الثوارت المسلحة، بل تعددت أشكال المعارضة، فبجانب الثورات المسلحة- السالفة الذكر- كان هناك نوع من المقاومة البيضاء (باللسان أو القول) لجأ المصريون إليها في مقاومتهم، وتشمل كذلك الرسائل التي كان يبعثها المصريون إلى القائد جوهر، كما تشمل النصح للحاكم[٧٩]، والإشارة له بأن يحكم بالعدل بين الرعية، وهذا نوع من أساليب المعارضة خاصة بالمصريين، والتي كانوا يلجأ ون إليها عند اشتداد غضب الحكام، أو عند الخوف من بطشهم الشديد.

ومن هذه المقاومة ما حدث في شهر رمضان ٣٦١هـ/ ٩٧١م، حيث أراد سكان الفسطاط، استفزاز جوهر الصقلي والإعلان عن تمردهم، ورفضهم للخلافة

الشيعة، وذلك بعد مقتل وصلب المصريين الذين اشتركوا في ثورة تنيس– في نفس العام– ففكر المصريون في طريقة جديدة ليعبروا بها عن شعورهم، وغضبهم من ظلم جوهر الصقلي لهم، فأطلقوا امرأة عجوزا تنشد في الطريق بعض الأناشيد المختلفة وتردد: "معاوية خال المؤمنين وخال علي"، وكأنها تثير نفوس الشيعة، فأمر القائد جوهر الصقلي بالقبض على هذه المرأة وحبسها.

ولم تنته الثورة الكلامية بهذا، بل خرج جمهور الناس في شوارع المدينة، وأخذوا يصيحون بصوت مرتفع يسمعه جوهر الصقلي وجنده "معاوية خال المؤمنين وخال علي "فأراد جوهر أن يهدى من ثورة المصريين، فبعث إليهم بخطاب، فيه تحذير ووعيد شديد، يتوعد كل من يشترك في هذه الثورة بالعقوبة الشديدة، والتي قد تصل إلى حد القتل أو الحبس. ومن الجدير بالذكر أن هذا الخطاب قرأ في الجامع العتيق (عمرو بن العاص)، معقل أهل السنة.

ولم يكترث المصريون بهذه التهديدات التي أذاعها القائد جوهر، بل أن الثورة الكلامية– قد تجددت، فأمر جوهر بإطلاق سراح المرأة العجوز من الحبس، وأمر جنوده أن ينادوا في الناس: إننا حبسنا العجوز صيانة لها من الأذى[٨٠].

لم تكن هذه المقاومة القولية ضد القائد جوهر فقط، بل تعدتها إلى النصح والإرشاد للخليفة المعز لدين الله نفسه، فقد حدث في ربيع الآخر ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م أن أذن المعز الفاطمي لجماعة من المصريين بالدخول عليه، فخاطبهم وهو على عرشه، وشدد القول والعتاب والتهديد لهم، فلم يسكت المصريون، وصاح رجل منهم في وجهه بصوت عال: يا أمير المؤمنين قال الله– عز وجل– "وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"[٨١] فقال المعز: صدق الله، كذا قال عز وجل، ونسأل الله التوفيق"[٨٢].

وإذا كان هذا الموقف يدل على سعة صدر المعز لدين الله، واستماعه للنصح، فإنه يدل- في نفس الوقت- على جرأة المصريين، وأنهم لجأوا إلى المقاومة القولية أمام الخليفة الفاطمي نفسه، ولم يسكتوا على الظلم الواقع عليهم.

وإن كان من الصعب تتبع هذا اللون من المقاومة القولية، وذلك لأن المؤرخين لم يهتموا بهذا اللون من المقاومة كثيرًا. وهذه الأمثلة القليلة تكفينا للقول بأن المصريين قد استخدموا هذا السلاح، وبرعوا فيه.

رابعاً: الثورات الطائفية:

نقصد بالثورات الطائفية- هنا- تلك الثورات التي قامت بها بعض فرق الجيش الفاطمي ضد المصريين، وإن كانت هذه الحركات أقرب إلى التمرد والعصيان منها إلى الثورة. ولكن أثرت إدخالها- ضمنًا- تحت الثورات الطائفية لأنها كانت عبارة عن مصادمات بين الجيش الفاطمي والمصريين.

عندما حضر جوهر الصقلي إلى مصر (٣٥٨هـ/ ٩٦٩م) بجيشه الذي يتألف من القبائل المغربية، وأهمها قبائل كتامة، وزويلة وبعض طوائف البربر، والصقالبة. وكانت هذه القبائل عماد الجيش الفاطمي، وقامت على أكتافهم الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، بل أن فتح مصر قد تم على أيديهم، وقد اعتمد عليهم الخلفاء الفاطميون في شئونهم العسكرية وبخاصة قبيلة كتامة التي كانت عصب الدولة الفاطمية وقوتها في مصر[٨٣].

ويبدو- لي- إن المصريين لم يشترك أحد منهم في جيش المعز الفاطمي، ولعل ذلك يرجع إلى خوف المعز لدين الله من ثورات المصريين، أو لاختلاف المذهب بينهم وبين الفاطميين[٨٤]. ومع ذلك- أي مع عدم اشتراك المصريين في الجيش الفاطمي- فكثيرًا ما كانت تقع المصادمات بين الجانبين، تلك المصادمات التي كانت تنتهي غالبا بتدخل السلطة العليا في البلاط لفض الاشتباك، وغالبا ما كان الظلم يقع على

كواهل المصريين لأنهم كانوا لا يملكون سلاحًا يدافعون به عن أنفسهم، فضلا عن قوة المغاربة الضاربة في البلاد المصرية شمالا وجنوبًا.

ومن هذه المصادمات ما وقع في ذي الحجة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م، فبعد هزيمة القرامطة[٨٥] وطردهم خارج حدود القاهرة، شرع الجنود الفاطميون (المغاربة) في الانتقام من المصريين، بسبب تأييد- بعضهم- للغزو القرمطي لمصر، فاستغل المغاربة هذه الفرصة، وقاموا بعمليات السلب والنهب ضد المصريين، خاصة في مدينة الفسطاط، ولم يقف الشعب المصري صامتًا أمام هذه الاعتداءات، حيث ثارت الرعية، ووقع قتال شديد بين المصريين والمغاربة. وعندما علم القائد جوهر الصقلي بذلك، عالج هذه الأحداث بالكياسة والذكاء، حيث بعث قائده "سعادة بن حيان" إلى مكان الثورة، وقدر الخسائر التي لحقت بالمصريين،وعوضهم عنها، ورد إليهم ما نهب منهم[٨٦]، فسكنت الثورة.

وفي سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م بعد القضاء على ثورة أهل تنيس، وتغريم أهلها ألفي درهم، دية لقتلى المغاربة، لم يكتف الجيش الفاطمي بهذه الديات، فقام باقتحام منازل المصريين في الفسطاط وأخرجوا الناس منها، ونقلوا السكان خارج المدينة، ولم يقف الشعب المصري صامتا أمام هذا الهجوم، بل قاموا بثورة عامة، ومظاهرات مختلفة في شوارع المدينة، واستغاثوا بالخليفة المعز لدين الله أن ينقذهم من هذا الظلم الواقع عليهم، وأمام هذه الهتافات وخوفا من غضب الثوار المصريين، أمر المعز لدين الله المغاربة بمغادرة مساكن المصريين وأن يسكنوا ضاحية "عين شمس". وخرج المعز الفاطمي بنفسه لمشاهدة الموضع الذي سوف ينزلون به، وأمر لهم بمال كثير لبناء بيوت لهم، وجعل لهم واليًا وقاضيًا يفصل بينهم في المنازعات. وكان منادي جوهر ينادي في كل عشية "لا يبتن في المدينة أحد من المغاربة"[٨٧].

ولكن المغاربة بدأوا شيئا فشيئا يتجاوزون سور القاهرة، و بدأوا يخالطون المصريين ويشاركوهم السكن في مدينة الفسطاط، ثم حدث بمرور الأيام اختلاط، وتقارب، ولم يؤثر اختلاف المذهب على علاقتهم مادامت العقيدة واحدة. ولكن لا يعني ذلك أن المصادمات قد زالت بين الطرفين، بل سرعان ما كانت تتجدد بين حين وآخر؛ ومن ذلك ما وقع في ربيع الآخر (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) حيث ثار المغاربة في الفسطاط، ونهبوها ونهبوا مقابرها وتعرضوا للناس بالسوء ونهبوا أموالهم وعندما احتج المصريون على ذلك، أمر المعز لدين الله بالقبض علي مثيري الفتن[٨٨]، وحبس بعضهم، حتى هدأت ثائرة المصريين.

ثم تجددت المصادمات مرة أخرى يوم عيد الفطر (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)، حيث حاول أهل السنة إظهار شعائرهم، فقام المغاربة الشيعة بالاعتداء عليهم، وحاولوا منعهم، فقامت الثورة. ولكن سرعان ما انتهت بالقبض على جماعة من المصريين، فضرب بعضهم، وحبس البعض الآخر.

*أثر الثورة على الحياة الاجتماعية:

من كل ما سبق: يتضح لنا أن ثورات المصريين كانت تقوم كرد فعل لاعتداءات المغاربة عليهم، وكثيرًا ما كان يعقب الثورة، إنزال العقاب بالمصريين، فأدى ذلك إلى كراهية المصريين للمغاربة، ويظهر- لي- إن الخلافة الفاطمية على الرغم من أنها كانت تنزل عقابها بالمصريين، إلا أنها- كذلك- كانت ترد هجوم المغاربة عنهم، وتعاقب كل من يخالف أوامرها، وذلك خوفا من إثارة نفوس المصريين.

والحقيقة التاريخية تؤكد لنا أن الخلافة الفاطمية، كانت تعاقب جميع طوائف الشعب- مصريين ومغاربة- إذا خرج أحد منهم على النظام. ومن ذلك ما وقع في عيد النيروز، حيث زاد اللعب بالماء، وزاد وقود النيران، وظهرت السماجات في اللعب، واستمر هذا الوضع ثلاثة أيام، فأمر المعز الفاطمي بالكف عن هذه الألعاب،

وحبس قوم[٨٩]، وطيف بهم على الجمال في شوارع القاهرة، ولم يفرق في العقاب بين المغاربة (الشيعة) والمصريين (أهل السنة وأهل الذمة).

هوامش الفصل الأول:

١- ابن الجوزي: المنتظم، جـ٧، ص ٤٧، ابن ظاهر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٠٣، ابـن ميسر: المنتقى، ص١٥٩.

٢- ديوان ابن هاني، تحقيق زاهد علي، بيروت، ١٣٢٦هـ، ص ٨٦.

٣- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص١٠٣.

٤- ابن هانئ الأندلسي: الديوان، ص ٨٧.

٥- جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عـادل زعيتـر، الهيئـة العامـة للكتـاب، القـاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٥٢١- ٥٢٢، شحاته عيسى: القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٧٢.

٦- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص ٢٠٥.

٧- المقريزي:نفس المصدر ، نفس الجزء، ص ١٧٦.

٨- المقريزي:المصدر السابق ، نفس الجزء، ، ص ١٨٧.

٩- د/ حسن إبراهيم: المعز لدين الله، ص ٢١١.

١٠- المقريزي: الخطط، جـ٣، ص ٢٢٤.

١١- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص ١١٢، ابن ظهير: الفضائل الباهرة، ص ١٨١، د/ جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، جـ١، ص ١٤٣.

١٢- د/ احمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، لم تذكر سـنة الطبع، ص ٢٥٣.

١٣- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ٤٢.

١٤- ابن ظهير: الفضائل الباهرة، ص ١٨٢.

١٥- انظر تفصيل ذلك في: ابن أيبك (أبي بكر بن عبد الله الداوداري ت ٧٦٤هـ): كنز الدرر وجامع الغرز- الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية- تحقيق د/ صلاح الدين المنجـد، لجنـة التـأليف والنشر، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، جـ٦، ص ١٣٩، المقريزي: الخطط، جـ٢، ص ٢٠٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ٤٢، على مبارك، الخطط التوفيقية، جـــ ١ ، ص ٣٨.

١٦- المقريزي: نفس المصدر، نفس الجزء، ص ٢٠٨،

١٧- د/ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، جـ ٣ ، ص٤٢٩.

١٨- بنيت أسوار جديدة بعد سور جوهر الصقلي، منها: ما بناه بدر الجمالي وزير المستنصر بالله (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) ولا زال باب النصر وباب الفتوح موجودين حتى اليوم. ثم قام الوزير بهاء الدين قراقوش وزير صلاح الدين الأيوبي ببناء سور جديد حول القاهرة ، ولا زالت بقايا هذا السور موجودة حتى الآن. المقريزي: الخطط، جـ٢، ص ٢٠٨، د/ عبد الرحمن زكي: قلعة صلاح الدين الأيوبي وما حولها من الآثار، الهيئة العامة للتأليف، القاهرة، =١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص ١٠٥، وبناة القاهرة، ص ١٧-٢٨.

١٩- هو: أول أثر فاطمي في مصر (٣٥٩- ٣٦١هـ/ ٩٧٠-٩٧٢م) وإذا أردنا أن نضع وصفاً سريعاً لهذا الجامع نقول: إنه كان يتوسط المسجد صحن مستطيل الشكل محاط بثلاثة أروقة أكبرها رواق القبلة حيث تجري صفوف البانكات موازية لحائط القبلة، ولا تزال به زخارف فاطمية الطراز حول العقود المدببة، كما يحد تلك العقود أشرطة من الكتابة بالخط الكوفي المزهر، وقد أضيفت للجامع ثلاثة مداخل هي: باب المزينين، وباب الصعايدة، وباب الشوربة، وكلها من عمل الأمير عبد الرحمن كتخدا- كما هو مدون فوق المدخل الرئيسي للجامع- .وليس بالجامع أي مئذنة من العصر الفاطمي، ولكن توجد به ـ حالياً- خمس مآذن، اثنتان من العصر المملوكي إحداهما تنسب للسلطان قايتباي، والأخرى للسلطان الغوري، وثلاث مآذن من العصر التركي العثماني من عصر عبد الرحمن كتخدا. وفي القرن التاسع عشر تمت عدة إصلاحات وترميمات في عهد محمد علي وخلفائه سعيد وإسماعيل وتوفيق. وأما المكتبة فقد أنشئت في عهد عباس حلمي الثاني (١٣١٤هـ/ ١٨٦٩م) المقريزي: الخطط، جـ٤، ص٤٩-٥٥، السيوطي: حسن المحاضرة، جـ٢، ص٢١٩، د/كمال الدين: العمارة الإسلامية في مصر، ص ١٣- ١٥، د/ محمد مرزوق: قصة الفن الإسلامي، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٣٣-١٣٤.

٢٠- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص ١١٦.

٢١- ابن ظهير: الفضائل الباهرة، ص ١٩٠..

٢٢- د/ محمد عبد العليم العدوي: الأزهر في العصر الفاطمي ومكانته العلمية، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، ١٩٧٥م، رسالة دكتوراه، تحت رقم (١١٧١)، ص ٢١٢، ود/ محمد علي عتاقي: الحياة العلمية بمصر في عهد العبيديين (الفاطميين) الأول (٣٨٥- ٤٨٧هـ) كلية اللغة العربية، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، رسالة ماجستير تحت رقم(١٠٧٣)، ص ٢١٠- ٢٤٩.

٢٣- ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ترجمة د/حسن إبراهيم، ود/ على إبراهيم : الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ١١٦.

٢٤- د/ محمد عمارة: عندما أصبحت مصر عربية إسلامية، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٠٦.

٢٥- ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص ٨٥، النويري: نهاية الأرب، جـ٢٨ ، ص ١٢.

٢٦- مدنية الصيادين: من القرى القديمة إحدى قرى مركز إمبابة وتسمى اليوم "ميت النصارى" وهي مشتركة في السكن مع ناحيتي إمبابة ووراق الحضر. محمد بك رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٣، ق٢، جـ٣، ص٦٥.

٢٧- المقريزي: المقفى الكبير، جـ٣، ص٩٥.

٢٨- النويري: نهاية الأرب، جـ٢٨، ص١٢٦.

٢٩- ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٠٣، اليافعي: مرآة الجنان، جـ٢، ص ٣٨٢.

٣٠- صهرجت: من القرى القديمة التابعة لمحافظة الدقهلية بالقرب من ميت غمر، وهي الآن قريتان، صهرجت الصغرى وتتبع مركز أجا، وصهرجت الكبرى وتتبع مركز ميت غمر، محمد بك رمزي: القاموس الجغرافي: جـ٢، ص١٧٣-٢٥٧.

٣١- الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ١٠، ص٣٠، المقريزي: المقفى الكبير، جـ٢، ص٥٨٥.

٣٢- أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم، جـ٢، ص٢٥٧.

٣٣- المقريري: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص١٢٩

٣٤- ابن أيبك: الدرة المضية، جـ٦، ص١٤٣، ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص٤٨-٤٩.

Stanlcy Lanc- Poolc: His tory of Egypt in thc middlc Ages, 4 thc Ed, London, 1925, p 108.

٣٥- النويري: نهاية الأرب، جـ٢٨، ص١٣٢-١٣٣.

٣٦- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص١٢٩.

٣٧- الفرما: مدينة قديمة بين العريش والفسطاط، تقع شرقي تنيس، على ساحل البحر، وعلى يمين القاصد لمصر بينها وبين بحر القلزم (الأحمر) أربعة أيام، وقد اندثرت هذه المدينة، وتعرف آثارها بتل الفرما على بعد ثلاثة كيلو مترات على ساحل البحر المتوسط، وعلى بعد ٢٣ كيلو متر شرقي محطة الطينة الواقعة على السكة الحديد التي بين بور سعيد والإسماعيلية، ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص٢٥٥، محمد بك رمزي: القاموس الجغرافي، ق١، ص٩١.

٣٨- النويري: نفس المصدر، نفس الجزء، ص١٥٠.

٣٩- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص١٣١.

٤٠- د/ صفى على: مدن مصر الصناعية، ص٣٥٨، د/ أمنية الشوربجي: رؤيــة الرحالــة المــسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامــة للكتــاب، القــاهرة، ١٩٩٤م، ص٣٥٤.

٤١- المقريزي:رسالة في النقود الإسلامية، ص١٦٩.

٤٢- ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص٨٥، النويري: نهاية الأرب، جـــــ٢٨، ص١٢، المقريــزي: اتعاظ الحنفا، جـــ١، ص١٠٤.

٤٣- الدينار الراضي: نسبة إلى الخليفة العباسي الراضي بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر بــالله (٣٢٢-٣٢٩هــ/٩٣٣-٩٤٠م) وكان ينقش اسم ابنه أبي الفضل، واسم أبي المنصور بن المتقى بالله بجانب اسمه وقد ظل المصريون يتعاملون أيام جوهر الصقلي بالدينار الراضي، لأنه كان أكثر وزناً وأشد نقاً من الدينار المعزى، ثم حمل المعز الفاطمي الناس على التعامل بدنانيره، وتشدد في ذلك. المقريــزي: رسالة في النقود الإسلامية، ص١٦٩.

٤٤- ذكر المقريزي :إن الدينار المعزي كان بخمسة وعشرين درهمًا ونصف، المقفى الكــبير، جـــــ٣، ص١٠٥.

٤٥- الرحبة: هي الموضع الواسع وجمعها رحاب، ورحبة الصيارفة كانت تقع بجوار عمرو بن العــاص، المقريزي، الخطط، جـــ٣، ص٧٥-٧٦، جـــ٤، ص١٢-١٣.

٤٦- مجموعة وثائق عبارة عن عشرة آلاف وثيقة حفظها اليهــود في معبــدهم بالفــسطاط ومقــبرقم بالبساتين على مقربة من القاهرة لمدة قرون طويلة قبل أن تأخذ طريقها إلى مكتبة جامعة كمــبردج، وغيرها من مكتبات الغرب الأوربي، وهي وثائق ترجع إلى العصور الوسطى: الفاطميــة والأيوبيــة والمملوكة وقليل منها من بداية العصر العثماني ومعظمها يرجع إلى العصرين الفــاطمي والأيــوبي، وتغطى فترة زمنية طويلة تمتد من (٣٥٨-٩٤٥هــ/٩٦٩-١٥٣٨م) أي ما يقرب من ٦٠٠ سنة، Mann: The jews in Egypt and Palestine under the Fatimid caliph volume I, oxford, 1920,p.p107-108.

٤٧- الدينار الأبيض: يقول د/ جمال الدين الشيال: إنه لم يعثر في المراجع على تعريف الدينار الأبــيض، ولم سمي بهذا الاسم، أو في عهد من ضرب، وإنما ورد ذلك للدراهم البيض، وأنها مما ضرب الحجاج بن يوسف. وكان الدينار قليل القيمة جداً، لأنه كان يشتمل على كمية كبيرة من الفضة، مما جعــل القوم يسمونه بالأبيض، وكان هذا الدينار بعشرة دارهم، ومع استخدام الدينار المعزي قلت قيمتــه إلى ستة دراهم. المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـــ١، ص١٢٢، حاشية(٤) ، إغاثة الأمة، ص٨٦-٨٧.

٤٨- المقريزي: المقفى الكبير، جـــ٣، ص١٠٥.

٤٩- المقريزي: الخطط، جـــ٤- ص١٥٦.

٥٠- الغيار: الملابس التي كان يتميز بها أهل الذمة عن المسلمين في العصور الوسطى، وكان غالباً مـــن اللون الأزرق أو الأسود. د/ هويدا عبد العظيم: اليهود في مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الأيوبي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٥١-٢٥٢.

٥١- د/ سيدة كاشف، مصر الإسلامية وأهل الذمة، الهيئـــة العامـــة للكتـــاب، القـــاهرة، ١٩٩٣م، ص١٣٨-١٤٠، د/ نريمان عبد الكريم: معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، الهيئـــة العامـــة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١١٤.

٥٢- ابن الأثير: الكامل، جـ٧/ ص٣٠٩.

٥٣- الدواداري: الدرة المضية، جـ٦، ص١٣٧.

٥٤- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص١٣٨.

٥٥- المقريزي: الخطط، جـ١، ص٩٧-٩٨، اتعاظ الحنفا، جـ١، ص١٣٨.

٥٦- د/ ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص٢٩٤، د/ سرور: الدولة الفاطمية، ص٤٧.

٥٧- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص١١٩.

٥٨- المقريزي: الخطط، جـ٤، ص١٥٦.

٥٩- حسن المحاضرة، جـ٢، ص٥١٩.

٦٠- ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص٣٧٩، أبو الفدا: المختصر، جـ٢، ص١٠٩.

٦١- يعتبر جامع ابن طولون ثالث جامع أنشئ بمصر الإسلامية، وتبلغ مساحته حوالي ستة أفدنة ونصف الفدان، ويتكون المسجد من صحن مربع في الوسط، وفناء مكشوف مساحته حوالي ٩٢ مترا مربعا، وتحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة، وقد بنى المسجد بالطوب الأحمر، وتغطيه طبقة غليظة من الجص بها زخاف جميلة، وتقع المئذنة في الشمال الغربي =للمسجد، وهي متأثرة إلى حد كبير بمئذنـــة مسجد سامراء، ولا يزال الجزء الأوسط من المئذنة يرجع إلى عصر إنشائها، وبه درج من الخـــاطر، ويوجد بالرواق الشرقي جزء من لوحة رخامية تضمنت اسم المنشئ، وتاريخ إنشاء المسجد مكتوبة بالخط الكوفي. المقريزى: الخطط، جـ٤، ص٣٦- ٤١، السيوطي: حـــسن المحاضـــرة، جـــ٢، ص٢١٥، د/ كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية، ص٨- ١٠، د/ محمد مرزوق: قـــصة الفـــن الإسلامي، ص١٣٣.

٦٢- ابن جبير: رحلة ابن جبير، تحقيق د/ محمد زينهم عزب، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٦٠.

٦٣- ابن حيون (القاضي النعمان بن محمد ت ٣٦٣ هــ): دعائم الإسلام وذكـــر الحـــلال والحـــرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، تحقيق: آصف بـــن علـــي فيض، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ط١، ص٢٦٨- ٢٨٦.

٦٤- د/ محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٧٠.

٦٥- غديرخم: واد بين مكة والمدينة، قال عنده الرسول- صلي الله عليه وسلم- بعد عودته من حجة الوداع، وذلك بعد أن اخذ بيد علي بن أبي طالب: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من ولاه، وعاد من عاداه، ويعلق الشيعة اهمية كبرى على هذا الحديث، إذ يعتبرونه بمثابة مبايعة علنية من الرسول- صلى الله عليه وسلم- لعلي بن أبي طالب بالخلافة. أبو حنيفة النعمان بن حيون: دعائم الإسلام، جـ١، ص١٤- ٢٠، المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٢٢ .

٦٦- د/ سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص٤٩.

٦٧- المقريزي: نفس المصدر، جـ٤، ص١٥٦.

٦٨- توماس آرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة، د/ حسن إبراهيم، د/ عبد الحميد عابدين، وإسماعيل النحراوي، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ط٣، ص١٣٣.

٦٩- آرنولد: نفس المرجع، ص١٣٤.

٧٠- د/ ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص٣٥٦.

٧١- الكنيسة المعلقة: تقع في مصر القديمة في خط قصر الشمع، سميت على اسم السيدة العذراء، وهي جليلة القدر عند النصاري. المقريزي: الخطط، جـ٤، ص٤٢٤، كلارك: الآثار القبطية، ص٣٠٥.

٧٢- ابن المقفع (ساويرس توفى أواخر القرن ٤هـ/١٠م): سير الآباء البطاركة أو تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، م٢، ص٩٧، أبو صالح الأرمني: تاريخ كنائس وأديرة مصر، ص٤٦- ٤٧.

٧٣- المقريزي: الخطط، جـ٤، ص٣٤٩- ٣٦١.

٧٤- Monn: The Jews in Egypt. Vol. I. P. 34.

٧٥- يحلو لبعض الباحثين- استنادا للروايات الكنيسة- اقام المعز لدين الله الفاطمي بالميل إلى النصارى واليهود. د/ هويدا عبد العظيم: اليهود في مصر الإسلامية، ص١٠٨، بل إن بعضهم اقم المعز لدين الله بالتنصر، ولبس زى الرهبان، محمد عنان: مصر الإسلامية، ص١٠٦. ولكن الحقيقة التاريخية تثبت أن المعز لدين الله، إن كان أيد النصارى في بناء كنائسهم إلا أنه كان يتدخل ويمنعهم من الاعتداء أو التسلط على المسلمين، وكثيرا ما كان يمنعهم من الاحتفال بأعيادهم. ابن ميسر: المنتقى، ص١٦٦، أما قضية تنصير المعز لدين الله فهي محض افتراء وكذب، ولو صحت هذه الرواية، أو حتى جرت مجرى الإشاعة لكان أول من يتلقفها ليستعملها سلاحا يقضي به على الفاطميين هم العباسيون ولكان من اليسير أن نجدها مدونة في كتب المؤرخين المسلمين، ولكن إجماع المؤرخين على عدم ذكرها دليل قاطع على أنها مفتعلة بأيد مسيحية ومصنوعة- بسوء قصد- داخل

الكنيسة. ثم كيف يعقل إن ينتصر المعز الفاطمي، وهو يدعوا نفسه بإمام المسلمين. والحقيقة أن هذه الأسطورة الكنيسة تنحط إلى أعمق درك من التناقض والبطلان. د/ إبراهيم شعوط: أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ط٥، ص٣٣٣.

٧٦- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٣٢، ابن ميسر المنتقى، ص١٦٣.

٧٧- ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء، ص٥٤٤- ٥٤٥.

٧٨- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريـــدة، لجنـــة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م، جـ١، ص٩٤.

٧٩- د/ حسين نصار: الثورات الشعبية، ص٨٩.

٨٠- المقريزي: الخطط، جـ٤، ص١٥٦.

٨١- سورة يونس: آيات ١٣- ١٤.

٨٢- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٢٢٨.

٨٣- د/ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، جـ٣، ص٤٣٤.

٨٤- د/ حسن إبراهيم: المعز لدين الله، ص١٨٠.

٨٥- ابن الجوزي: المنتظم، جـ٧، ص٦٠-٨٢، ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص٥٠-٥١.

٨٦- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص١٣١.

٨٧- المقريزي: الخطط، جـ٤، ص٢٢٤.

٨٨- المقريزي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص١٤٨.

٨٩- المقريزي: نفس المصدر، نفس الجزء، ص٢١٤- ٢٢٤.

الفصل الثاني

"الثورات في عهد العزيز بالله"

مقدمة:

إذا انتقلنا إلى عصر العزيز بالله نجد أن هناك مميزات عامة امتاز بها هذا العصر حيث كانت فترة حكم العزيز بالله فترة هدوء واستقرار، وهذا شيء قد يكون طبيعياً، فبعد فترة الفتح الفاطمي لمصر (٣٥٨هـ/٩٦٩م)، وما تبعه من ثورات ومنازعات بين الفاطميين (الشيعة) والمصريين (السنيين) أعقب ذلك فترة هدوء نسبي بين الجانبين. ونستطيع القول إن عصر العزيز بالله (٣٦٥- ٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) يعد فترة انتقالية بين عهدي المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٢-٩٧٥م) وعهد الحاكم بأمر الله (٣٨٦- ٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) حيث شهد كلاً العصرين ثورات مختلفة ضد الفاطميين.

*العزيز بالله:

هو: أبو منصور نزار العزيز بالله بن المعز لدين الله أبو تميم بن المنصور بن القائم بن المهدي ولد بالمهدية من القيروان يوم الخميس الرابع عشر من المحرم، ويرجح أنه ولد في ٣٤٤هـ أثناء حكم أبيه المعز لدين الله في بلاد المغرب، وعندما فتحت مصر ٣٥٨هـ/٩٦٩م على يد القائد جوهر الصقلي، توجه المعز لدين الله إلى القاهرة المقر الجديد للخلافة الفاطمية.

كان من الطبيعي أن ترتحل أسرته كلها معه ، وشهد ابنه العزيز بالله ثورات المصريين المختلفة ضد الفاطميين، وشارك العزيز بالله أباه المعز في إدارة شئون البلاد، وكان كثيراً ما يستعين برأيه ؛خاصة إذا علمنا أن المعز لدين الله كان يقرأ الوجوه جيداً، بصيراً بأحوال الرجال، خبيراً بمواقفهم. يحدثنا المقريزي: إن المعز لدين الله كان

يمشي في قصره مع أولاده: نزار (العزيز بالله) وتميم، وعبد الله، وعقيل، وأخذ المعز يقرأ وجه نزار، ويعلم أنه يفكر في الخلافة، ويقدم له المعز لدين الله نصيحة الأب الحنون، الخبير بأمور الرجال، الخائف على عرش آبائه من الضياع، فقال له: "إن الأمر صائر إليك فأحسن إلى إخوتك وأهلك"[١].

يصف المؤرخون[٢] العزيز بالله: بأنه كان أسمراً، طويلاً، أصهب الشعر، عريض المنكبين، شجاعاً حسن العفو والقدرة، حسن الخلق، توفى في بلبيس ٣٨٦هـ/٩٩٦م، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرون سنة، ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة، واستقبل أهل القاهرة[٣] نبأ وفاته بألم شديد.

الثورات في عهد العزيز بالله:

أستطيع القول: إن عصر العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦) امتاز بالهدوء النسبي حيث استطاع المعز لدين الله القضاء على ثورات المصريين المختلفة، وتقرب إلى الشعب المصري، وعرفه بالمذهب الشيعي، وأخذ ـ في نفس الوقت- يتودد إليهم، ونتيجة لذلك اعتنق بعض المصريين المذهب الشيعي وذلك تحت عاملي الرغبة والرهبة. ويمكننا القول- كذلك- إن المعز لدين الله قد استطاع تمهيد الطريق لخلافة ولده العزيز بالله، حيث ترك له خلافة فاطمية ـ هادئة- نسبياً.

ولكن هذا لا يعنى أن ثورات المصريين قد انقطعت كلية في عهد العزيز بالله، ولكنها كانت قليلة نسبياً مقارنة بين عهدي أبيه المعز لدين الله وولده الحاكم بأمر الله، خاصة إذا علمنا إن العزيز بالله كان يتقرب إلى الشعب المصري، ويغدق عليه المنح والهدايا والنعم والعطايا الكثيرة فها هو يقول لعمه حيدرة: "يا عم: أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر، ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار، وأن يكون ذلك كله من عندي"[٤]، ومما لا شك فيه إن العزيز بالله لن يغدق الأموال على شعب يكرهه أو شعب يثور عليه باستمرار ومع

ذلك فقد تعامل العزيز بالله مع الثوار بحلم شديد، حيث امتدحه المؤرخون بقـــولهم: "وحلم العزيز بالله لم يسمع بمثله قط من ملك"[٥] على حد قول المسبحي.

ومع ذلك فإن الشعب المصري الثوري بطبعه، يكتشف- دائمـــاً- أســـاليب كثيرة وجديدة للتعبير عن غضبه واحتجاجه، وتستطيع كلماتـــه أن تـــصل إلى آذان الحكام مهما بعدت عنهم، ويستطيع اللسان المصري أن يعبر عـــن نفـــسه بـــشتى الأساليب المختلفة، وتكون له الغلبة والنصرة في النهاية.

فما من حاكم استطاع أن يقف أمام هذا الشعب العريـــق الفـــاهم لطبيعـــة حكامه، والمدرك لزمانه الذي يحيا فلكل عصر أسلوبه، ولكل شعب طبيعته، ولكـــل مقاومة سمة.

المبحث الأول

الثورات السياسية

ليس المقصود بالثورات السياسية– هنا– الثورات المنظمة الـشاملة، والـتي هدف إلى قلب نظام الحكم في البلاد كما هو الحال في العصر الحاضر، بل المراد بهـا تلك الاحتجاجات التي قام بها بعض الأشخاص ذوو الطموح الشخـصي، والـذين شجعهم بُعد أقاليمهم عن مركز الخلافة الفاطمية فضلاً عن غناها– النسبي– فحاولوا الاستقلال بها، وتكوين إمارة خاصة بهم.

ونستطيع تقسيم الثورات السياسية إلى قسمين: داخلية (مصر) وخارجية (في نطاق حدود الخلافة الفاطمية).

أولاً: الثورات الداخلية:

تعددت ثورات المصريين ضد الخلافة الفاطمية في عهد العزيز بالله، وقامـت الثورات المختلفة في بعض أنحاء مصر، ولكنها ظهرت بوضوح في إقلـيم الـصعيد، البعيد عن مركز الخلافة الفاطمية في القاهرة، ومن هذه الثورات:

(١) ثورة حمزة بن ثعلة الكتامي ٣٦٨هـ/٩٧٨م:

لا أدرى على وجه التحديد السنة التي تولى فيها "حمزة بن ثعلة" ولاية أسوان ولكن يبدو أنه تولاها بعد دخول الخليفة المعز القاهرة حيث عهد إلى الكتاميين بحكم مصر، وذلك لنشر التشيع فيها[٦] فكانت أسوان من نصيب "حمزة بن ثعلة" والـذي استطاع أن يفرض سيطرته عليها، ويكون له أنصار. وبعد وفاة المعز لدين الله اشـتد ساعده وأعلن ثورته ضد العزيز بالله، مستغلاً بُعد المسافة بين أسوان ومركز الخلافـة الفاطمية في القاهرة ؛وأعزاه– كذلك– انشغال العزيز بالله في حروب الشام، ومـن ثم أعلن "حمزة بن ثعلة" ثورته محاولاً الاستقلال بالبلاد التي تحت سيطرته.

ولكن ما هو موقف العزيز بالله من هذه الثورة؟ أيترك ولاية أسوان لهذا الثائر، ويكتفي بفرض السيادة الفاطمية على باقي أنحاء مصر؟ أم يقضي على هذه الثـورة سريعاً؟

في الحقيقة إن العزيز بالله لم يكن بالخليفة الذي يتنازل عن ولاية من خلافتـه لهذا الثائر. فجهز جيشه وقضى على ثورات الشام[٧] وفرض سيطرته عليها. ثم جهز جيشاً فاطمياً ضخماً وعهد بقيادته إلى قائد فاطمي محنك ينتمي إلى أسـرة عريقـة خدمت الفاطميين كثيراً؛ وهو القائد: "جعفر بن محمد بن أبي الحسين الصقلي" والذي خرج بجيشه الضخم إلى أسوان، واستطاع أن يقضي على الثورة، ويأخـذ قائـدها "حمزة بن ثعلة" أسيراً إلى القاهرة ومعه كل أمواله وجواهره[٨] وسائر ما يملك. وفرح العزيز بالله بهذا النصر، وأمر قائده "أفتكين" بقتل الثائر "حمزة بن ثعلة". وبهذا تخلص العزيز بالله من عدوه، وعاد الأمن والهدوء إلى جنوب مصر؛ وكافأ الخليفة العزيز بالله قائده "جعفر بن محمد" فعهد إليه بإمارة صقلية.

(ب) ثورة حمدان الأسيوطي ٣٨٥هـ/٩٩٥م:

لم تكد تنتهي ثورة "حمزة بن ثعلة" متولي أسوان حتى تجددت الثورة مرة أخرى في الصعيد بزعامة ثائر يسمى "حمدان الأسيوطي" مستغلاً بُعد الصعيد عن القـاهرة مركز الخلافة الفاطمية، وانشغال العزيز بالله في حروبه ضد الروم[٩]، فجمع "حمدان" حوله البعض وأعلن ثورته ضد الخلافة الفاطمية، محاولاً بذلك تكوين إمارة خاصة به.

وعندما وصل خبر هذه الثورة إلى العزيز بالله في القاهرة، لم يمهل هذا الثـائر طويلاً، فأرسل إليه القائد الفاطمي المحنك "ابن الزبير" ودارت المعركة بين الطـرفين، وسرعان ما انتهت بانتصار الفاطميين، وتم القضاء على هذه الثورة وأخـذ حمـدان أسيراً إلى القاهرة ودخلها على جمل وعلى رأسه طرطور[١٠]طويل، وأهـل القـاهرة يهتفون سخرية منه[١١]. ولم تمدنا المصادر التاريخية بشيء عن موقف العزيز بالله مـن

هذا الثائر، ولكن أغلب الظن أن العزيز بالله قد عفا عنه تقرباً للمصريين، ولما اشتهر عن العزيز بالله من حب السماحة والعفو[١٢] عن الرعية، وبعد أن أطمأن العزيز بالله على وضع الصعيد بعث ابن سليم الأسواني بكتاب إلى قيرقى ملك النوبة يعرض عليه الإسلام، ويستأدى منه ما عليه من البقط .ومن جهة أخرى يعرف موقفه من ثـــورة حمدان، فبعث ملك النوبة رسالة صلح للعزيز بالله فاطمأن العزيز بالله لذلك، وعـــاد التشيع في البلاد حتى أصبح فاشياً فيها[١٣]".

كانت هذه الثورة أخر ثورات المصريين السياسية (الداخلية) ضـــد الخلافـــة الفاطمية وظهرت ثورات في أماكن أخرى خارج مصر وهو ما يعــرف بـــالثورات الخارجية.

ثانياً: الثورات الخارجية:

لم تقتصر الثورات السياسية ضد الخلافة الفاطمية على مصر فقط بل تعدتها إلى أماكن أخرى تحت الخلافة الفاطمية، ومن هذه الثورات الهامة التي أقلقت العزيز بالله ثورة:

(أ) ثورة أفتكين التركي ٣٦٣هـ/٩٧٣م:

هو أبو منصور افتكين[١٤] المعزى أحد مماليك معز الدولة بن بوية وكان سبب وصوله إلى الشام أن وقعت فتنة بين الديلم والترك ببغداد وخلع المطيع لله العباســي وتوالت الفتن. فترك أفتكين بغداد عام ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م وسار منها حتى نزل حمص ثم سار منها إلى دمشق، وكانت ثورات أهل الشام مستمرة ضد الفاطميين، وعنـــدما علم شيوخ المدينة بحضور أفتكين إلى بلادهم ذهبوا إليه وسألوه أن يتولى عليهم، على أن يكف أيدي المفسدين ضدهم. وبالفعل؛ استجاب لهم أفـــتكين ودخـــل دمـــشق واستطاع أن يعيد إليها الهدوء والاستقرار وأن يحسن السيرة في الرعية. ثم كاتب المعز لدين الله الفاطمي بمصر، وأظهر له الانقياد والطاعة، وأنه اعتنق المـــذهب الـــشيعي،

فأجاب المعز لدين الله وبعث إليه برسالة يستدعيه فيها للحضور إلى القاهرة ؛على أن يعود مرة أخرى إلى دمشق. ولكن أفتكين خاف على نفسه من بطش المعز الفاطمي، وامتنع عن الحضور وكادت أن تنشب حرب بينهما ولكن القدر كان في صالح أفتكين، حيث توفى المعز(١٥) لدين الله عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م.

*أفتكين يستولى على دمشق:

استغل أفتكين وفاة المعز لدين الله الفاطمي فخلع طاعة الفاطميين(١٦) ودعا إلى العباسيين وكتب إليهم يطلب منهم العسكر والسلاح والمال ليتوجه لفتح مصر، وأخذها من العبيديين ويعيد إليها المذهب السني. ولكن الخليفة العباسي لم يجبه إلى ذلك خوفاً من الدخول في حرب ضد الفاطميين، وبعث إليه برسالة جاء فيها:

"غرك عزك فصار ذلك ذُلَكَ فاخشى فاحش فعلك"(١٧)، وعندما أيس أفتكين من إرسال العساكر إليه من بغداد لغزو مصر اضطر أن يرسل إلى القرامطة يطلب مساعدتهم لمحاربة الفاطميين، فرحبوا بذلك كثيراً؛ وذلك للعداء الشديد بين الطرفين. ثم أرسلوا إلى أفتكين الرجال والمال والسلاح عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م، وأكرمهم أفتكين. ثم توجه الجميع إلى الرملة، وسرعان ما وقعت المعركة بين الفاطميين بقيادة ظالم بن موهوب العقيلي، وأفتكين التركي ومعه القرامطة، ويساعدهم أهل البلاد الذين كانوا يكرهون الفاطميين بسبب معاملتهم السيئة لهم، وسرعان ما انتهت المعركة بانتصار أفتكين وفرار ظالم بن موهوب ومن معه إلى مدينة صور.

وعندما وصل خبر هذه الهزيمة إلى الخليفة العزيز بالله في القاهرة، كتب رسالة إلى أفتكين يستميله فيها، ووعده بأن يكرمه. ولكن أفتكين رفض ذلك خوفاً من بطش العزيز بالله، وبعث إليه برسالة فيها جفاء شديد. ووقع الأمر في يد العزيز بالله فاستشار وزيره يعقوب بن كلس(١٨) فيما يفعله، فأشار إليه بإخراج القائد جوهر الصقلي لتأديب أفتكين وإعادة سيطرة الفاطميين على دمشق مرة أخرى.

أخذ الجيش الفاطمي يستعد للحرب ضد أفتكين والقرامطة للقضاء على ثورتهم، وإعادة النفوذ الفاطمي في بلاد الشام، ويبدو أن خبر هذا الجيش قد وصل إلى مسامع أفتكين، فاستشار أهل دمشق فيما يفعله، فأشاروا عليه بعدم الفرار من بلادهم، وعدم اللجوء إلى بلاد الروم، والوقوف معاً ضد الفاطميين. ويرجع وقوف أهل دمشق إلى جانب أفتكين ضد الفاطميين لظلم بعض ولاة دمشق لهم، فضلاً عن اختلاف المذهب الديني بين الجانبين. وهكذا بدأت نذر الحرب بين الطرفين؛ الجيش الفاطمي بقيادة جوهر الصقلي، والثوار بقيادة أفتكين التركي.

*الحرب بين جوهر الصقلي وأفتكين التركي:

تحرك القائد جوهر الصقلي بالجيش الفاطمي الضخم الذي "لم يخرج قبله مثله إلى الشام"(١٩) كما يقول المقريزى حيث وصل تعداد هذا الجيش عشرين ألفاً بين فارس وراجل. وعندما وصل جوهر إلى الرملة كتب إلى أفتكين يذكره بالأمان الذي بعثه العزيز بالله إليه، فلاطفه أفتكين في الجواب واعتذر إليه بأنه لا يستطيع أن يتخلى عن أهل دمشق. وعند ذلك وقع في أيدي جوهر الصقلي وعلم أن الحرب واقعة لا محالة، فتقدم بجيشه، الضخم حتى نزل الشماسية(٢٠).

وكان ينتظره هناك أفتكين، ودارت الحرب بين الفريقين واستمرت ما يقرب من شهرين، قتل فيها كثير من الطرفين، وأظهر أفتكين من الشجاعة ما رفع قدره في نفوس أعوانه وأعدائه على السواء، ومع ذلك كان النصر في هذه الجولة لصالح الفاطميين، حتى كاد جوهر الصقلي أن يحقق النصر الظافر على أفتكين وأهل دمشق، ولكن أنصار أفتكين أشاروا عليه بمكاتبة القرامطة للوقوف معاً ضد الفاطميين. وبالفعل انتهز القرامطة بقيادة الحسن الأعصم هذه الرسالة، وبعثوا بجيش عظيم لمساعدة أفتكين، وعندما علم جوهر الصقلي بهذا الجيش خاف من مواجهة الأعداء فانسحب إلى طبرية، وتبعه أفتكين والقرامطة فرحل جوهر إلى عسقلان، فحاصره

أفتكين هناك حتى أشرف جوهر وجيشه على الهلاك، واشتد بهم الحال حتى أكل المغاربة الدواب الميتة، وعندما رأي جوهر الصقلي هلال جيشه طلب الصلح مع أفتكين فأجابه إلى ذلك بشرط أن يخرج جوهر وجيشه حفاة من تحت سيف أفتكين ورمح الحسن بن أحمد القرمطي الذي عُلق على باب عسقلان. ولا يخفي علينا مدى هذا الإذلال الذي تعرض له الجيش الفاطمي في بلاد الشام. ومع ذلك فقد استطاع القائد جوهر الصقلي أن ينجو ببقايا جنده ويتوجه إلى مصر، وذلك بعد أن أخذ خاتم أفتكين رهناً على الوفاء بما عاهده عليه. وعاد الجيش الفاطمي إلى القاهرة يجر أذيال الخيبة والهزيمة، وذلك في الوقت الذي ثبت فيه أفتكين أقدامه في دمشق، وأصبح مسموع الكلمة مطاع الرأي فيهم؛ وارتفعت مكانته بينهم، وأصبح القائد الملهم الذي خلصهم من ظلم الولاة الفاطميين.

* جهود العزيز بالله في القضاء على هذه الثورة:

وهكذا رأينا استفحال خطر الثورة في دمشق، وازدياد نفوذ أفتكين في بلاد الشام، و الذي بدأ بالفعل يهدد الفاطميين في مصر. لذلك قرر العزيز بالله أن يخرج بنفسه للقضاء على هذه الثورة فتحرك بالجيش الفاطمي الضخم الذي بلغ تعداده سبعين ألفا، ونزل الرملة، وكان ينتظره هناك أفتكين ومن معه من الثوار والقرامطة. وسرعان ما دارت المعركة بين الطرفين[٢١]، وأعجب العزيز بالله من شجاعة أفتكين وفروسيته فأمر خادمه أن يذهب إليه ويقول له على لسان العزيز بالله: "قد أزعجتني من سرير ملكي وأخرجتني لمباشرة الحرب وأنا أسامحكم بجميع ذلك، ولك على عهد الله بأني أهب لك الشام بأسره" .وبعد وصول تلك الرسالة إلى أفتكين خرج أمام الصفوف بحيث يراه الناس جميعاً وترجل عن فرسه وقَبل الأرض مراراً، ثم قال لخادم العزيز بالله: "قل لمولانا لو تقدم القول لسارعت فأما الآن ليس إلا ما ترى". وبعد قليل؛ انتهت المعركة بانتصار الفاطميين بقيادة خليفتهم العزيز بالله، وهزيمة الثوار

هزيمة منكرة، وهرب أفتكين، ولم يعلم مكانة، وأذاع الخليفة العزيز بالله في الجيش: أن من قبض على أفتكين فله جائزة كبرى. وبعد أن عاد الهدوء والاستقرار في بلاد الشام، عاد العزيز بالله إلى القاهرة، وهنأ الشعب بهذا الفتح العظيم، ومدحه الشعراء، فقال الحسن بن عبد الله الرحيم الزلالي:

لاح للحق شهاب موقد ... فرأى قاصده أين قصد
بالعزيز بن المعز اعتضدت ... دولة الحق وبالله أعتضد
يا أمير المؤمنين المرتضى ... وعماد الدين والركن الأسود
أصلح الشام بما دبره ... وتلافاه وقد كان فسد[٢٢]

واجتهد الناس في البحث عن أفتكين طمعاً في الجائزة الكبرى التي تعهد بها العزيز بالله، وبعد قليل استطاع مفرج بن دغفل بن الجراح الطائى أسر أفتكين، وبعث به إلى العزيز بالله في صحبة الوفد الفاطمي الذي ذهب لإحضار أفتكين من دمشق، وعندما وصل إلى القاهرة استقبلهم الشعب استقبالاً عظيماً، وأمّنَ العزيز بالله أفتكين حتى أصبح مكرماً عنده مقدماً لديه دون أصحابه جميعاً. ثم وقعت الوحشة والخلاف بينه وبين الوزير يعقوب كلس ، بسبب طمع كل منهم في رضا العزيز بالله دون صاحبه؛ بالإضافة لخوف يعقوب بن كلس على منصبه. فدس السم – سراً – لأفتكين في الطعام فقتل[٢٣] لحينه عام ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م. وحزن العزيز بالله عليه حزناً شديداً؛ فأمر بالقبض على ابن كلس، وحبسه، وأخذ منه ما يقرب من خمسمائة ألف دينار،.ولكنه سرعان ما أطلق سراحه، وأعاده مرة أخرى إلى الوزارة، وذلك– فيما يبدو– بسبب احتياجه إليه.

(ب) ثورة قسام الحارثي ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م:

لم تكد تنتهي ثورة أفتكين التركي في دمشق حتي قامت ثورة أخرى يتزعمها قسام الحارثي المعروف "بالترابي" وتكاد تجمع المصادر التاريخية(٢٤) على أن قسام ولد في إحدى قرى بلاد الشام، ونشأ وتربى في دمشق، وأن أصله من بني الحارث بن كعب من اليمن وأخذ يتعلم العلم حتى علا شأنه. فكان يجلس بالجامع في دمشق فيجتمع الناس حوله فيعلمهم أمور دينهم، وبمرور الوقت عظم شأنه بين أهل دمشق، فكان يأمرهم وينهاهم فيمتثلون بأمره(٢٥)، وإن كان قسام قد عمل في بداية حياته في نقل التراب على ظهور الدواب حتى عرف "بالترابي" أو "الزبال"، ومع ذلك فقد اشتهر بالقوة والشجاعة، ثم صار من أتباع "أحمد بن الجسطار" وقد عرف عن هذا الرجل أنه من "حملة السلاح وطالب الشر"(٢٦) فأصبح قسام من حزبه ومن المقربين إليه، حتى عظم شأنه. وعلى ذلك يمكن القول إن قسام الحارثي قد تربى تربية ثورية، واستطاع الوصول إلى قيادة الثوار في دمشق.

*أسباب الثورة:

بدأت ثورة قسام الحارثي بعد مغادرة العزيز بالله (٣٦٥- ٣٨٦/ ٩٧٥- ٩٩٦م) دمشق إلى القاهرة مقر الخلافة الفاطمية، وبعد أن قبض على أفتكين التركي، وقضى على ثورته. فانتهز قسام الحارثي وضع الشام الجديد، وقلة عدد الجنود الفاطميين بها، فأعلن الاستقلال بدمشق، وأخذ يدعو لنفسه؛ ومما ساعده على ذلك كراهية أهل دمشق للفاطميين بسبب قتل الفاطميين لكثير منهم، ونهب بيوتهم، وانتشار الذعر بينهم؛ بالإضافة لذلك حب أهل دمشق لقسام الحارثي بسبب عطفه عليهم، وتقربه منهم، حيث كان يجلس في مسجد دمشق يعلمهم أحكام الدين الإسلامي كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

عندما وصلت أنباء هذه الثورة إلى الخليفة العزيز بالله في القاهرة، قرر القضاء عليها والتخلص من قسام الحارثي، فأمر القائد الفاطمي "سليمان بن جعفر بن فلاح"– ابن القائد العظيم جعفر بن فلاح الذي فتح بلاد الشام أيام المعز لدين الله الفاطمي– بالقضاء على هذه الثورة، وإعادة النفوذ الفاطمي إلى بلاد الشام. وتحرك الجيش الفاطمي الذي بلغ قوامه أربعة آلاف مقاتل، ووصل إلى دمشق، ونزل في مكان يسمى "بستان الوزير" خارج دمشق، وضرب حصاره على المدينة، وذلك في الوقت الذي كان نفوذ قسام الحارثي يزداد، حيث قام بوضع أعلام على المدينة، معلناً سيطرته عليها. وسرعان ما نشبت الحرب بين الفاطميين والثوار، واستمرت فترة طويلة،انتهز قسام هذه الفرصة وجمع مشايخ البلد وكتب محضراً أشهد فيه جميع الحضور من أهل دمشق أنه يحمي البلاد من أي عدوان خارجي، خاصة من قبل "عضد الدولة فناخسرو" .وهذه حيلة ذكية من قسام، وكأنه بذلك يحمى البلاد (دمشق) من أطماع العباسيين وكأنه يعلن السيادة الفاطمية على المدينة. ثم بعث برسالة إلى الخليفة العزيز بالله في القاهرة يطمئنه فيها على وضع الشام، ويعلن اعتناقه المذهب الشيعي. ويبدو أن العزيز بالله قد اطمأن على وضع الشام من رسالة قسام الحارثي، فبعث برسالة إلى قائده "سليمان بن جعفر" يأمره فيها أن يرتحل عن دمشق". وبالفعل استجاب القائد الفاطمي لأوامر خليفته، وغادر دمشق، وتركها لقسام الحارثي، الذي انتهز الفرصة فأعلن الاستقلال بالمدينة، وأظهر إمارته عليها[٢٧].

يبدو أن العزيز بالله قد انخدع– ظاهريًا– برسالة قسام الحارثي، وذلك خوفاً من أن ينضم إلى أعداء الفاطميين (العباسيين ــ الروم)، خاصة إذا علمنا أن العداء والتنافس كان شديداً بين الخلافتين ــ السنية والشيعية ــ. على كل حال لم يطل أمر قسام الحارثي في دمشق طويلاً، فقد توفى "عضد الدولة فناخسرو" ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م، وأمن العزيز بالله جانب العباسيين، هذا في الوقت الذي أخذت فيه

انتصارات" بكجور التركي" تزداد في الشام. وبعث برسالة إلى العزيز بالله يطلب منه أن ينجز وعده إليه بولاية دمشق.

لكل ذلك تحرك الجيش الفاطمي من القاهرة إلى دمشق بقيادة هفـــتكين[٢٨] التركي أحد أصحاب أفتكين واستطاع هذا القائد أن يقضى على الثورات المتفرقة في الشام، وأن يعيد الهدوء إلى الأجزاء المتفرقة[٢٩] من هذه البلاد. ثم بدأ يوجه أنظـــاره إلى دمشق.هذا في الوقت الذي قام فيه قسام بترميم أسوار المدينة، وزيادة الحراســـة على أبوابها، ووضع عليها المجانيق استعداداً للهجوم الفاطمي المرتقب.

*القضاء على الثورة :

بعث هفتكين إلى قسام رسالة يطلب فيها تسليم المدينة على أن يكـــون هـــو ورجاله في أمان. وكان من الطبيعي أن يرفض قسام هذه الرسالة معتمداً على جيشه من الثوار، وأهل دمشق. ويبدو أن هفتكين كان متوقعًا رفض قسام تسليم المدينـــة لذلك لم يمهله؛ فتقدم بجيشه نحو دمشق، ودارت المعركة بـــين الفـــاطميين بقيـــادة "هفتكين" والثوار بقيادة "قسام الحارثي"؛ الذي كان يعتمد على أهل دمشق ولكـــن خاب ظنه. حيث تفرق الناس عنه، ولم يجتمع إليه إلا أصحابه وأهل الظلم والباطـــل الذين كانوا يأكلون أموال الناس ظلماً. لذلك تخلى أهل دمشق عنـــه، ولم تـــستمر المعركة طويلاً، فانهزم قسام شر هزيمة.ويبدو أن تخلى أهل دمشق عن مساعدة قسام كانت من أهم أسباب هزيمته. يقول ابن القلانسي: "تبين الانكسار على قسام لتقصير الرعية عن معاونته ومقتهم إياه"[٣٠]. وعندما رأى جمهور الشعب أن الهزيمة واقعة لا محالة في جيش الثوار، طلبوا من قسام أن يخرج إلى هفتكين ويطلب منـــه الـــصلح، فأجابهم في ذلة وانكسار، ذلك في الوقت الذي كانت جيوش هفتكين على مقربة من دخول المدينة فخرج جماعة من كبار البلد، وطلبوا من هفتكين توقف القتال على أن تسلم المدينة له، فأجابهم إلى طلبهم. وعندما وصل هذا الخبر إلى قسام ظهرت المذلـــة

علي وجهه، وهو ساكت حائر حاسر، واجتمع جمهور دمشق حول مترله وصاحوا بأعلى أصواقم: "انتقم الله ممن أذلنا وأحرق دورنا، وشقتنا، وتركنا مطرحين على الطرق " فلما سمع ذلك وقع في قلبه الخوف، وعرض تسليم المدينة لهفتكين.

بعث هفتكين حاجبه فدخل مدينة دمشق بقوة كبيرة من الفاطميين، على مرآى ومسمع من قسام وأهله، أما جنده فقد تفرقوا عنه؛ فمنهم من طلب الأمان من هفتكين، ومنهم من هرب، ومنهم من قبض عليه. أما قسام فإنه قد ترك مترله واختفى، فنهب الناس داره. وأخذت جيوش هفتكين تبحث عنه في المدينة، فلم تجد له أثراً، فأذيع في المدينة إن: "من دل على قسام فله خمسون ألف درهم، ومن دل على أولاده فله عشرون ألف درهم"[٣١] وعندما سمع الناس عن هذه الجائزة أخذوا يبحثون بجد ونشاط عن قسام أو أحد من أهله، طمعاً في هذه الأموال. وبعد قليل تم القبض على امرأة قسام وأولاده. أما هو فكان مختبئ عند رجل فقير في إحدى أطراف المدينة وعندما وصله خبر القبض على زوجته وأولاده رأى أنه لا فائدة من الهرب، وعندما جن عليه الليل، خرج إلى المعسكر الفاطمي، فوقف على خيمة "مَنَشاً بن الفرار اليهودي" المسئول عن عطاء وتدبير الجيش الفاطمي، واستأذن عليه، وقال لحراسة – الذين لم يكونوا يعرفونه – رجل يريد الاجتماع بالريس " منشأ" فسألوه من هو؟ فقال لهم قسام، وطلب منهم الأماني؛ فأعطى له[٣٢].ثم قيد، وحمل إلى العزيز بالله في مصر، فعفا عنه ثم أطلق سراحه. وأحسن إلية، وأقام عنده مكرماً[٣٣]. وهذا يدل على سماحة العزيز بالله، سماحة لم يسمع بمثلها قط، ثم عهد العزيز بالله إلى بكجور بإمارة دمشق مكافأة له.

*أثر ثورات الشام على الحياة الاقتصادية.:

تأثرت الحياة الاقتصادية في بلاد الشام بهذه الثورات المتابعة، فنجد أن الأسعار قد ارتفعت" ولم يوجد ما يؤكل حتى أن الرجل كان يدخل مدينة الرملة

ويطلب فيها شيئاً يأكله فلا يجده، ومات الناس بالجوع، وخربت الأعمال"[٣٤]، وكثر العبث والفساد، وخربت ــ كذلك ــ البلاد التي بضاحية مدينة دمشق. حتى إنها كانت تطلب الطعام من مدينة حمص؛ ورحلت القوافل عنها.وطمع الأعراب فيها، وكثر النهب[٣٥] بها.

كذلك يمكن القول إن الحالة الاقتصادية في مصر قد تأثرت بهذه الثورات، حيث بلغ ما أنفقه العزيز بالله على جيشه الذي خرج للقضاء على ثورات الشام خمسين ألف دينار.كما أمر العزيز بالله عام ٣٨٢هـ / ٩٩٢م بضرب دراهم جديدة، كانت أقل في الجودة و القيمة من الدراهم القديمة.كتب على الوجه الواحد منها:" الواحد الله الغفور" وعلى الجانب الآخر: " الإمام أبو منصور" [٣٦].

وهكذا انتهت ثورات الشام بالقضاء على ثورة قسام الحارثي " واستراح الناس من تحكمه عليهم وتغلبه بمن تبعه من الأحداث من أهل العبث والفساد"[٣٧]،كما يقول ابن الأثير.وبذلك تمت سيطرة الفاطميين على جنوب الشام.

(جـ) ثورة أهل الحجاز:

لم تقتصر الثورات ضد الفاطميين على مصر والشام فقط، بل ظهرت في أماكن أخرى من الخلافة الفاطمية، ومن هذه الأماكن بلاد الحجاز، ولا يخفى علينا أهمية الحجاز بالنسبة للخلافة الفاطمية، فهي مقر الحرمين الشريفين – مكة والمدينة– والخليفة الشرعي في نظر المسلمين هو الحامي للحرمين الشريفين، أو بمعنى آخر هو المسيطر على بلاد الحجاز. لهذا حرص خلفاء المسلمين – السُنة والشيعة – على بسط نفوذهم على هذه المناطق المقدسة؛ كي يكتسبوا شرعية الحكم، وزعامة العالم الإسلامي الروحية، بالإضافة لذلك المنافسة الشديدة بين الخلافتين العباسية في بغداد والفاطمية في القاهرة على بسط سيطرتهم على الحرمين الشريفين.

ومما هو جدير بالذكر أن بلاد الحجاز كانت تابعة لمصر أيام الدولة الطولونية، (٢٥٤ – ٢٩٢هـ) والدولة الإخشيدية، (٣٢٣ – ٣٥٨هـ) وكانت مصر تقوم بإرسال الغلال في كل عام لأهل الحجاز كما كان الدعاء على منابر الحجاز يتم للخليفة العباسي ومن بعده للطولونيين ثم الإخشيديين.

وبعد قيام الدولة الفاطمية في المغرب وانتقالها إلى مصر (٣٥٨هـ – ٩٦٩م)، استطاع الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١ – ٣٦٥هـ/ ٩٥٢ – ٩٧٥م) أن يبسط سيطرته على مكة والمدينة المنورة، واستطاع أن ينتزع هذه الأماكن المقدسة من أيدى العباسيين، وأصبحت الخطبة تقام في الحرمين الشريفين[٣٨]، للمعز الفاطمي، فاكسب خلافته – بذلك – الصفة الشرعية في العالم الإسلامي.

وبعد وفاة المعز لدين الله تولى ابنه العزيز بالله (٣٦٥ –٣٨٦هـ/٩٧٥ – ٩٩٦م) الخلافة الفاطمية، فانقطعت الخطبة في بلاد الحجازللفاطميين، وعادت إلى العباسيين. وذلك بسبب تهديد الخليفة العباسي لأهل الحجاز. ولكن العزيز بالله لم يقف صامتاً أمام هذه الأحداث، فأرسل قائدة "باديس بن زيري الصنهاجي "، عام ٣٦٧هـ / ٩٧٧م أميراً للحاج المصري. فأستولي باديس بن زيري على الحرمين الشريفين، وأقام الخطبة فيها للعزيز بالله. كما استطاع توفير الأمن لحجاج بيت الله الحرام، وذلك بعد أن جمع اللصوص وقطاع الطرق، وأمر بقطع أيديهم جزاء فسادهم في الأرض[٣٩]، مما جعل المؤرخين السنيين يشيدون به[٤٠].

لكن الأمور لم تستقر للخلافة الفاطمية في الحجاز حيث قامت ثورات مختلفة تنادي بالتبعية للخلافة العباسية. ومن هذه الثورات:

(١) ثورة أبي حازم ٣٧٧هـ / ٩٨٧م:

قامت في سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م ثورة ضد العزيز بالله بقيادة ثائر يسمى " أبي حازم"[٤١] حاول الاستقلال بالحجاز، فقام بطرد الفاطميين منها، ولم توضح

المصادر التاريخية أحداث هذه الثورة، ولكن يبدو من خلال الأحداث أن هذه الثورة لم تستمر طويلاً، حيث جهز العزيز بالله جيشاً فاطمياً، توجـه إلى بـلاد الحجـاز، واستطاع هذا الجيش أن يقضي على هذه الثورة، وأن يقبض على هذا الثائر ويقطع رأسه. وعاد الهدوء بذلك إلى الأماكن المقدسة، وعادت الخطبـة للفـاطميين مـرة أخرى.

(٢) ثورة أمير حاج العراق ٣٨٠هـ / ٩٩٠م:

لم تكد تنتهي ثورة أبي حازم حتى قامت ثورة جديدة ضد الفاطميين؛ حيـث خرج أمير حاج العراق (٤٢) على الخلافة الفاطمية، ودعا لعضد الدولة بن بويه. ممـا جعل العزيز بالله يضطر إلى إرسال حملة إلى بلاد الحجاز، ضيقت عليهم، وحاصـرت مكة والمدينة. مما أدى إلى غلاء الأسعار بهما " ولقى أهلهما شـدة عظيمـة"(٤٣). ثم انتهت الثورة بإخمادها والقضاء عليها، وإعادة الخطبة للفاطميين، وقطعت الـدعوة فيها عن العباسيين.

(٣) ثورة بالقاسم على الرسي ٣٨٤هـ /٩٩٤م:

لم يكد يشعر أهل الحجاز بالهدوء والاستقرار تحت ظل الخلافة الفاطميـة، حتى قامت ثورة جديدة بزعامة " بالقاسم بن علـى الرسـي" (٤٤) حيـث حـاول الاستقلال بالحرمين الشريفين. وطرد الفاطميين من مكة والمدينة ودعـا للعباسـيين، وقطع الطريق على الحجاج، وبدأ يهدد النفوذ الفاطمي في شبه الجزيرة العربية كلها. ولم ينتظر العزيز بالله وقتاً طويلاً في تجهيز جيشه ، فقام بإرساله إلى مكـة لمـساعدة أميرها "عيسى بن جعفر الحسيني" .واستطاع الجيش الفاطمي القضاء على الثـورة والقبض على الثائر "بالقاسم بن علي" وأرسل إلى العزيز بالله في القاهرة ، وإن كنا لم نعلم مصير هذا الثأر. ولكن أغلب الظن؛ إن العزيز بالله قد عفا عنه. وذلك لما اشتهر عن العزيز بالله من حب التسامح والعفو عن الرعية .

وهكذا انتهت ثورات الحجاز وأقيمت الخطبة للعزيز بالله في مكة والمدينة ونعمت الأماكن المقدسة بالهدوء والاستقرار؛ وأمن ركب الحجاج إلى الأماكن المقدسة تحت ظل الخلافة الفاطمية.

المبحث الثاني

(المقاومة القولية)

لجأ المصريون فيما لجأوا إليه من مقاومة بيضاء إلى ما يمكن تسميته "بالمقاومة اللسانية" أو ما يعرف في مصطلح السياسة – الحديثة – باسم "المقاومة القولية". وكان من أساليب المصريين في المقاومة التعبير عن سخطهم بالشعر أو بالنثر.

(أ)الشعر:

كان الشعر – ومازال– يعبر عن مكنون النفس، وما يحسه الشاعر من مشاعر مختلفة. ومما هو جدير بالذكر أن أغلب الشعر المصري الذي وصل إلينا من هذه الحقبة، شعر متصل بالأحداث التي تقلبت على المصريين[٤٥] خلال تلك الفترة. وأقله شعر ذاتي قاصر على المشاعر الشخصية لقائليه. بالإضافة لذلك؛ إن أكثر هذا الشعر محفوظ في المصادر التاريخية لا الأدبية وبديهي أن هذه المصادر لا تعني إلا بما يحقق أهدافها وأغراضها ، ويشهد لأقوالها وحوادثها ، وهو الشعر الخاص بأحداث التاريخ. ومن الأنصاف أن نقرر إن الشعر في العهد الفاطمي – في مصر – كان أول شعر مصري قيم من عهد فتح المسلمين لمصر إذ كان الشعر قبل ذلك ليس له قيمة إلا للوافدين على مصر من الخارج ، أما شعر المصريين أنفسهم فكان مجرد محاولات أدبية أولية . وعندما جاء الفاطميون إليها جاء الشعر وجاد ، ويرجع ذلك لعدة أسباب:

أولا: إن العصر الأول لفتح مصر كان عصر دهشة أعقبت الفتح فلما استقرت الأمور وبدأ الشعر ينهض ، حكم مصر الطولونيون والإخشيديون وهم ليس لهم الذوق العربي الراقي . فلما جاء الفاطميون – وهم عرب – نما الشعر على بابهم وتقدم.

ثانياً: إن الدولة الفاطمية قامت على أساس الدعوة والدعاية بأوسع ما تدل عليه هذه الكلمة ، فرأت أن الشعراء من أصلح الدعاة لمذهبهم . فاحتضن الفاطميون الشعراء وأغدقوا عليهم العطاء الوفير ليطلقوا ألسنتهم بالقول في مدحهم ومدح عقيدتهم ومذهبهم . فراج الشعر لكثرة الدوافع إليه وقوتها. والشعر إنما يكثر ويزدهر على باب القصور السخية، والفاطميين كانوا من أسخى الناس في هذا الباب.

نستطيع أن نرى عناصر مقاومة المصريين الشعرية في أغراض شتى من أغرض الشعر ولكنها تظهر جلية وبوضوح في الهجاء لذلك سوف نقصر الكلام عليه.

بدأت مقاومة المصريين القولية بعد تولية العزيز بالله حكم الخلافة الفاطمية (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) حيث شكك المصريون في نسبه إلى عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الثاني (الصادق) ولسنا – هنا – بصدد الحديث عن قضية نسب الفاطميين . ولكن يمكن القول: إن المؤرخين قد اختلفوا حول هذه القضية ، فمنهم من نفى نسبهم إلى أهل البيت ومنهم من أثبته .من الفريق الأول : ابن ظافر الأزدي[٤٦] بقوله :"أما مذهبهم فالكفر الصريح والنفاق الذي خالف الباطن فيه التصريح وأن نسبهم ليس بصحيح" .واليافعي[٤٧] قال: "وأكثر أهل العلم بالأنساب لا يصححون نسب العبيديين إلى رسول الله " .وابن العماد الحنبلي[٤٨]بقوله:" وأكثر الناس لا يسلمون للعبيديين بنسبتهم إلى أهل البيت" .وابن تغري بردي[٤٩] الذي قال:"وأكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله" بالإضافة إلى ابن خلكان[٥٠] والنويري[٥١].

أما الفريق الثاني من المؤرخين: فقد أثبت صحة نسبهم إلى أهل البيت ، ومن هؤلاء ابن خلدون[٥٢] الذي قال:" ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين و الأثبات في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل

البيت – صلوات الله عليهم – والطعن في نسبهم إلى إسماعيل بن جعفر (الصادق) يعتمدون على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفًا إليهم بالقدح فيمن ناجهم وتفننا في الشحات" ثم يقول : "وهذه الدعوى كاذبة" .والمقريزي[٥٣] الذي بحث القضية بحثاً وافياً ثم قال:" وأنت إذا أهملت من العصبية والهوى وتأملت ما قد مر ذكره من أقوال الطاعنين في أنساب القوم (الفاطميين) علمت ما فيها من التعسف والحمل مع ظهور التلفيق في الأخبار، وتبين بك منه ما تأبى الطباع السلمية قبوله ويشهد الحس السليم بكذبه" ومن هذا الفريق – أيضاً – الإمام السخاوي[٥٤]والقلقشندي[٥٥].

وكما اختلف المؤرخون القدامى في نسب الفاطميين فقد اختلف المؤرخون المحدثون – أيضاً – حول هذه القضية ، فمنهم من أنكرها[٥٦] ومنهم من أثبت صحتها لأهل البيت[٥٧]. وأنا أميل إلى رأي المثبتين للنسب ، وأرجح صحة نسب الفاطميين لأهل البيت وذلك لقوة الأدلة التي تثبت ذلك النسب؛ ولأن "صلاح الدين الأيوبي – السني المذهب والذي قضى على الدولة الفاطمية ومذهبها – الشيعي– قضاءاً مبرماً(٥٦٧ هـ/١١٧٠م) عندما أسقط الخليفة العاضد – أخر خلفاء الدولة الفاطمية – لم يشر أحد من المؤرخين السنيين إلى أنه طعن في نسبهم – فيما أعلم – رغم كونه سنياً متعصباً . وأغلب الظن أن إثارة هذه المسألة قد جاءت من قبل أعداء الإسلام – من اليهود المستشرقين– الذين دأبوا على تتبع عورات المسلمين –إن وجدت – واختراعها – إن لم تكن – لبث الفرقة والتنازع في صفوفهم والتشكيك في تاريخهم الإسلامي[٥٨].

نعود إلى مقاومة المصريين ونقول : انتهز المصريون أول فرصة صعد فيها العزيز بالله المنبر يوم الجمعة بعد توليه الخلافة الفاطمية . فكتبوا له رقعة علقت على المنبر فيها هجاء صريح له ، وكانت من شعر ابن يزيد جاء فيها :

إنا سمعنا نسباً منكراً يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدعي صادقاً فاذكر أبًا بعد الأب الرابع
وإن ترد تحقيق ما قلته فانسب لنا نفسك كالطائع
أو فدع الأنساب مستورة وأدخل بنا في النسب الواسع
فإن أنساب بني هاشم يقصر عنها طمع الطامع[٥٩]

وعندما قرأ العزيز بالله هذه الرقعة لم يتكلم ولم يجب المصريين بشئ[٦٠].

لم يكتفِ المصريون بهذه الرقعة بل أغراهم حلم العزيز بالله وسكوته على تكرار هذه الفعلة ، فإذا بالعزيز بالله يصعد يوماً المنبر يوم الجمعة فوجد ورقة كتب فيها:

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحماقة
إن كنت أعطيت علم غيب فقل لنا كاتب البطاقة[٦١]

ولم يجب العزيز بالله بشئ . وهذه الأبيات تدل على مدى ما وصل إليه المصريون من هجاء للخليفة ، ويقابله ـــ في نفس الوقت ـــ حلم وصفح وعفو العزيز بالله .وهكذا نرى؛ إن سلاح الشعر خاصة – الهجاء – قد استخدمه المصريون واستطاعت أصواتهم أن تصلى إلى مسامع الخليفة بكل الطرق.

لم تقتصر مقاومة المصريين على الطعن في نسب العزيز بالله ، بل تعدهًا إلى التعريض بأهل الذمة، خاصة بعد ازدياد نفوذهم وتسلطهم على المسلمين. ومن المعروف أن عهد العزيز بالله قد اتسم بالتسامح مع النصارى واليهود فزاد بلاطه في إكرامهم؛ وذلك لما كان بينه وبينهم من صلة النسب ، إذ تزوج من مسيحية رومانية الأصل ملكانية المذهب[٦٢]. وكان لها أخوان رفعها العزيز بالله إلى أعلى مناصب الكنيسة فعين أحدهما "أرسس" بطريركًا للملكانيين بيت المقدس سنة ٣٧٥هـ /

٩٨٥م ، وعين الثاني "أرمانوس" مطراناً للقاهرة[٦٣]، ـ وكان لهذه السيدة نفوذ عظيم في قصر العزيز بالله ـ ؛ ومن ثم تمتع الجميع من أهل الذمة بكامل حريتهم الدينية ، وشغلوا أعلى المناصب الإدارية.فقد استوزر العزيز بالله "يعقوب بن كلس" اليهودي الأصل، أول وزراء الدولة الفاطمية في مصر ، وأعظمهم شأناً. والحقيقة؛ إن "ابن كلس"[٦٤] قد تفانى في خدمة الفاطميين ، وقام بكثير من الإصلاحات الإدارية والمالية وأسهم في نشر المذهب الشيعي ، وفي تنشيط الحركة العلمية ، كما كان له دور بارز في رسم السياسة الخارجية للدولة الفاطمية إبان فترة وزارته، لذلك حظي عند العزيز بالله بالمنزلة السامية ، والدرجة الرفيعة. وليس أدل على حسن علاقته بالخليفة العزيز بالله من هذا المشهد الرائع .عندما مرض ابن كلس مرضه الأخير،زاره العزيز بالله وقال له : "يا يعقوب!! وددت لو تباع فابتاعك بملكي أو تفتدي فأفتديك ، فهل من حاجة توصي بها؟ فبكى الوزير وقّبل يد العزيز بالله، ووضعها على عينيه، وقال: أما فيما يخصني فلا ، فإنك أدعى لحقي من أن أستر عليك ، وأرأف بمخلفي من أن أوصيك، ولكن أقول لك فيما يتعلق بدولتك : سالم الروم ما سالموك واقتنع من الحمدانية بالدعوة والسّكة ولا تبق على المفرج بن دغفل بن الجراح متى أمكنت فيه الفرصة"[٦٥].وكان ابن كلس مخلصاً للعزيز بالله على حد تعبير أبي شجاع " "ولم يشغله ما كان فيه من فراق دنياه عن نصح صاحبه"[٦٦]. ويصف ابن القلانسي يعقوب بن كلس بأنه كان "كبير الهمة ، قوي النفس والمنة ، عظيم الهيبة ، فاستولى على أمر العزيز بالله وقام به ، و استصحبه فعول عليه ، وفوض أمره إليه ، وكانت أموره مستقيمة بتدبيره"[٦٧].وعلى مر السنين عظمت مكانة ابن كلس عند العزيز بالله.

ولكن الحياة في دنيا السياسة لا تسير – دائماً – على خط مستقيم ،إذ سرعان ما غضب العزيز بالله على وزيره ابن كلس؛ بسبب قتله للقائد التركي

أفتكين ــ كما سبقت الإشارة ــ فقبض عليه العزيز بالله وحبسه وأخذ منه ما يقرب من خمسمائة ألف دينار[٦٨]. ولكنه بعد فترة – قليلة – ونظرًا لحاجة الخلافــة إليــه أطلق سراحه ورد إليه كل ما كان بيده من مهام الدولة وشئون البلاد وأعطاه هدية قيمة من العبيد الترك والمغاربة.

والحقيقة إن يعقوب بن كلس كان يخدم اليهود ويرعى مصالحهم وكان يميــز أصدقاءه وغلمانه من اليهود ، بل إن أقرب صديق له كان موسى اليهودي التاجر . و إزاء هذه المعاملة غضب المسلمون ، وحنقوا على ابن كلس، ونطق الشعراء بهجائه في أكثر من قصيدة ، ومن هؤلاء الشعراء الحسن بن بشر الدمشقي فقال :

قل لأبي نصر[٦٩]كاتب القصر والمتأتي لنقض ذلك الأمــــــر
انقضى عرس الملك الوزيــر تفز منه بحسن الثنا والذكـــــر
وأعط وامنع و لا تخف أحــداً فصاحب القصر ليس في القصر
وليس.يـــدري ماذا يـــراد به وهو إذا درى فما يـــــدري[٧٠]

وغضب ابن كلس من هذه الأبيات وشكا إلى العزيز بالله الذي لم يفعل شــيئا خوفاً من ثورة المصريين ضده. وتجرأ الحسن بن بشر الدمشقي أكثر فقال :

تنصر فالتنصر دين حق عليه زماننا هذا يدل
وقل بثلاثة عزوا وجلوا وعطل ما سواهم فهو عطل
فيعقوب الوزير أب وهذا العزيز ابن وروح القدس فضل.

والعجيب أن ابن كلس عندما اشتكى إلى العزيز بالله من هذا الهجاء قال لــه الخليفة : هذا شيء اشتركنا فيه في الهجاء فشاركني في العفو عنه.

لم يكتفِ المصريون بهذه الأبيات بل قال شاعرهم:

زيارجي نديم وكليس وزير نعم على قدر الكلب يصلح الساجور

عندما سمع ابن كلس هذه الأبيات دخل على العزيز بالله وقال لـه : لم يبـقِ للعفو عن هذا معنى، وفيه غض من السياسة ،ونقص لهيبة الملك . فإنه ذكرني وسبك .وأمر ابن كلس بالقبض على الحسن بن بشر وقتله . وعندما وصل الخبر إلى العزيز بالله اغتم لذلك. وهذه الأبيات تدل على مدى ما وصل إليه المصريون مـن هجـاء للخليفة والوزير ، يقابله حلم وصفح وعفو العزيز بالله.

وخلاصة القول : إن المصريين قد استخدموا سلاح الشعر خاصة – الهجاء – واستطاعت أصواهم أن تصل إلى مسامع القصر الفاطمي .بل كانت هذه الأبيـات تتردد على ألسنت أعوام الناس.

(ب) النثر:

ازدهرت الكتابة في مصر زمن الطولونيين والإخـشيديين وبلغـت درجـة عالية،من الفن و الإبداع. وعندما تولى الفاطميون حكم مصر أصبحت الكتابة فيهـا قوية مزدهرة؛ وذلك لاهتمام الفاطميين بنشر العلم وإذكاء شعلته في البلاد؛ وعنايـة الفاطميين بالْكتّاب كانت أشد من عنايتهم بالشعراء[٧١] وذلك لاتـساع ملكهـم وتشعب نواحي حياهم وسلطاهم . يضاف لذلك؛ أن نظام الحكم الفاطمي كان من أشد العوامل التي أدت إلى ازدهار الكتابة. فإن الفاطميين كانوا يسجلون كل دقيقة وعظيمة في سجل خالص بهم .هذا؛ وقد استخدم المصريون الكتابة سلاحاً أخر مـن أسلحة المقاومة القولية، هذا السلاح قد اشتهر به أهل مصر قديماً وحـديثاً وكـاد يكون علماً عليهم ، وهو يدخل في فن "الفكاهة والسخرية"[٧٢]. ومما يؤسف له أن هذا اللون لم يجد عناية كبيرة من المؤرخين لذلك لم يصل إلينا منه إلا القليل .بعد تولي عيسى بن نسطورس الدواوين في مصر"نظر في جميعها وأمر وفمى"[٧٣] وخاطب سائر الْكتّاب عن العزيز بالله، وخاطب سـائر الأوليـاء، وكافـة النـاس في مهمـاهم وتوقيعاهم[٧٤]. وتميز عيسى بن نسطورس بالمهارة والكفاءة ؛فجمع الأموال ووفـر

الخراج.وقوى مركزه وقبض على كل عمل مربح لنفسه. ولكنــه مــال إلى تعــيين الأقباط في المناصب الهمة، حيث أحسن معاملتهم ، واستعان بهم في أعمال الدولــة دون المسلمين.وزاد عليهم الضرائب زيادة كبيرة ، وحابى إخوانه في الدين وولاهــم أهم وظائف الدولة(٧٥) مما أثار سخط المسلمين الذين كانوا ــ بلا شك ــ يكرهون تسلط الذميين عليهم ، وتوليهم أمور بلادهم(٧٦).

كذلك قرب العزيز بالله يهودياً أخر يسمى "مَنَشا بن إبراهيم الفرار" وجعله نائبه على الشام فسلك هذا الرجل مع اليهود مسلك عيسى بن نــسطورس مــع النصارى في مصر ، حيث قربهم إليه . وتربت على ذلك تسلط النصارى واليهــود على شئون البلاد في مصر والشام. فانفجرت مشاعر الغضب عند المسلمين، وقدموا الاحتجاجات المختلفة إلى صاحب الديوان (٤) يشكون من تسلط أهل الذمة عليهم وأصبح من مهام صاحب ديوان الشام وديوان الحجاز إخبار العزيز بالله بما تشكو منه الرعية .

ولما لم يجد المصريون جدوى من تقديم الشكاوى فعلوا حيلة ذكية، كــشفت عنهم الغمة التي هم فيها. حيث تنقل لنا المصادر التاريخية روايــة خلاصــتها : إن المصريين كتبوا شكوى وجعلوها في يد صورة امرأة صنعوها من ورق وجريد وكتب فيها :" بالذي أعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذل المسلمين بك إلا كشفت ظلا مني" وأقعدوا تلك الصورة على طريق العزيز بالله، والرقعة بيــدها، فما رآها أخذ الورقة وعلم ما فيها فأمر بإحضار المرآة فوجدها من قراطيس فعلم ما أريد بذلك. وعاد إلى قصره حزيناً، واستدعى القاضي محمد بن النعمان وكان مــن خاصته ، وأهل أنسه فشاوره في ذلك، فقال القاضي : أنت أعرف بوجه الرأي. فقال العزيز بالله: لقد صدقت المرأة في القصة، ونبهت عن الغفلة. وأمر في الحال بــالقبض على عيسى بن نسطورس وأمر بصلبه(٧٧) على بــاب المدينــة، وســائر الكُتّــاب

النصارى. ثم كتب إلى الشام بالقبض على منشا بن إبراهيم وجماعة من المتطرفين اليهود، وأمر برد الدواوين والأعمال إلى الكُتّاب المسلمين وعهد إليهم بالإشراف على البلاد .

وهكذا نرى إن العزيز بالله قد نزل على شكوى المصريين المسلمين، وقام بعزل أهل الذمة، وأعاد الحقوق للمسلمين. ونجح المصريون بهذه الحيلة الذكية في أن يرفعوا عنهم هذا الظلم ويستجيب لهم الخليفة، ويحقق لهم مطالبهم. ولعل من الصواب أن نقرر إن هذا الأسلوب من المقاومة، خاص بالمصريين حتى صار علماً عليهم، وقد امتدحهم المقريزي في ذلك بقوله :" ولهم خبرة بالكيد والمكر، وفيهم بالفطرة قوة عليه، وتلطف فيه... حتى صاروا مضرب المثل فيه بين الأمم"[٧٨].

ومع استخدام هذا الأسلوب في المقاومة نجد أن المصريين قد استخدموا أسلوبًا آخر وهو: تقديم الشكوى الصريحة للخليفة العزيز بالله، فيذكر المقريزي[٧٩] أن أحد المصريين تقدم بطلب قرضًا من بيت المال ولم يأذن له" أبو جعفر محمد بن حسين بن مهذب" متولي بيت المال. فتقدم هذا الرجل بشكوى إلى العزيز بالله شخصيًا فأمر الخليفة في الحال بكتابة رسالة إلى متولي بيت المال جاء فيها: "يا

محمد سلمك الله – من أتاك من أهلك وكُتّابك وخزانك والمتصرفين معك ومن سائر عبيدنا، والمتمسكين بأذيالنا يطلب منك سلفاً، ورأيت منه ما يدل على صحة ما شكاه، ومن ضرورته وعلمت صدقه في دينه، فأدفع إليه ما رأيته ولا تطلب منه". وهذا حلم وصفح عظيم من العزيز بالله، ويدل في نفس الوقت على جرأة المصريين وتقرب الخليفة إليهم. ولا عجب في ذلك فإن العزيز بالله قد اشتهر بالعدل والحلم والعفو وكان دائمًا يقول لعمه حيدرة :" أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة، وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر، ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وأن يكون ذلك كله من عندي"[٨٠].

(جـ) المقاومة القولية لأهل السنة :

لما آلت الخلافة الفاطمية إلى العزيز بالله (٣٦٥ – ٣٨٦هـ /٩٧٥-٩٩٦م) عني – كأبيه المعز لدين الله – بنشر المذهب الشيعي في مصر، ومن ثم كانت الأحكام تصدر وفقا لهذا المذهب واقتصرت المناصب الهامة في الدولة على الشيعة، ولذلك انتشر المذهب الشيعي في البلاد المصرية حتى وصل إلى الصعيد[٨١] وأجبر المصريون على اعتناق هذا المذهب. ومن الحقيقة أن نقرر إن الفاطميين قد تشددوا في نشر المذهب الشيعي، وكانوا يعاقبون من خالف مذهبهم، حتى إنه لو وجد عند أحد من المصريين كتاب لأهل السنة ضرب وأذى. يحدثنا المقريزي: أن رجلا ضرب وطيف به في المدينة من أجل أنه وجد عنده موطأ الإمام مالك بن أنس[٨٢]. ولا يعني ذلك أن المصريين قد تخلو تماماً عن مذهبهم السني، ولكنه يوضح ـ لنا ـ أن الفاطميين قد ضيقوا عليهم في تعلم المذهب السني.

وأمام هذا التضييق لم يسكت المصريون، بل كانوا يقدمون الاحتجاجات المختلفة إذا تساهلت الخلافة الفاطمية في الأمور الشرعية. يحدثنا المقريزي : إن أحد رجال من أهل الذمة ارتد عن الإسلام وعاد إلى دينه القديم، وكان سنه قد جاوز الثمانين عامًا. وحين علم المصريون بذلك قدموا احتجاجًا مكتوبًا إلى القاضي محمد بن النعمان، والذي رفعه بدوره إلى العزيز بالله. الذي أمر بتسليم المرتد إلى وألي الشرطة، وطلب من القاضي أن يرسل إليه أربعة شهود ليتوب أمامهم، فإن تاب منحه الشرطي مائة دينار، وإن أصر على كفره قُتل في الحال. وبالفعل؛ أصر الرجل على كفره فأمر القاضي بقتله وألقيت جثته في النيل. ويعتبره مؤرخو النصارى[٨٣] شهيدًا لأنه قتل على دينه .

وعلى ذلك يمكن القول : إن احتجاج أهل السنة ضد هذا المرتد كـــان مـــن أكبر الدوافع التي شجعت الخلافة الفاطمية على معاقبته بالعقوبـــة الـــشرعية وهـــي القتل[٨٤].

وكما قدم المصريون الاحتجاجات ضد المرتدين من أهل الذمة فقـــد قـــدموا شكواهم – أيضًا – إلى الخلافة الفاطمية ضد المنكرات التي يرتكبها أهل الذمـــة في أعيادهم، وتؤذي مشاعر المسلمين، وكثيرًا ما تدخلت الخلافة الفاطمية لمنـــع هـــذه الأعياد، أو بمعنى آخر لمنع المنكرات التي تسئ للمسلمين فيها ،أو قد تؤدى ثـــورتهم وغضبهم.

ومن ذلك ما حدث سنة ٣٦٧هـــ / ٩٩٧م حيث تدخلت الخلافة الفاطمية في تحديد احتفال القبط بعيدين من أعيادهم الدينية، أولهما : عيد الغطاس ؛ فقد منع القبط من إظهار المجون واللهو، وفعل المنكرات المختلفة في هذا العيـــد. وهـــددهم الخليفة الفاطمي العزيز بالله بالعقاب والنفي خارج البلاد [٨٥] لكل من يقترف شـــيئًا من هذه المنكرات.

ثانيهما : عيد الصليب ؛فقد خرج الناس إلى الفسطاط، وارتكبوا المحرمـــات المختلفة .فأمر العزيز بالله سنة ٣٨١هـــ/٩٩١م بمنـــع النـــاس مـــن الخـــروج إلى الفسطاط، كما أمر بضبط الطرق لمنع المنكرات .

ولكن لا يعني ذلك أن الخلافة الفاطمية كانت – دائمًا – تتشدد ضد أهـــل الذمة وتمنعهم من إقامة أعيادهم، بل على العكس؛ فقد تمتع أهـــل الذمـــة بكامـــل حريتهم في أدى شعائرهم الدينية. وما تدخلت الخلافة الفاطمية إلا لمنع المنكرات التي تسئ إلى الإسلام، أو قد تتسبب في إثارة مشاعر المسلمين ضدهم.

وخلاصة القول : إن المصريين قد استخدموا طرقًا كثيرة وأساليب شتى تعـــبر عن غضبهم وتدل على ثورتهم، وتصل بشكواهم إلى مسامع الخليفـــة الفـــاطمي في

قصره. ويعد هذا بمثابة إنذار وتهديد بثورة عامة ضده إن لم يستجيب لهم، ويحقق مطالبهم. وكثيرًا ما كانت تخضع الخلافة الفاطمية لمطالب المصريين خوفًا من ثورتهم . ويمكن القول : إن هذا النوع من المقاومة قد برع فيه المصريون واستطاعوا عن طريقه تخفيف الظلم الواقع عليهم .

المبحث الثالث

(الأسطول الفاطمي وحرقة)

تذكر بعض المصادر التاريخية إن النصارى في مصر، قاموا بحرق الأسطول الفاطمي أثناء تجهيز العزيز بالله هذا الأسطول لمحاربة الروم. ولما كانت هذه النقطة هامة، وجديرة بالدراسة ؛ لأنها توضح لنا حقيقة العلاقة بين أهل الذمة في مصر والخلافة الفاطمية من جهة ،وبينهم وبين دولة الروم من جهة ثانية؛ لذلك أردت إفرادها بالبحث .

*الأسطول في مصر الإسلامية :

كانت صناعة السفن في مصر الإسلامية من أهم الصناعات. فمنذ دخول الإسلام إلي مصر، كان المصريون لهم فضل كبير في بناء البحرية الإسلامية [٨٦]. حيث كانت الخلافة الإسلامية تعتمد على مصر في إنشاء أسطولها الحربي .

قامت صناعة السفن منذ زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤٠-٦٠هـ/٦٦٠-٦٧٩م). وكان يطلق على مكان صناعة السفن اسم "دار الصناعة" ويعني بها دار صناعة السفن، وهذا يدل على مبلغ اهتمام الدولة الإسلامية بالأسطول، ولذا فقد أصبحت الصناعة لديهم تعني في المقام الأول صناعة السفن والأساطيل [٨٧].

يذكر المقريزي[٨٨] إن دار الصناعة كانت بجزيرة الروضة، وأنها أسست في عام ٥٤هـ /٦٧٣م. غير أن الدكتورة سيدة كاشف[٨٩] ترى إن صناعة السفن أنشئت في مصر قبل هذا التاريخ بفترة طويلة، حيث بدأ المسلمون يعنون ببناء السفن منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ /٦٤٣ -٦٥٥م) حيث وقعت معركة ذات الصواري ٣٤هـ /٦٥٤م بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم

انتقلت صناعة السفن إلي سائر العالم الإسلامي،وكان من الطبيعي ــ نظراً للموقع مصر الجغرافي على البحر المتوسط ، والبحر الأحمر،أن تهتم ببناء السفن. لذلك خصصت الدولة غابات الأشجار التي تصنع منها الأخشاب الخاصة بالأسطول ملكًا للدولة[٩٠]. وإذا لم تكفِ هذه الأخشاب فإن الدولة كانت تضطر إلى الاستيراد من الخارج خاصة من بلاد الشام؛ حيث خشب الأرز الشهير. كما كانت تستورد من بلاد الأناضول الأخشاب عند الحاجة إليها، وكانت تستخدم ألياف الكتان المصري في صناعة الحبال وأدوات السفن[٩١].

وكان يتم تجنيد الأقباط في خدمة الأسطول الإسلامي، حيث أشارت بعض أوراق البردي[٩٢] إلى أن الوالي قرة بن شريك كان يطلب من الأقاليم إرسال عمال وصناع وملاحين للعمل في دور الصناعة، وإعداد الأسطول الحربي، وكان معظم هؤلاء الصناع من الأقباط .

فإذا انتقلنا إلى العصر الطولوني (٢٥٤-٢٩٢هـ /٨٧٨-٩٠٥م) نجد أن أحمد بن طولون قد اهتم بالأسطول اهتماماً كبيراً، وزاد اهتمامه به بعد توسع دولته، حيث ضم بلاد الشام؛ وبذلك أصبح في مواجهة الأسطول البيزنطي. فقام ببناء أسطول ضخم يتألف من أكثر من مائة مركب حربي[٩٣]، وكان هذا الأسطول من أقوى الأساطيل في العالم حينئذ .

وبعد وفاة أحمد بن طولون ترك لابنه خمارويه أسطولاً بلغ مجموع سفنه الكبيرة والصغيرة ــ الحربية والتجارية ــ نحو ألف قطعة[٩٤].واستطاع هذا الأسطول أن يحد من غارات الروم البحرية على الثغور الإسلامية خاصة بعد ضعف الخلافة العباسية في بغداد[٩٥].

فإذا انتقلنا إلى الدولة الإخشيدية (٣٢٣- ٣٥٨هـ/ ٩٣٥-٩٦٩م) نجد الإخشيديين اهتموا اهتمامًا عظيمًا بالأسطول، وقام محمد بن طغج الإخشيدي بنقل

دار صناعة السفن من جزيرة الروضة إلى مكان أخر أطلق عليه "دار صناعة السفن"(٩٦) ويذكر المقريزي: إن السبب الذي دفع الإخشيد إلى نقل دار الصناعة ؛ أنه بعد دخوله مصر، ثار عليه بعض الرعية واشتبكوا مع الجيش والأسطول في جزيرة الروضة، ولم يستطع محمد بن طغج أن يقوم برد حاسم ضدهم ،أو القضاء على ثورتهم؛ لأن النيل حال بينهم وبينه، فكره ذلك، وقال: " صناعة يحول بينها وبين صاحبها الماء ليست بشئ "(٩٧) ومن ثم قام بنقل دار الصناعة إلى مكانها الجديد. ومع ذلك كانت السفن تصنع مرة في دار الصناعة بمصر، ومرة في دار صناعة الجزيرة.

*أسطول الدولة الفاطمية

وإذا انتقلنا إلى الدولة الفاطمية (٣٥٨ – ٥٦٧هـ / ٩٦٩ – ١١٧١م) فأننا نجد أن الضرورة السياسية والحربية كانت تحتم على الفاطميين تأمين حدودهم البحرية خاصة بعد امتداد سلطانهم إلى بلاد الشام، حيث حرصوا على بقاء وحدات من أسطولهم بالموانئ المصرية والشامية، خاصة في الإسكندرية ودمياط وعكا(٩٨).

وإذا كان الفاطميون قد وجهوا عنايتهم إلى إعداد جيش قوي، يكون عدة لهم ضد أعدائهم داخلياً وخارجياً، إلا إنهم اهتموا في نفس الوقت بإنشاء أسطول أقوى(٩٩). يتولى حماية البلاد من خطر الروم؛ بالإضافة إلى فرض سيطرتهم على سواحل الشام، وقد بلغ من عناية الخلفاء الفاطميين بالأسطول إن الخليفة الفاطمي كان يشرف بنفسه على دفع نفقات الأسطول. ويذكر المقريزي(١٠٠) إن الخليفة الفاطمي كان يحضر إلى ساحل المقس، ويجلس الوزير إلى جواره، ويحضر صاحب الجيش ، وكاتبه ، والوزانون من بيت المال، ومعهم الأموال ثم يدخلون البحارة كل مائة مع بعضهم ممن يؤدون أعمالاً واحدة أو متشابهة... ويعطي كلاً منهم خمسة دنانير فإذا دفعت نفقات الجند عن آخرها تجهزت السفن، وأخذت أهبتها للسفر".

لقد عنى الخليفة المعز لدين الله منذ قدومه إلى مصر ٣٦٢هـ / ٩٧٢م عناية كبيرة بإنشاء الأسطول، فأكثر من صناعة السفن الحربية، وأنشأ في المقس[١٠١] داراً لصناعة السفن، قال ابن طيء في تاريخه عند ذكر وفاة المعز لدين الله:" إنه أنشأ دار الصناعة التي بالمقس، وأنشأ بها ستمائة مركب لم يُر مثلها في البحر على ميناء"[١٠٢]. حيث كان يرمي من بناء هذا الأسطول الدفاع عن مصر مقر الخلافة الفاطمية، فضلاً عن توسيع دولته، ورغبته في الإبقاء على نفوذ خلافته في الحوض[١٠٣] الشرقي للبحر المتوسط.

وقد وصف المقريزي[١٠٤]. عناية المعز لدين الله الفاطمي بأساطيله وصفاً مسهباً فقال :" لما سار الروم إلى البلاد الشامية بعد سنة خمسين وثلاثمائة (٩٦١م)، اشتد أمرهم بأخذ البلاد ، وقويت العناية بالأسطول في مصر منذ قدوم المعز لدين الله وأنشأ المراكب الحربية، واقتدى به بنوه، وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد، واعتناء بالأسطول، وواصلوا إنشاء المراكب بمدينة مصر، والإسكندرية، ودمياط، وتسييرها إلى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان. وكانت في أيام المعز لدين الله تزيد على ٦٠٠ قطعة".

وقد استطاع هذا الأسطول أن يقوم بدوره في الحروب، فقد رد أطماع القرامطة في حروبهم ضد المعز لدين الله سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م[١٠٥]. وكان يقوم بتوصيل المؤن والذخائر على القوات البحرية الفاطمية بالشام، وبفضل هذا الأسطول وصلت الدولة الفاطمية على أقصى ما وصلت علية من قوة ونفوذ وهيبة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وصدت قواتها البحرية هجوماً بيزنطياً على طرابلس الشام.في سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م.

ولما تولى العزيز بالله (٣٦٥هـ - ٣٨٦هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦م) حكم الخلافة الفاطمية، اقتدى بأبية في الاهتمام بالأسطول، وإعداد القوات البحرية.

واستطاع الفاطميون في عهده الاحتفاظ بسيطرتهم على موانىء الشام ومصر. وكما اهتم العزيز بالله بالأسطول فقد اهتم – كذلك – بتدعيم دور صناعة السفن في المقس، والإسكندرية، ودمياط. وقد وصف عز الملك المسبحي المؤرخ المصري (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) هذا الأسطول بقوله: "إنه بني فيها ستمائة مركب وأنه لم ير مثلها فيما تقدم كبراً ووثاقة وحسناً"،[١٠٦] وكان العزيز بالله يجلب الأخشاب اللازمة لصناعة السفن من مناطق الغابات الموجودة في كثير من مناطق الصعيد بمصر[١٠٧]. ولأن إنتاج مصر من الأخشاب لم يكن كافياً لصناعة السفن، لذلك عمل الخليفة العزيز بالله على استيراد الأخشاب من أوربا، وكثيراً ما كانت تتدخل الدولة البيزنطية لمنع المدن الإيطالية خاصة البندقية[١٠٨] من تصدير الأخشاب إلى الدولة الفاطمية، وكثيراً – أيضاً – ما كانت تشترط الدولة البيزنطية أن يكون ما يصدر إلى مصر من خشب الكافور قليل الحجم.

*حريق الأسطول (٣٧٧هـ/٩٨٧م):

لقد حظيت مصر خلال العصر الفاطمي بأسطول بحري كان من أقوى الأساطيل حينئذ، وقد واصل العزيز بالله سياسته الحربية التي تدعم مركز الفاطميين بالشام معتمداً على قوته الحربية، وأسطوله البحري، فجهز الأسطول للسيطرة على سواحل بلاد الشام، ولصد غارات الروم المتكررة على العالم الإسلامي. غير أن حريقاً عظيماً[١٠٩] شب في هذا الأسطول (٣٧٧هـ/٩٨٧م) وذلك قبل إقلاعه بقليل، ودُمر معظم الأسطول، ومن ثم تعطل سير الحملة، ووصل في نفس العام رسل الإمبراطور البيزنطي "باسيل الثاني"[١١٠]، تحمل هدايا للعزيز بالله، وتطلب منه عقد صلح بين الدولتين، ولم يمتلك العزيز بالله في هذه الظروف إلا أن يجيب مطلبهم، ومن ثم عقدت المعاهدة، التي جاء في شروطها:

(١) أن يطلق البيزنطيون سراح جميع الأسرى المسلمين.

(٢) أن يخطب للعزيز بالله في جامع القسطنطينية كل جمعة.

(٣) أن تعود العلاقات التجارية بين مصر وبيزنطة.

(٤) أن تكون مدة هذه الهدنة سبع سنين[١١١].

ولم يكن هذا آخر حريق تعرض له الأسطول الفاطمي، إذ بعد سنوات قلائل وبالتحديد سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، وقبل وفاة العزيز بالله بقليل، شب حريق عظيم في الأسطول الفاطمي، ومن حسن الحظ أن المؤرخين قد أمدونا بتفاصيل هذا الحريق.

يقول المقريزي[١١٢]: "في أواخر ربيع الآخر (٣٨٦هـ/٩٩٦م) وقعت نار عظيمة في الأسطول الفاطمي، وذلك وقت صلاة الجمعة (حيث كان الناس منشغلين بالصلاة) أتت النار على جميع ما في الأسطول من عدة وسلاح حتى لم يبق منه غير ست مراكب لا شيء فيها، فاقم بذلك الروم الأسرى" ــ وكانوا في دار بجوار صناعة المقس ــ لم يسكت المصريون على هذا الحادث، واقموا أهل الذمة والروم بحريق الأسطول،و إنني أميل إليهم واقم أهل الذمة بالاشتراك مع الروم في حريق الأسطول المصرى، وذلك لسببين:

أولهما: إن الروم كانوا مقيمين بجوار دار صناعة السفن بالمقس مما يسهل عليهم سرعة الوصول والهروب من مكان الأسطول دون أن تشير أصابع الاقام إليهم.

ثانيهما: إن العزيز بالله كان يجهز أسطوله ويستعد لمحاربة البيزنطيين وفي ذلك قديد لدولتهم، خاصة أهم استغلوا وقت انشغال المسلمين بصلاة الجمعة.

وبعد أن ثبتت التهمة عليهم، أخذت جموع المصريين تثور في القاهرة وفي الفسطاط، وعمت البلاد موجه من الاضطراب والعنف، تطالب بقتل الروم، وبقتل كل من اشترك في هذه الجريمة.كما قام المصريون بقتل أكثر من مائة من الروم

الموجودين في مصر، ونهبا الحي الذي يقيمون فيه، ولم يكتف المصريون بذلك، بل مثلوا بجثثهم، ووضعوها في الطرقات[١١٣]- مع أن الإسلام ينهي عن التمثيل- وأخذ من بقى منهم في سجن دار الصناعة بالمقس، ووصل الخبر إلى الوزير عيسى بن نسطورس فذهب إلى هناك، ومعه يانسى الصقلبي، ومسعود الصقلبي صاحب الشرطة.

وأحضروا أهل الذمة من السجن، وتم التحقيق معهم بشأن حريق الأسطول واعترفوا بذنبهم، ولعل أدلة إدانتهم قوية لذلك لم يستطيعوا الإنكار. وأرسل الوزير عيسى بن نسطورس بنتائج التحقيق إلى الخليفة العزيز بالله في القاهرة على وجه السرعة، وذلك لأنه كان يستعد للسفر إلى بلاد الشام لمحاربة البيزنطيين.وجدير بالذكر؛ إن الخسائر كانت تقدر بأكثر من تسعين ألف دينار.

هذا؛وقد أصدر العزيز بالله أوامره بالقضاء على هذه الثورة، وعدم العبث بدار الصناعة، ورد ما نهب منها .وأخذت الشرطة برئاسة يانسي الصقلبي تطوف في الشوارع، وتفتش البيوت لرد ما نهب من دار الصناعة. ويبدوا ـ لنا ـ من الأحداث أن الثورة والنهب كان عظيماً جداً، وأصبح يهدد الدولة، لدرجة جعلت الوزير عيسى بن نسطورس، يأمر بأن من وجد عنده شيء من أمتعة دار الصناعة عوقب أشد العقاب. وبالفعل؛حلت العقوبة ببعض الأشخاص؛ فقتل بعضهم وجلد البعض الآخر. ويبدوا أن العقاب كان شديداً لدرجة جعلت الناس " يدل بعضهم علي بعض فإذا أخذ أحد ممن اتهم بالنهب حلف الإيمان المغلظة أنه ما بقي عنده شيء"[١١٤].

*إعادة بناء الأسطول:

أصدر العزيز بالله أوامره على الوزيرعيسى بن نسطورس ببناء أسطول جديد على وجه السرعة. فاجتهد الوزير في بناء هذا الأسطول، واخذ يطلب الأخشاب من

أنحاء القطر المصري، ويطلب من الناس رد ما أخذوا من الأخشاب لبناء الأســطول الجديد. وقدم بعض المصريين هذه الأخشاب عن طيب خاطر منهم، و البعض الأخر أنكر وجود أخشاب لديه. وجدير بالذكر؛ إن رجال الشرطة كانوا ينادون علي من وجد عنده أخشاب بقولهم:" هذا جزاء مــن أثــار الفــتن ونهــب أمــوال أمــير المؤمنين"[(١١٥)].

وعاش الناس في فزع ووجل، وبات كل شخص خائف على نفسه. وفي صباح اليوم الثاني نؤدي في الناس بالأمان، ونزل عيسى بن نسطورس إلى دار الصناعة وأخذ يشجع الصناع على الإسراع في بناء الأسطول. وينجح الوزير في مهمتــه، ويبحــر الأسطول المصري إلي بلاد الشام لملاقاة الروم، ولكن من المؤسف أن معظــم ســفن الأسطول تحطمت بالقرب من طرابلس الشام، وذلك على أثر هبوب عاصفة شديدة، وأسر الروم بعض رجال الأسطول المصري[(١١٦)]. وبعد قليل توفي العزيــز بــالله في بلبيس وهو في طريقة إلى بلاد الشام ٣٦٨هـ / ٩٩٦م[(١١٧)]، لمحاربة الروم وتــولى بعده ابنه الحاكم بأمر الله.

*اثر حريق الأسطول:

رغم ما كانت تتمتع به مصر خلال العصر الفاطمي عامة – وفترة البحــث خاصة – من ازدهار للحياة الاقتصادية، وظهور الترف والرفاهيــة بــين طبقــات الشعب، وانتشار الرخاء الاقتصادي الذي كان سمة من سمات هذا العــصر، إلا أن عوامل الانهيار، والاضمحلال كانت تطل برأسها من وقت لآخر معلنة عن وجودها وسط الرخاء والازدهار، وكانت تحركها وتساعدها على الظهور عوامل كثيرة لعــل أهمها العنصر البشري[(١١٨)] الذي كان سبباً في وقوع كثير من الكوارث التي هددت الخلافة الفاطمية.

ويمكن القول: إنه كان لحريق الأسطول الفاطمي أثر كبير على انهيار الاقتصاد المصري- خلال تلك الفترة- حيث أحرقت كثير من السفن التي بلغ حجم خسائرها أكثر من تسعين ألف دينار[١١٩]، فإذا علمنا أن عدد السفن في الأسطول الفاطمي قد وصلت إلى ٦٠٠ قطعة[١٢٠]، علمنا حجم الخسائر التي لحقت بالأسطول.

ويحسن بنا أن نذكر بعض أنواع السفن التي تم حريقها، كي نقف على مدى الخسائر التي لحقت بالأسطول الفاطمي من هذا الحريق، مع العلم أن السفن الفاطمية كانت كبيرة ومتنوعة الأغراض منها التجاري، والحربي. ونذكر أمثله لها:

١- الشواني[١٢١]: (جمع شيني **Shini**): وهي أقدم أنواع السفن الحربية، وأهم قطع الأسطول الفاطمي خاصة، وكانت أكبر السفن حجماً، وأكثرها حمولة، وكان الفاطميون يقيمون فيها أبراجاً وقلاعاً مربعة للدفاع والهجوم.

٢- الحراريق[١٢٢]: (مفردها حراقة) وهي مراكب حربية كبيرة، وتستخدم في رمي النار على الأعداء، وكانت تسير بمائة مجداف، وكانت تستعمل في حرق سفن العدو، وكانت تستخدم- كذلك- في النيل للنزهة والحفلات الرسمية.

٣- الطريدة[١٢٣](**Tarida**): وهي السفينة الخاصة بحمل خيول الأسطول، وأكثر ما يحمل بها أربعون فرساً، وكانت تستخدم في البحر المتوسط.

٤- الطرادة[١٢٤]: سفينة حربية صغيرة الحجم، سريعة الحركة والجري، غير مدرعة ، يزيد طولها على سبع أذرع، وعرضها ذراعان ونصف ذراع، وليس لها سقف وتكاد تكون خالية تماماً من المسامير، وهي شبيهة بالبراميل.

٥- الشلندي[١٢٥](**Cholond**): مركب حربي كبير مسطح، يستعان بها في حمل العتاد والجند، وكانت الشلندية من قطع الأسطول الإسلامي.

٦- الغراب[١٢٦]: سميت بذلك لتشابه مقدم السفينة أو رأسها برأس الغراب

وكانت تسير بالقلع والمجاديف، وتصل هذه المجاديف إلى ١٨٠ مجدافاً وتستخدم في حمل الغزاة.

٧- العشاري[١٢٧]: نوع من المراكب يسير بها في النيل، ويجر بعشرين مجدافاً وينقل البضائع والرجال من ساحل إلى أخر، وقد تستخدم في الأسطول الحربي لنقل الجنود والعتاد.

٨- ديماس[١٢٨]: سفينة شراعية كبيرة، تتسع لأكثر من مائة رجل، وكانت تسير في النيل للنزهة، وقد تستخدم في الأغراض الحربية.

٩- الدكاسات: نوع من المراكب تستخدم لنقل الرجال. يقول المقريزي في وصف أحد الأشخاص: "وله ثلاثة مراكب من الدكاسات ولها رؤساء، ونواتيه لا يبرحون، ونفقاهم جارية من مال الديوان"[١٢٩].

هذه نماذج بسيطة لأنواع السفن الفاطمية، التي تم إحراقها في عام ٣٨٦هـ/٩٩٦م، ولا يخفى علينا أن هذا الحريق كان له أثر كبير على الاقتصاد المصري خلال تلك الفترة. ويعجب المرء من موقف العزيز بالله من أهل الذمة– خاصة الروم– حيث عفا عنهم، ولم يتعرض لهم بسوء، على الرغم من اعترافهم بالجريمة، ويزداد الإعجاب بشخصية العزيز بالله إذ علمنا أنه أمر برد ما أخذ من أهل الذمة، أثناء التحقيق معهم.

وفي رأيي أن ذلك يرجع لسببين:

أولهما: حلم وصفح العزيز بالله الذي اشتهر به في كتب التاريخ، وصار علماً عليه، حتى أن المسبحي قال: "إن حلم العزيز بالله لم يسمع بمثله قط من ملك"[١٣٠].

ثانيهما: إن العزيز بالله كان يخشى من كساد التجارة المصرية، خاصة إذا علمنا أن هؤلاء التجار كانوا يكثرون التردد على مصر، كما كانوا يجلبون معهم أغلى التحف، وأغلى أنواع المجوهرات؛ فضلاً عن صنوف المتاع المتنوعة. لذل أبدي

الخليفة العزيز بالله نحو هؤلاء التجار تسامحاً عظيماً، وأمر بمعاملتهم معاملة حسنة، وصار لهم مكانة كبيرة عنده[١٣١]، حتى إن بعضهم قام بدور عظيم في مجال التجارة بين مصر ومختلف دول العالم حينئذ.

بقي أن نقول: إنه كان من أثر حريق الأسطول الفاطمي قيام المصريين بثورة عامة في مدينة القاهرة والفسطاط، قتل فيها نحو مائة وستين رجلاً من تجار الروم[١٣٢]، وهاجم الثوار منازل الروم، وخربوها، واعتدوا على الكنائس الملكانية والنسطورية[١٣٣]، وتعرضت سلعهم للإتلاف، وتعرض التجار الأجانب الذين قدموا بالسلع إلى مصر، لبعض التضييق، ولحقهم بعض الأذى. ولكن الخلافة الفاطمية سرعان ما قضت على هذه الثورة، وعادت الأمور إلى سيرتها الأولى. ولكن يكفي المصريون ـ فخراً ـ أنهم عبروا عن غضبهم بثورة كبيرة ووصلت أصواتهم إلى مسامع الخلافة الفاطمية.

هوامش الفصل الثاني:

١- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٢٣٧.

٢- ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥ ص٣٧٢، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ١٠، ص١٢٩.

٣- د/ سمير عبد الفتاح رزق: مصر في عهد العزيز بالله الفاطمي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربيــة، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، ١٤٠٥-١٩٨٥م، رقم(١١٩٣)، ص١٠.

٤- ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص١٢٥، وكتابه مورد اللطافة، جـ ١، ص٢٧٢.

٥- ابن تغرى بردي:نفس المصدر،نفس الجزء ص١٢٥.

٦- الأدفوى: الطالع السعيد، ص٣٤.

٧- قامت ضد العزيز بالله عدة ثورات في بلاد الشام شغلت الخلافة الفاطميـــة فتـــرة طويلـــة، انظـــر التفاصيل: عريب بن سعيد: صلة تاريخ الطبري، ص١٨١-١٨٣، ابن القلانـــسي: ذيـــل تـــاريخ دمشق، ص٢١-٢٢.

٨- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٢٤٥، وكتابه: المقفى الكبير، جـ٣،ص٦٢.

٩- ابن ميسر: المنتقى، ص ١٧٣، النويري: نهاية الأرب، جـ٢٨، ص١٦٣.

١٠- كانت من العادات المتبعة في هذه العصور بعد القبض على الثائر أن يُشهر على جمل ويطاف بـــه، وكانت القاهرة تزين بأحسن زينة، وكان بها شيخ يقال له الأبزارى إذا خرج ثائر- بعـــد القـــبض عليه- يضع له طرطور فيه ألوان كثيرة مصبوغة، وقرد يجعل في يده دره ويعلمه أن يضرب بها الثائر ويعطى على ذلك مائة دينار وعشر قطع قماش. ابن تغرى بـــردى: النجـــوم الزاهـــرة، جــــ٤، ص٢١٦.

١١- ابن أيبك الدواداري: الدرة المضينة، جـ٦، ص٢٣٦.

١٢- ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ١٩٦.

١٣- الأدفوى: الطالع السعيد، ص٣٨.

١٤- اختلفت المصادر التاريخية في كتابة هذا الاسم هكذا: الفتكين،ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمـــشق، ص١٠، ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٣٥٥، عريب بن سعيد: صلة تاريخ الطـــبري، ص٢٩٨، يحي بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، ص١٧٢، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٣٥٩. وبعضهم ذكره: هفتكين، ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة ص٨٨، الذهبي: تاريخ الإسلام، جــــ٩، ص٢٦١- ٢٦٨، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص٣٠٧، العبر، جـ٢، ص٣٤٩، ابـــن أيبـــك، الدرة المضينة، جـ٦، ص١٧٨، ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٣، ص٦٧-٦٨، ابن تغـــرى بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١٣٣، المقريزي: المقفى الكبير، =جــــ٣، ص٩٠. وبعـــضهم ذكره: افتكين، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥، ص٣٧١-٣٧٤، أبي الفدا: المختصر في أخبار

البشر، جـ٢، ص١٥٥، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، جـ١، ص٤١٥، النويري: نهاية الأرب، جـ ٢٨، ص١٥٤، بن خلدون: العبر، جـ٤، ص٥٢، القلقشندي: مآثر الإنافة، جـ٢، ص١٠٧، المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٢٣٩. وبعضهم ذكره: بأنتك التركي، ابن حماد: ملوك بني عبيد، ص٩٣. والصحيح هو (ألب تكين) أي عبد جلد ويجوز القول (ألف) بدلاً من (ألب) فالباء والفاء سواء في الأسماء المعربة عن التركية، د/ محمد علي عتاقي: العلاقات الخارجية للفاطميين في مصر (٣٨٥-٤٨٧هـ) رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، تحت رقم(٢٢٩٧)، ص٢٦.

١٥- ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥، ص٢٢٤-٢٢٧، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ، جـ٤، ص٥٠-٥١.

١٦- ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٣، ص٥٢-٥٣، ابن أيبك: الدرة المضيئة، جـ٦، ص١٧٣.

١٧- النويري: نهاية الأرب، جـ٢٥، ص٣١٥، جـ٢٨، ص١٥٥.

١٨- ابن الصيرفي: الإشارة، ص٢١، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٧، ص٢٧.

١٩- اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٢٣٩.

٢٠- الشماسية: منسوبة إلى بعض شماس النصاري وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد، كانت فيها دار معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بوية، وهي محلة بدمشق. ياقوت: معجم البلدان، جـ٣، ص٢٦١.

٢١- عن تفصيل هذه الحرب انظر: عريب بن سعيد: صلة تاريخ الطبري، ص٤٤٧- ٤٤٨، يحي بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، ص١٨١- ١٨٢، ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٥-١٦،، ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٣٥٦- ٣٥٨.

٢٢- النويري: نهاية الأرب، جـ٢٨، ص١٥٨.

٢٣- ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٣٥٨،ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٣٦١.

٢٤- الروذراورى: ذيل تجارب الأمم، جـ٣، ص٢١١، أبي الفدا: المختصر، جـ٢، ص١٢٢، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، جـ١، ص٤٢٠- ٤٢١، ابن أيبك: الدرة المضيئة، جـ٦، ص١٩٥- ١٩٦، ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص٥٣.

٢٥- ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٣٧٤.

٢٦- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧.

٢٧- ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٣٧٤، المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٢٥٤.

٢٨- اختلفت المصادر التاريخية في كتابه هذا الاسم هكذا: بلتكين، ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٦، ابن أيبك: الدرة المضيئة، جـ٦، ص٢٠٥، ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص٥٣، المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٥٦. وبعضهم ذكره: بكتكين، أبي الفدا: المختصر، جـ ٢، ص١٢٢، ابن

الوردى: تاريخ ابن الوردى، جـ١، ص٤٢٧، القلقشندي: مآثر الإنافة، جـ٢، ص١٠٧. وبعضهم ذكره: تكين، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١١٤.

٢٩- من هذه الثورات: ثورة بنى الجراح بقيادة المفرج بن دغفل الطائي ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م.انظر التفاصيل في: ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي جـ١، ص٤٢٤- ٤٢٧، المقريزى: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٢٥٢- ٢٥٤.

٣٠- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٥.

٣١- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٢٥٨.

٣٢- يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي ، ص ٢٠١، ويقول أنه دخل بغير أمان، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، جـ١، ص٤٢٤، ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٣، ٨٧.

٣٣- ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١١ ،ص ٣٧٤.

٣٤- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١٢٥،ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١،ق١، ص١٩٦.

٣٥- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ٢٥٤.

٣٦- ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر، ص ١٧١.

٣٧- الكامل، جـ٧، ص ٣٩٥.

٣٨- في سنة ٣٥٢هـ خطب للمطيع لله الخليفة العباسي في مكة، وفي سنة ٣٥٦هـ خطب فيها = لبختار بن معز الدولة بعد موت أبية. وفي سنة ٣٦٠هـ جهز المعز الفاطمي جيشاً من إفريقية لإقامة الخطبة له بمكة، فبادر الحسن بن جعفر بن الحسين بن سليمان من المدينة وملك مكة وخطب له بها، وكتب إليه المعز بالولاية وخرجت مكة من طاعة العباسيين. انظر دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص١٦، القلقشندي: مآثر الإنافة جـ٢، ص ١٠٤.

٣٩- ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص ٣٨٠.

٤٠- ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١،ص٣٧٢.

٤١- ابن أيبك: الدرة المضيئة، جـ٢، ص ١١٩.

٤٢- وهو الحسن بن موسى بن جعفر الحسيني. د/ محمد علي عتاقي: العلاقات الخارجية للفاطميين، ص٧٦.

٤٣- ابن الأثير: الكامل، جـ٧ ص٣٦٢، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٣٦٢.

٤٤- المقريزي : اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٢٨١.

٤٥- د/ محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية، ص١٥٣ – ١٥٥، أحمد أمين، ظهر الإسلام، مطبعة خلف، القاهرة، ١٣٧٧ هـ -١٩٥٨ م، جـ١، ص٢٠٥-٢٠٨.

٤٦- ابن ظافر الأزدي : أخبار الدول المنقطعة، ص ٨٩-٩٣، ١١٢.
٤٧- اليافعي :مرآة الجنان، جـ٢، ص ٤٣١.
٤٨- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ٣، ص١٢١ .
٤٩- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١١٦ .
٥٠- ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ص٨١-٨٣، جـ ٥، ص٣٧٣.
٥١- النويري : نهاية الأرب، جـ٢٥، ص٢٢٨، جـ٢٨ ، ص٦٤.
٥٢- ابن خلدون:المقدمة، ص١٥.
٥٣- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٥٢، الخطط،جـ٢، ص١٥٩، المقفى الكبير، جـ٤،ص ٥٢٥ – ٥٢٩.
٥٤- السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص١١٤-١١٥.
٥٥- القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،ص١٤٥.
٥٦- د/ عبد الحليم عويس : قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٨٥، ص١٨-٢٠.
٥٧- د/ إبراهيم شعوط : أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص٣٢٦.
٥٨- د/محمد على عتاقي: الحياة العلمية بمصر في عهد العبيديين (الفاطميين) الأول (٣٥٨-٤٨٧ هـ)، ص٥١.
٥٩- ذكرت المصادر التاريخية هذه الأبيات مع اختلاف بسيط بينها، ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ٥، ص ٣٧٣، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ ١٠،ص١٣١، اليافعي : مرآة الجنان، جـ٢، ص ٤٣١، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، جـ٤،ص١١٦ ومورد اللطافة، جـ١، ص ٢٦٩، السيوطي : تاريخ الخلفاء،ص٤.
٦٠- المقريزي : الخطط، جـ٢، ص ٣٩٢، جـ ٤ ، ص ٦١-٦٢ .
٦١- ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقية، ص ٨٥ .
٦٢- الملكانية: إحدى مذاهب النصارى، وهم الذين قالوا : إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وأن الله تعالى ثلاثة أشياء: أب وابن وروح القدس، وأن عيسى عليه السلام إله تام كله وإنسان تام كله . ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، جـ٢، ص٤٨، الشهرستاني: الملل والنحل،جـ١،ص٢٢٢.
٦٣- يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٣.
٦٤- ابن الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة، ص٢١-٢٤، الذهبي : سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص ٤٤٢-٤٤٤.
٦٥- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص ٢٦٩، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١٥٨

٦٦- أبي شجاع : ذيل تجارب الأمم، جـ٣، ص١٨٦ .

٦٧- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٣٢.

٦٨- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ، جـ٤، ص ٥٣، المقريزي : الخطط، جـ ٣،ص ١٥.

٦٩- هو: أبو نصر عبد الله بن الحسين القيرواني كاتب الإنشاء في عهد العزيز بالله . المقريزي : اتعاظ الحنفا، جـ١، ص ٢٩٨

٧٠- ابن الأثير : الكامل، جـ٧، ص٤٧٨، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ١٧٨ .

٧١- د/محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، ص ٣٠٩-٣١٢، أحمد أمين : ظهر الإسلام، جـ١، ص ٢١٥.

٧٢- د/أحمد سيد محمد : الشخصية المصرية، ص٣٤.

٧٣- نص علماء الشريعة الإسلامية على أنه لا يجوز استعمال أهل الذمة في شيء من ولايات المسلمين وأمورهم إلا في حالة الضرورة وأن الأولى استعمال المسلمين . ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة، جـ١،ص ٢٠٨، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٥٠ .

٧٤- المقريزى: اتعاظ الحنفا، جـ ١، ص ٢٨٣.

٧٥- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣.

Mann: the Jews in Egypt. 19.

٧٦- د/ سمير عبد الله سليمان: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي(٣٥٨ـــ ٥٦٧)،رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية بالقاهرة،قسم التاريخ و الحضارة،جامعة الأزهر،١٩٩٦،رقم (١١٧١٩)،ص٢٥.

٧٧- إن أمر صلب عيسى بن نسطورس، لا يعنى موته، حيث عهد إليه العزيز بالله بالوزارة مرة أخرى واشترط عليه أن يستخدم المسلمين في الدواوين وسائر الأعمال، ولعل أمر الصلب هذا تمدنه للرأي العام المصري، وخوفا من إثارة حفيظة المسلمين. د/حسن إبراهيم : الدولة الفاطمية، ص٢٠٣.

٧٨- المقريزي: الخطط، جـ١،ص ٧٨-٨٠.

٧٩- المقريزي : اتعاظ الحنفاء، جـ١، ص٢٩٦.

٨٠- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١٢٥.

٨١- الأدفوى: الطالع السعيد، ص٣٤.

٨٢- المقريزي : اتعاظ الحنفاء،جـ١، ص٢٧٣.

٨٣- المقريزي : المقفى الكبير، جـ٧، ص٣٤٩.

٨٤- يحيى بن سعيد : تاريخ الأنطاكي، ص٢٠٢ .

٨٥- المقريزي : اتعاظ الحنفا،جـ١،ص٢٤٢،الخطط، جـ٢،ص٢٦.

٨٦- د / سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام، ص٩٠.

٨٧- د/سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار الكاتب العربي، القاهرة، ص٣١٣.
٨٨- المقريزي : الخطط، جـ٢، ص٣٠٩ .
٨٩- د/ سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام، ص٩٠ .
٩٠- المقريزي : نفس المصدر، ونفس الجزء، ص٣٠٩ .
٩١- ابن زولاق : فضائل مصر، ص٦٤.
٩٢- د/ سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام، ص٩٢، جروهمان: أوراق البردي العربية في دار الكتب المصرية،جـ٣، ص٢٤-٢٧.
٩٣- المقريزي: الخطط ، جـ٢،ص ٣١٩.
٩٤- ابن إياس: بدائع الذهور، جـ ١ ،ق١، ص٤٠.
٩٥- د/سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية، ص١٦٨-١٦٩ .
٩٦- د/ سيدة كاشف: مصر في عصر الإخشيديين ،ص ٢٤٩-٢٥٠ .
٩٧- الخطط، جـ٣، ص٣٢٠ .
٩٨- د/ ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص ٢٨٤، وكتابه: نظم الفاطميين، جـ٢، ص٢١٩.
٩٩- د/ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، جـ٣، ص٢٩٦.
١٠٠- المقريزي: الخطط، جـ٣، ص٣١٣.
١٠١- المقس: ضيعة تعرف باسم " أم دنين" تقع على ساحل النيل وجعلها المعز الفاطمي مرفأ صناعياً، وعرفت باسم " المكس" نسبة للدراهم ثم قيل المقس، ياقوت: معجم البلدان: جـ ٣ ، ص١٢٣.
١٠٢- المقريزي:المصدر السابق، جـ٢، ص٣١٧.
١٠٣- د / صابر دياب: سياسة الدولة الإسلامية، ص١٧٣.
١٠٤- الخطط، جـ٣، ص٣١٣، ٣١٤.
١٠٥- النويري : نهاية الأرب، جـ٢٥، ص٣٠٥، وجـ٢٨، ص١٤٥.
١٠٦- د/ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، جـ٣، ص٣٧٤.
١٠٧- ابن زولاق: فضائل مصر، ص ٦٤ -٦٥.
١٠٨- د/ سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص ١٩٣ - ١٩٤.
١٠٩- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٢٩٠.
١١٠- د/ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٣٢٩.
١١١- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١٥٢.
١١٢- الخطط، جـ٤، ص٣١٧.
١١٣- المقريزي : نفس المصدر، جـ٣، ص٣١٧ - ٣١٨.
١١٤- المقريزي : نفس المصدر، جـ٣، ص ٣١٨.

١١٥- المقريزي : نفس المصدر، ونفس الجزء، ص ٣١٨.

١١٦- المقريزي:اتعاظ الحنفا، جـــ١، ص٢٩١.

١١٧- ابن الأثير: الكامل، جـــ٧، ص ٤٧٩، ابن أيبك: الدرة المضيئة، جـــ٦، ص٢٣٩.

١١٨- د/ أمينة الشوربجي: رؤية الرحالة المسلمين، ص٤٦٣.

١١٩- المقريزي: الخطط، جـــ ٣ ، ص٣١٣، ٣١٤، ٣١٨.

١٢٠- د/ ماجد: نظم الفاطميين، جـــ١، ص٢٢٢.

١٢١- د/ سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية، ص٢٣٥.

١٢٢- المقريزي: المصدر السابق،نفس الجزء، ص١٩٢، د/ ماجـــد: المرجـــع الـــسابق،نفس الجـــزء، ص٢٢٢.

١٢٣- د/ سعاد ماهر: نفس المرجع، ص٣٥٤، د/ ماجد: نفس المرجع،نفس الجزء، ص٢٢٣.

١٢٤- د/ صابر دياب: سياسة الدولة الإسلامية، ص١٠٩.

١٢٥- د/ سعاد ماهر: نفس المرجع، ص٣٥٢، د/ ماجد: نفس المرجع،نفس الجزء، ص٢٢٣.

١٢٦- د/ سعاد ماهر:نفس المرجع، ص٣٥٩، د/ ماجد: نفس المرجع، ص٢٢٢.

١٢٧- المقريزي: الخطط، جـــ٣ ص٣١٨، د/ سعاد ماهر:نفس المرجع، ص٣٥٦.

١٢٨- المقريزي: نفس المصدر، نفس الجزء، ص٢١٨، د/ ماجد: المرجع السابق، ص٢٢٤.

١٢٩- المقريزي:نفس المصدر، نفس الصفحة، د/ سعاد ماهر: نفس المرجع، ص٣٤٢.

١٣٠- ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، جـــ٤، ص١٢٥، وكتابه: مورد اللطافة، جـــ١، ص٢٧٢.

١٣١- د/ فاطمة مصطفى: تاريخ أهل الذمة، جـــ٢، ص١٢٦.

١٣٢- يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، ص٢٠٣.

١٣٣- النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن الخليفة المأمون وتـــصرف في الأناجيـــل برأية وقال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم والحياة. ابن حزم: الفصل في الملل، جـــ٢، ص٤٩، الشهر ستاني: الملل والنحل، جـــ١، ص٢٢٤.

الفصل الثالث

"الثورات في عهد الحاكم بأمر الله"

(٣٨٦ - ٤١١هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠م)

*مقدمة:

إذا انتقلنا إلى عصر الحاكم بأمر الله نجد هناك مميزات عامة أمتاز بها هذا العصر، وسمات شخصية امتاز بها الحاكم بأمر الله، فقد شهدت فترة حكمه كثيراً من الاضطرابات والثورات. فهناك الثورات: السياسية، والاقتصادية والطائفية، والدينية. وقد يكون هذا أمراً طبيعياً، بعد فترة الهدوء - النسبي - التي سادت عصر العزيز بالله (٣٥٦ - ٣٨٦هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦م)، وذلك لما اشتهر عنه من حب العفو والعدل بين الرعية.

الحاكم بأمر الله:

أبو على منصور بن العزيز بالله أبي المنصور نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد. تجمع المصادر التاريخية[١]. على أنه ولد في عام (٣٧٥هـ / ٩٨٥م) بالقاهرة المعزية، وتربي بين ربوعها، وقد عنى العزيز بالله بتعليمه وتربيته، يصف المؤرخون الحاكم بأمر الله بأنه كان شخصية مؤثرة، جهور الصوت[٢]. فارع الجسم ذو عيون زرقاء مخيفة، يثير الرهبة والخوف في نفوس أعدائه. ولي الخلافة الفاطمية بعهد من أبية (٣٦٨هـ /٩٩٦م)، وجعل برجوان، والحسن بن عمار، وصياً عليه؛ وكان عمر الحاكم بأمر الله حينئذ أحد عشر عاماً. ونستطيع القول: إن الحاكم بأمر الله قد اتصفت بصفات لم نعثر عليها في غيره: ومنها الشجاعة، والإقدام والعفو، وسفك الدماء، واضطهاد جميع طوائف الشعب من أهل السنة، وأهل الذمة والشيعة. فهو

شخصية يكتنفها الغموض، فالحكم عليه وعلى عصره كان – ومـــا زال – موضـــع خلاف بين المؤرخين.

وكما حير الحاكم بأمر الله المؤرخين في حياته فقد حيرهـــم – كـــذلك – في سبب موته. فقد ذكر بعض المؤرخين الشيعة[٣]؛ إن وفاة الحاكم كانـــت طبيعيـــة، وذلك بعد أن سلّم الخلافة لولده الظاهر. بينما اختلف مؤرخو السنة في سبب وفـــاة الحاكم، على أقوال وروايات كثيرة؛ والمهم – لدينا – الرواية التي ذكرها ابن تغري بردي، وهي:إن أخته السيدة ست الملك. قد قامت بتدبير قتله، بسبب خوفها من " أن يثور المسلمون عليه فيقتلوه ويقتلونا معه، ــ على حد قولها ــ وتنقـــضي هـــذه الدولة (الفاطمية) أقبح انقضاء"[٤]. فهل الخوف من ثورة المصريين هو الذي دفـــع ست الملك إلى قتل أخيها؟؟ هذا ما نحاول التعرف عليه.

المبحث الأول

(الثورات السياسية)

تنقسم الثورات السياسية في عهد الحاكم بـأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ/ ٩٩٦- ١٠٢٠م) إلى ثورات داخلية - وهي قليلة - وخارجية؛ وشملت أماكن كثيرة ومتفرقة في أنحاء الخلافة الفاطمية. ولنبدأ بالثورات الداخلية:

(أ) الثورات الداخلية:

لم يخل عصر الحاكم بأمر الله من ثورات داخلية؛ كانت تحاول قلب نظام الحكم وخلع الحاكم من الخلافة الفاطمية. وإن كانت هذه الثورة قليلة، ولكنها تثبت أن الشعب المصري ، وأمراء البيت الفاطمي كانوا يثورون في وجه الخليفة، ويحاولون التخلص منه بسبب ظلمه لهم. يحدثنا المقريزي[٥]. إنه في عام (٣٩٢هـ/ ١٠٠١م) خرج " عبد الأعلى بن الأمير هاشم بن المنصور". مع جماعة من أمـراء الفـاطميين وبعض المصريين إلى ضيعة خارج القاهرة للنزهة، وجرى بينهم حديث طويل عن ظلم الحاكم، وعسفه فقال أحدهم للأمير عبد الأعلى: " لا بد لك من الخلافة (الفاطمية) فأنت إمام العصر " ويبدو أن هذه الكلمات قد لعبت برأس الأمير، وصادفت هوى في نفسه، حتى إنه أخذ يوزع ولاية الأعمال على خاصته، ورجاله من شباب كتامة،،وكان منهم: ابن غرة الكتامي، وعباس بن زبيري الكتامي، والمقداد بن جعفر الكتامي، وعلي بن سليمان الكتامي، وابن حمور الكتامي، وغيرهم.

ولعل الحاكم بأمر الله كان يحس بخطر هؤلاء على الخلافة، خاصة وأن اجتماعهم كان - دائماً - يُعقد خارج القاهرة. فبعث عيوناً له، كانوا في خدمة الأمير " عبد الأعلى" وأخبروه بما دار في مجلسه. ثم بعث الحاكم إلى أمير يدعوه إلى قصره ، ودار بينهم حديث طويل عن أمر المجلس الذي عقده الأمير لطلب الخلافة،

واعتذر للحاكم الذي لم يقبل عذره، وأمر بضربه بالسيف. ثم حُمل الأمير إلى منزلـه والحاكم يظن أنه قتله.

وبعد أيام قليلة كتب الأمير " عبد الأعلى" إلى الحاكم يعتذر إليه، ويخبره بأن الضربة كانت سالمة، ويسأله أن يبعث إليه بطبيب، واستجاب الحاكم لطلبه وبعـث إليه بطبيبه الخاص، الذي عالج الأمير حتى برأ من مرضه.

ويبدو– لي – أن الأمير بعد أن سلم من هذه الضربة القاتلة، لم يتـرك أمـر الخلافة. حيث اجتمع مع بعض شباب كتامة – مرة ثانية – بعيـداً عـن القـاهرة، وأخذوا يخططون لخلع الحاكم من الخلافة الفاطمية، وتـسليمها إلى الأمـير " عبـد الأعلى بن هاشم". وعندما علم الحاكم بهذا الاجتماع قرر التخلص مـن المتـآمرين، فبعث إلى الأمير من قام بقتله في الحمام. كما أمر بقتل كل من اشترك معه في هـذه المؤامرة ونذكر منهم[٦]: ابن المغازلي المنجم، وأبو غالب أخو فهد بن إبراهيم، وأبـو إبراهيم سهل بن كلس أخو يعقوب الوزير، وإسماعيل بن سوار صاحب برجـوان، ويحيى بن سليمان الكتامي، وابن قنطرية الكتامي، بالإضافة لبعض المصريين.

وهكذا استطاع الحاكم أن يقضي على هذا الانقلاب المدبر ضده ولو قُدّر لهذا الانقلاب أن ينجح لتغيير تاريخ الخلافة الفاطمية. وأستطيع القول: إنه بعد القـضاء على الأمير " عبد الأعلى" ومن اشترك معه، لم يشهد عصر الحاكم أية محاولة أخرى لخلعة من الخلافة.

(ب) الثورات الخارجية:

شهد عصر الحاكم بأمر الله (٣٨٦ – ٤١١هـ / ٩٩٦ – ١٠٢٠م) كثيرًا من الثورات الخارجية في بلاد الشام، ومكة، وبرقة. وكان لهذه الثورات أثـر كـبير على الحياة الاقتصادية، والسياسية.

(١) ثورة بني الجراح ٣٨٨هـ/٩٨٨م:

قامت سياسة الفاطميين في بلاد الشام على توطيد النفوذ الفاطمي هناك، فقد استطاع كل من المعز والعزيز أن يقضى على الثورات التي ظهرت في بلاد الشام، ومع ذلك فإن عرب الشام كانوا في عداء مستمر مع الفاطميين. ففي أوائل خلافة الحاكم حاول بنو طيئ بفلسطين تكوين إمارة مستقلة لهم، وذلك بقيادة الثائر المفرج بن دغفل، والذي استغل حروب الفاطميين مع الروم، وصغر سن الحاكم، فأعلن الاستقلال بمدينة الرملة.

كان برجوان هو الوصي على الحاكم في ذلك الوقت، وعندما علم بثورة المفرج أرسل جيشاً ضخماً بقيادة "جيش بن الصمصامة" الذي أسرع بالخروج حتى وصل إلى مدينة الرملة، وحاصرها، حتى سقطت في يديه. وفر الثائر المفرج بن دغفل، ولم يعلم مصيره، حتى بعث في طلب الأمان(٧) من الحاكم، فعفا عنه وأمّنه، وعاد الاستقرار إلى بلاد الشام.

ولكن هذا الهدوء لم يستمر طويلاً، إذ تجددت الثورة مرة ثانية عام (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) بزعامة "حسان بن مفرج بن دغفل" الذي استطاع الاستيلاء على جنوب الشام ووصلت قواته حتى مدينة الفرما المصرية، وقاموا بمهاجمة السواحل الفاطمية وعم السلب والنهب والقتل في المدينة. واستدعى حسان بن مفرج، أبا الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى أمير مكة، وبايعه بالخلافة، وزاد خطر الثوار.

*القضاء على الثورة:

أحس الحاكم بالخطر الذي يهدد الخلافة الفاطمية خاصة بعد تحالف عرب الحجاز وعرب الشام. واستغل الروم هذه الأوضاع فقاموا بمهاجمة السواحل الفاطمية، كما استغل العباسيون هذه الأحداث، فأعلنوا تأييدهم للثوار.

حاول الحاكم القضاء على هذه الثورة، بالمكر والخديعة ،فعمل على تفرقـــة الثوار واستمالتهم بالمال. ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل. فأرسل إلـــيهم جيـــشاً فاطمياً قوياً، وصل قوامه عشرين ألف جندي، وأعطى القيادة إلى "على بن جعفر بن فلاح" وأمر الجيش الفاطمي الموجود في دمشق والسواحل بالانضمام إلى القائد على.

تحرك الجيش الفاطمي من القاهرة في ٧ شوال ٤٠٤هـ/١٠١٣م ووصل إلى مدينة الرملة مركز الثورة. ودارت المعركة بين الجيش الفـــاطمي والثـــوار، انتـــهت بانتصار الفاطميين وفرار حسان بن مفرج. واســـتيلاء الفـــاطميين علـــى أموالـــه وذخائره[٨].ثم سار الجيش الفاطمي إلى دمشق، وأعلن سيطرته عليها. وبقى حـــسان شريداً طريداً فترة من الزمن، حتى جاء إلى القاهرة في ثياب كان الحاكم أهداها لأمة، وطلب العفو والصفح، فعفا الحاكم عنه وأمَّنه.

وهكذا استطاع الحاكم أن يقضى على أكبر ثورة قـــام بهـــا عـــرب الـــشام والحجاز، واستطاع أن يعيد النفوذ الفاطمي إلى بلاد الشام، ونـــستطيع أن نـــوجز أسباب انتصار الفاطميين على أعدائهم (الثوار) لعدة عوامل منها:

(١) قوة الجيش الفاطمي الذي وصل إلى عشرين ألف جنـــدي، وحُـــسْن إعداده.

(٢) ضعف الروح المعنوية للثوار، بعد مقتل زعيمهم "المفرج بـــن دغفـــل" الذي مات على أثر السم الذي وضعه له كاتبه ابن المـــدبر في طعامـــه بتوصية من الحاكم بأمر الله.

(٣) تفرقة كلمة الثوار بعد فرار زعيمهم حسان بن مفرج، فقرروا تـــسليم المدينة للقائد على بن جعفر بن فلاح.

*أثر الثورة على الحياة السياسية:

أستطيع القول: إنه كان لثورة بني الجراح أثر كبير على سياسة الفاطميين الخارجية. فإذا عرفنا أن الثورة استمرت منذ عام (٣٨٨هـ/٩٩٨م) وحتى عام (٤٠٤هـ/١٠١٣م) علمنا خطرها، حيث أدت إلى: ضعف النفوذ الفاطمي في بلاد الشام، وإغارة الروم على هذه البلدان، و قتل كثير من أهلها. بالإضافة إلى انتشار النهب والذعر بين السكان، مما اضطرهم إلى الهجرة وترك ديارهم. وأخيراً، أدت إلى ضعف شأن بني الجراح في فلسطين، وتشديد قبضة الحاكم على بلاد الشام خوفاً من تجدد الثورة.

(٣) ثورة علاقة الملاح ٣٨٨هـ/٩٩٨م:

دائماً في كل عصر يظهر بعض الأشخاص ضعاف النفوس، يحاولون الوصول إلى الحكم بأية وسيلة، وفي مقابل السلطة يضحون بكل غال، ولو لزم الأمر فإنهم يتحالفون مع أعداء الإسلام. المهم عندهم هو الوصول إلى السلطة. وهذا ما ينطبق على علاقة صاحب الثورة. فمَن علاقة؟ وما أسباب ثورته؟؟

لم تمدنا المصادر التاريخية[٩]بالكثير عن حياة علاقة، ولكن نستطيع القول: إنه كان يعمل ملاحاً في مدينة صور، وكان يتقرب إلى أهالي المدينة. وعظم أمره عندهم فدعاهم إلى الثورة، وكان يطمعهم في خيرات الشام، فاستجابوا له، وبايعوه بالزعامة. ويمكننا أن نرجع ثورة علاقة إلى عدة أسباب:

أولاً: اضطراب العلاقة بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية، فما أن يتم التوصل إلى عقد صلح بين الطرفين حتى ينقضي. فكانت العلاقة بين الدولتين- دائماً - يشوبها التوتر، واستغلال الفرص، فانتهز علاقة هذا الوضع، وانضم إلى البيزنطيين.

ثانياً: اضطراب السياسة الفاطمية في بلاد الشام بسبب قيام ثورة بني جراح الذين أعلنوا تمردهم وثورتهم ضد الخلافة الفاطمية.

ثالثاً: الخلاف القائم بين برجوان، والحسن بن عمار، وقد أثر هذا على سياسة الفاطميين في بلاد الشام، فانقسم الجند بين مؤيد ومعارض لكل من الحسن بن عمار أو برجوان.

رابعاً: الطموح الشخصي عند علاقة، والذي كان حسن السيرة، عادلاً، محبوباً بين أهل صور.

*أحداث الثورة والقضاء عليها:

بدأت ثورة علاقة بقتله لجماعة من المغاربة، وفرار الباقي من مدينة صور، ثم قام بسلك عملة تحمل اسمه ؛ كتب عليها " عز بعد فاقة للأمير علاقته" ثم أرسل إلى الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني الذي تسمية المصادر العربية الدوقس يطلب مساعدته للوقوف ضد الفاطميين، وعرض على الإمبراطور تسليم مدينة صور على أن يظل حاكماً عليها، ورأى الإمبراطور أن الفرصة أصبحت مواتية له لفرض سيطرته على بلاد الشام، وخاصة مدينة صور، تلك المدينة التي كانت تخرج منها المراكب الفاطمية لغزو بلادة، فاستجاب لدعوة علاقة، وأرسل إليه أسطولاً حربياً للدفاع عن مدينته، ولتقديم المساعدة للثوار.

رأى برجوان – الذي تخلص من الحسن بن عمار، وتولى الوساطة والوصاية على الحاكم– أن الأمر في بلاد الشام ينذر بالخطر، فجهز جيشاً فاطمياً بلغ قوامه ألف رجل أعطى القيادة العامة إلى " جيش بن محمد بن الصمصامة" الخبير بأمور الشام، وزوده بالأموال، وجعل الجيش الفاطمي في بلاد الشام تحت إمرته، كما أمر الأسطول الفاطمي المرابط في سواحل البحر المتوسط ليكون في خدمته.

تحرك الجيش الفاطمي من القاهرة، حتى وصل إلى الرملة، وهناك قسم القائد " جيش بن الصمصامة" الجيش إلى فرقتين الأولى: تسلك الطريق البرى، وتقوم بفتح مدينة صور والقضاء على ثورتها، وكان قائد هذه الفرقة " أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان" يساعده القائد " ياقوت الخادم". أما الفرقة الثانية: فكانت بحرية ، وعهد إليها بمحاصرة المدينة من جهة البحر المتوسط، ومنع وصول الإمدادات البحرية للثوار من البيزنطيين، وكان قائد هذه الفرقة " علي بن حيدرة.وهكذا رأينا حسن استعداد وتنظيم الجيش الفاطمي. وعندما وصلت القوات الفاطمية إلى مدينة صور كان الثوار في انتظارهم، فدارت المعركة وكان النصر في جانب الفاطميين. فاستنجد " علاقة الملاح" بالإمبراطور البيزنطي وطلب منه تزويده بالمال والرجال، وبالفعل بعث إليه الإمبراطورية بالمدد ولكن الأسطول الفاطمي نجح في القضاء على هذه المحاولة، وقتل من الروم أكثر من مائة وخمسين رجلاً وفر باقي الجنود. وعندما رأى أهل صور هذه الهزيمة، مع شدة الحصار المفروض عليهم، طلبوا الأمان، فنادى القائد أبو عبد الله بن الحسين" أن " من أراد الأمان من أهل الستر والسلامة فليلزم مترله"(١٠) فهدأت نفوس الناس وفتحت أبواب المدينة، وتم القبض على علاقة، وجماعة من الثوار، وحملوا إلى القاهرة، فركب علاقة جملاً، وألبس طرطوراً، وطيف به في شوارع المدينة، ثم قتل وجماعة من أنصاره، وانتهت الثورة بذلك.

*أثر الثورة على الحياة السياسية والاقتصادية في بلاد الشام:

ترتب على ثورة علاقة اضطراب الأمن في بلاد الشام، ونزول الروم إلى مدينة صور. ومما هو جدير بالذكر؛ إنه على الرغم من الانتصار الذي حققه الفاطميون على البيزنطيين، فإن برجوان رأى أن من الحكمة عقد الصلح مع الروم، فأرسل إلى الإمبراطور"باسيل الثاني" يخبره بالموافقة على الصلح(١١)وترتب عليه أن ظلت السواحل الشامية بمدنها وموانيها تحت سيطرة الفاطميين، ومن جهة أخرى، تولى "أبو

عبد الله الحسين" حكم مدينة صور، وذلك مكافأة له، فأقام بها وفرض سيطرته عليها، فقويت بذلك شوكت الحمدانيين في الشام.يضاف لذلك: ارتفاع شأن برجوان وعلو نفوذه في مصر، حيث كان هذا الانتصار "أول فتح على يديه"[١٢] مما سمح له بفرض مزيد من السيطرة على الحاكم.وأخيراً يمكن القول: إن ثورة علاقة قد أثرت على الحياة الاقتصادية في الشام، حيث غلت الأسعار، ومات كثير من الناس من شدة الجوع، وبعضهم هاجر إلى دمشق، وترك دياره، بسبب اعتداء المغاربة عليهم.

(٣) ثورة الوليد بن هشام بن عبد الملك ٣٩٥هـ/١٠٠٤م):

تعد ثورة الوليد بن هشام من أخطر الثورات التي هزت كيان الدولة الفاطمية، ولا نتجاوز الحقيقة إن قلنا إنها كادت تعصف بالخلافة الفاطمية، فمن هو الوليد بن هشام؟ وما هي أسباب ثورته؟ وما موقف الحاكم بأمر الله منها؟ وما موقف الشعب المصري؟

هذه الأسئلة نحاول التعرف عليها فيما يلي:

تكاد تجمع المصادر التاريخية[١٣] على أن صاحب الثورة هو الوليد بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، ينتسب إلى بني أمية من بني مروان، ويجتمع في النسب مع المؤيد بالله هشام بن الحكم صاحب الأندلس، وقد عرف بأبي ركوة لأنه كان يظهر النسك، ويحتفظ بركوة[١٤] يحملها معه في أسفاره، وقيل سمي بذلك لأن أهل مصر لقبوه بذلك سخرية منه، إذ جرى أهل مصر على عادة السخرية من أعدائهم. يصف المؤرخون[١٥] الوليد "بأنه كان شاباً أسمر تعلوه حمره، طويلة الجبهة أشهل العينين بزرقه، أقني الأنف، صغير اللحية، أصهب الشعر إلى الشقرة، ظاهر القطوب، يتبين فيه الجد".

أما سبب خروجه من الأندلس فيرجع إلى اضطهاد الوزير المنصور بن أبي عامر– وصى الخليفة هشام بن الحكم الذي كان يقتل الأمويين، خاصة من يصلح

منهم للخلافة، فهرب كثير منهم خوفاً من بطش الوزير المنصور، وكان من بين هؤلاء "الوليد بن هشام" الذي خرج من الأندلس ثم توجه إلى مصر، واشتغل بطلب العلم، وسمع الحديث، ثم ذهب إلى مكة، ومنها إلى اليمن ثم عاد مرة ثانية إلى مصر، وظل بها فترة تعرف خلالها على أحوال مصر، ثم ارتحل إلى الإسكندرية ومنها القيروان ثم استقر في برقة.

وهكذا هرب الوليد من وجه الوزير المنصور، ولم يعد يمثل خطراً على سلطته، وزار كثيراً من البلاد الخاضعة للخلافة (مصر، مكة، اليمن، برقة) وتعرف على أحوال هذه البلاد، ومدى كراهيتهم للحاكم بسبب ظلمه واستبداده، خاصة أهل برقة الذين خلعوا طاعته[١٦]، وطردوا قائده "صندل الأسود" عام ٣٩٤هـ/١٠٠٤م وطلبوا المساعدة من باديس بن يوسف بن زيري.

وعلى ذلك يمكننا تلخيص أسباب ثورة "الوليد" فيما يلي:

(١) الطموح الشخصي عند الوليد بن هشام، فقد كان يطمع في أن يكون خليفة في منطقة الشمال الأفريقي (بلاد المغرب)، وذلك تقليداً للخلافة الأموية في الأندلس والخلافة الفاطمية في مصر، والخلافة العباسية في بغداد. والدليل على ذلك إن الوليد عندما سنحت له فرصة الخروج لم يدع إلى الخلافة الأموية أو العباسية، بل ضرب السكة باسمه، واتخذ لقب أمير المؤمنين[١٧].

(٢) رأى الوليد من خلال رحلته في بلدان الخلافة الفاطمية، كراهية أهلها للحاكم بأمر الله، بسبب ظلمه لهم، فإذا علمنا أن الحاكم كان خلال تلك الفترة يشدد قبضته على جميع طوائف الشعب، علمنا مساندة الرعية للوليد في ثورته.

(٣) زيادة كراهية أهل برقة للحاكم بسبب قتله لزعمائهم بعد أن أعطاهم

الأمان. يقول المقريزي: "فبعث لهم أي (أهل برقة) بالأمان، فقدم وفدهم إلى الإسكندرية، فقتلهم عن أخرهم"(١٨).

وصفوة القول: إن الطموح الشخصي للوليد، وكراهية الرعية خاصة أهل برقة للحاكم، كان من أهم أسباب ثورة الوليد بن هشام.

*أحداث الثورة:

استطاع الوليد أن يستغل كراهية أهل برقة للحاكم بأمر الله، فجمع حوله العناصر المناهضة لسياسته. خاصة ،أن الوليد كان يعمل معلماً لأولادهم، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويؤم الناس في الصلاة، حتى أصبح محمود السيرة لديهم، مطاع الرأي فيهم، وحرض الناس على الثورة، وأظهر لهم أن غرضه ليس إلا نصرة الإسلام، والثأر للمذهب السني. فإذا عرفنا أن الوليد كان جهوري الصوت، بليغ الخطبة، يستولى على قلوب وعقول مستمعيه، علمنا أن القبائل العربية قد استجابت لدعوته بسهولة ويسر.

ولأن أحداث ثورة الوليد بن هشام طويلة جداً، فيمكننا قسيمها إلى ثلاثة مراحل، لكل مرحلة نتائج هامة:

*المرحلة الأولى: (بداية الثورة):

تبدأ ثورة الوليد بمحاولة فرض سيطرته على برقة، ويبدو أن أهل هذه المدينة على الرغم من كراهيتهم للحاكم، إلا أنهم كرهوا أن يصبح الوليد بن هشام حاكماً عليهم.

فبعث الوليد جيشه ليستولي على المدينة، ولكن حاميتها الفاطمية استطاعت الدفاع عنها، ففرض حصاره على المدينة. وعندما علم الحاكم بهذا الحصار، حاول أن يستميل الوليد، فأمر بعض المغاربة بالكتابة إليه يخبرونه بأنه أميرهم ويطلبون منه الحضور إلى القاهرة لمبايعته بالخلافة، ويبدو أن الوليد قد فطن لهذه الخطة، وعلم أن

هذه الرسائل مجرد خدعة من الحاكم، فلم يستجيب لهم، وتأكد الحاكم بأن هذا الأسلوب لن يجدي مع الوليد. فجهز جيشاً من المغاربة بلغ قوامه خمسة آلاف مقاتل، وعهد بالقيادة إلى القائد التركي "ينال الطويل" وذلك في (٣٩٥هـ/١٠٠٤م). وعندما وصل خبر تحرك الجيش الفاطمي للوليد، رفع حصاره عن مدينة برقة، وبعث بسرية من جيش تتكون من ألف فارس، وأمرها بردم آبار الماء التي على طول الطريق؛ وذلك ليحرم الجيش الفاطمي من الحصول على الماء.نجحت خطة الوليد، فوصل جيش "ينال الطويل" إلى برقة وهو منهك القوى. وعندما وقعت المعركة مع الثوار، كانت النتيجة انتصار الثوار، ووقوع القائد الفاطمي "ينال" في الأسر. وتذكر الروايات التاريخية أن "ينال" أُهين في أسره وكان يظهر الشجاعة. فحينما أمره الوليد بلعن الحاكم على أن يفك أسره، بصق "ينال" في وجهه، فأمر الوليد بقتله. واستولى على مائة ألف دينار كانت معه[١٩]؛ بالإضافة إلى المتاع والأسلحة ؛التي ساعدته على مواصلة القتال ضد الفاطميين.

وعندما وصل خبر الهزيمة إلى الحاكم لم يعبأ بها، وأمر بتجهيز جيش آخر من المشارقة، وأعطى القيادة إلى "فاتك التركي" الذي خرج مسرعاً للقضاء على ثورة الوليد. ولكنه لقى مصيره المحتوم حيث انتهت المعركة بانتصار الثوار، واستيلاء الوليد على مدينة برقة، التي فتحت أبوابها له.

ومن خلال تحليل الأحداث، يمكننا استنتاج أسباب انتصار الثوار، وهي كالتالي:

(١) أن جيش الثوار قد نجح في اختيار زمان ومكان المعركة، حيث حرم الجيش الفاطمي من الماء طول الطريق. بالإضافة لذلك كان الجيش الفاطمي يتحرك بين التلال والهضاب، حيث لم يكن على معرفة تامة بطبيعة الأرض التي يحارب عليها، مما سهل للثوار الانتصار عليهم.

(٢) سوء اختيار القائد الفاطمي، حيث عهد الحاكم إلى "ينـال" التركـي بقيادة جيش معظمه من المغاربة، فإذا عرفنا الصراع الدائر بين طوائف الجيش- المشارقة والمغاربة- علمنا قلة حماس المغاربة في القتـال تحـت قيادة "ينال" التركي.

(٣) قلة حماس أهل كتامة (المغاربة) للمعركة، وذلك بـسـبب كراهيتـهم للحاكم بأمر الله بسبب قتله لكثير من رجالهم، وميلـه إلى المـشارقة، وتفضيلهم على جميع طوائف الجيش.

*نتائج المرحلة الأولى:

وهكذا انتهت المرحلة الأولى من الثورة بانتصار الوليد، واستيلائه على برقة، وطرد وليها الفاطمي "صندل الأسود" ومعظم وجوه برقـة، الـذين توجهـوا إلى القاهرة، وأعلموا الحاكم بخطورة الوضع في برقة. أما بالنسبة للوليد والثـوار فقـد انتقموا من الشيعة، فقتلوا بعضهم، ونهبت دورهم، واستولى الثوار على ما يقرب من مائتي ألف دينار، وأبطل المذهب الشيعي، وأعلن العمل بالمذهب السني، وبايع الناس الوليد بالإمامة، وتلقب "بأمير المؤمنين الناصر لدين الله"[٢٠] وقيل تلقب "بالثائر بأمر الله المنتصر من أعداء الله"[٢١] وضرب السكة باسمه، وذاع صيته في المدينة، واستقام الأمر له.

*المرحلة الثانية (انتشار الثورة):

بعد استيلاء الوليد على برقة تطلعت نفسه إلى توسيع خلافته، فجهز جيـشاً كبيراً للاستيلاء على مصر، وتحركت هذه الجموع الجائعة التي أجتذبها خيرات مصر في رمضان ٣٩٦هـ/ يونيه ١٠٠٦م، حتى وصلت إلى الإسـكندرية، وحاصـرت المدينة، وبعد قليل سقطت في أيديهم؛ وانتشر الثوار في المدينة ينـهبونها ويـستولون على أموالها. وانضمت للوليد بعض القبائل العربية مثل بني قرة وبني هـلال وبـني

سليم. فأمر الوليد بتوزيع الإقطاعيات والضياع عليهم، وذلك طبقاً للمعاهدة التي وقعت بينهم على حد قول ابن الأثير[٢٢]. وخلاصة هذه المعاهدة: أن يأخذ الوليد مصر، والقبائل العربية تأخذ الشام.

وقبل أن نواصل الحديث عن الثوار علينا أن نجيب على السؤال الذي طرحناه سلفًا، وهو موقف الشعب المصري من ثورة الوليد بن هشام؟؟

يذكر ابن الأثير[٢٣] أن جند مصر وأعيانها فرحوا فرحاً شديداً عندما وصل إليهم خبر انتصار الثوار، وأنهم بعثوا بالرسائل إلى الوليد يستدعونه للحضور إلى القاهرة، ليصبح خليفة عليهم. وكان على رأس هؤلاء القائد حسين بن جوهر قائد القواد، وعندما علم الحاكم بذلك، أظهر الاعتذار، واشتد قلقه وخوفه. بينما يذكر المقريزي:إن الشعب المصري كان يقف إلى جانب الحاكم، وأنهم كانوا يقفون "على أبواب الدور ليلهم كله يبتهلون بالدعاء والنصر (للحاكم)"[٢٤] وجيشه ،كما قاموا بوضع أموالهم تحت تصرفه.

وأميل إلى رأى المقريزي؛ وأرى أن أهل مصر (السنة والشيعة) على الرغم من ـ كراهيتهم للحاكم- لم يقفوا إلى جانب الثوار، وذلك لأنهم كانوا مقدرين خطورة الثورة، خاصة بعد أن علموا ما قام به الثوار من نهب لمدينتي برقة والإسكندرية، ومن قتل وتدمير ونهب للأموال. أما ما ذكره ابن الأثير من تأييد الحسين بن جوهر للثوار، فلعلها خطة ذكرية من الحاكم لإيهام الوليد بن هشام بأن الشعب والجيش معه. وأخيراً، بقى أن نقول: إن معظم المصادر التاريخية لم تذكر مطلقاً انضمام القائد حسين بن جوهر أو أحد من المصريين للثوار، ومن تتبع الأحداث يتضح لنا أن المصريين كانوا يقفون إلى جانب الخليفة الحاكم بأمر الله.

بعد أن أوضحنا موقف أهل مصر من الثورة، يجب علينا أن نوضح موقف الحاكم بأمر الله ؟؟

تذكر بعض الروايات التاريخية: إن الحاكم عندما علم بانتصار الثوار، واستيلائهم على الإسكندرية، اشتد خوفه "وبلغ الأمر به كل مبلغ"[٢٥] حتى أنه هم بالفرار إلى الشام وقام بنقل خزائنه إلى مدينة بلبيس تمهيداً لخروجه من مصر. غير أن المخلصين له نصحوه بالعودة إلى القاهرة، فاستجاب لهم[٢٦]؛ وعاد إلى مقر خلافته.

وعلى النقيض من ذلك تذكر رواية[٢٧] ثانية: إن الحاكم كان يمتاز– أثناء الثورة– بالثبات والشجاعة، وكان يدعو الناس للجهاد، ويحثهم على المقاومة ويدعوهم إلي الصبر والثبات، كما كان يعدهم بالفوز على الأعداء.

وأنا أميل إلى الرواية الثانية التي ترى ثبات الحاكم ،وقوته،و تماسكه في مواجهة الثوار، لسببين:

أولهما: أن الحاكم بأمر الله كان يتسم بالقوة والشجاعة، فقد ذكر المؤرخون أنه هو الخليفة الوحيد الذي كان يسير منفرداً في القرى بالليل يراقب الحسبة ويذهب إلى الفلوات[٢٨]. وهذا يدل على فرط شجاعته، فكيف يترك الميدان بهذه السهولة ويفر.

ثانيهما: أن شخصية الحاكم كانت تتسم بالصرامة والقوة والعنف، فلم يكن بالشخصية الضعيفة التي تترك خلافة آبائه وأجداده من أجل ثورة قامت ضده، بل كان شخصية عنيدة، تقف أمام الثوار، وتحارب من أجل بقاء الخلافة الفاطمية.

نعود إلى جيش الثوار الذي استولى على الإسكندرية، وكان يستعد للزحف على القاهرة، وعندما علم الحاكم بهذا الأمر، استدعى جيشه من بلاد الشام، وفرق عليهم الأموال والسلاح، والدواب، وقسمه إلى فرقتين: الأولى: بقيادة "علي بن فلاح" وكان مقرها الجيزة. والثانية: بقيادة "فضل بن عبد الله بن صالح"[٢٩] وكان مقرها الفيوم. تحركت الفرقة الأولى من القاهرة حتى وصلت إلى بركة الحبش[٣٠]، ومنها إلى الجيزة، التي عسكر فيها. وهناك وصلت إليه الإمدادات من طريق البر

(الصحراء) وطريق البحر (نهر النيل) بقيادة "على بن دغفل بن الجراح"ــــ الــذي حضر من الشام– وأخذت جميع القوات الفاطمية تنظم صفوفها لمواجهة الثوار.

وفي نفس الوقت كان أبو ركوة يستعد، للمعركة الفاصلة ضد الفاطميين. وفي صباح يوم الجمعة ١٨ ذي القعدة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م دارت المعركـة في الجيـزة، وانتهت بانتصار الثوار، وقتل الكثير من الجيش الفاطميين. وعظم بكاء الناس عليهم، فأمر القائد "على بن فلاح" بمنع دفن الموتى في القاهرة، لئلا يحـزن النـاس. يقـول المقريزي: "وافتقد كثير من العسكر فلم يعلم لهم خبر، ولم يسلم مـن العـسكر إلا القليل"[٣١] وتقدم الثوار إلى مدينة القاهرة، وقاموا بمحاصرتها، حتى كادت المدينة أن تسقط في أيديهم، لولا أن الحاكم أمر بغلق أبوابها، وأمر بتشديد الحراسة عليها[٣٢].

أما الثوار فبعد انتصارهم في الجيزة، توجهوا إلى الفيـوم في ١٣ ذي الحجـة ٣٩٦هـ/١٠٥٥م وكان هناك "الفضل بن صالح" الذي استطاع أن يستميل إليـه بعض القبائل العربية مثل بني قرة، وبني كلاب ويشجعهم على مقاومة الثورة، كمـا نجح في إقناع بعض رجال الثورة بالانضمام إليه.بالإضافة لذلك وصول الإمـدادات إليه ،و التي كانت نحو أربعة آلاف فارس. فارتفعت بذلك روح جنوده المعنوية.

بعد قليل، وقعت المعركة بين الثوار والجيش الفاطمي، واستطاع " الفضل بن صالح " أن ينتزع النصر من الثوار.و تقهقر " الوليد بن هشام" إلى الجيـزة، فتبعـه الفضل وانضم إليه علي بن فلاح. ثم دارت المعركة بالقرب من أهرامـات الجيـزة؛ وانتهت بانتصار الفاطميين[٣٣]. وفرار الوليد إلى الصعيد ، والقبض على سـتة آلاف أسير من جيشه، أخذوا إلى القاهرة، وطيف بهم في شوارعها – تسكيناً للرعيـة –.ثم أمر الحاكم بقتلهم، وأنعم على القائد " على بن فلاح" ، وظل الفضل يتابع فلـول الثوار في الصعيد.

*نتائج المرحلة الثانية:

بانتهاء معركة الفيوم تنتهي المرحلة الثانية من ثورة الوليـــد بـــن هـــشام، واستطيع القول: إن هذه المرحلة قد شهدت الصراع الحقيقي، والصدام المسلح بـــين الفاطميين والثوار. و يتضح لنا من الجولة الأولى " معركة الجيـــزة"أن الثـــوار قـــد استطاعوا الانتصار على الفاطميين، ولكن الغرور كان يسيطر علـــيهم، وبوصـــول الإمدادات للفضل بن صالح من الفيوم تبدأ الجولة الثانية ، والتي تنتـــهي بانتـــصار الفاطميين وفرار الوليد إلى الصعيد.

*المرحلة الثالثة: نهاية الثورة:

على أثر هزيمة الوليد في معركة الجيزة الثانية فر إلى بلاد النوبـــة، في صـــعيد مصر. وقد اختلفت الروايات التاريخية حول مصيره، فبعض المؤرخين[٣٤]:

ذكر أن أبا ركوة قد فر إلى النوبة للاتفاق الذي عقده مع الملـــك " جـــورج الثاني" ملك الحبشة، وكان ينص على أن الأخير يمد الوليد بالمـــال للوقـــوف ضـــد الحاكم. ولكن لسوء حظ الوليد كان الملك جورج قد توفى، وخلفه ابنه " روفائيل" الذي سلم الوليد للقائد فضل ، وذلك خوفاً من بطش الحاكم.

على حين تذكر بعض الروايات الأخرى[٣٥]. إن الوليد قد اختفى بـــدير أبي شنودة. وظل فيه أكثر من أربعة عشر يوماً، حتى دلهم الشيخ " أبو المكارم هبة الله " عليه فكافأه الحاكم بلقب " كنز الدولة"[٣٦]. وتوارث أبناءه هذا اللقب وعرفوا بـــه على مر التاريخ.

بعد القبض على الوليد أوهمه القائد فضل أن الحاكم قد عفا عنه، وأنه يريـــد مقابلته في القاهرة لينعم عليه، ويبدو أن الوليد قد صدق كلام فضل، فذهب معـــه، وكان الفضل طول الطريق، يقبل يد الوليد ويعظمه حتى وصل إلى القاهرة، في يـــوم الجمعة ١٥ جمادي الآخر ٣٩٧هـــ / ١٠٠٦م. وهناك حمل على جمل، وألبس ثوب

قديم، وفوق رأسه طرطور طويل متعدد الألوان، وخلفه رجل معه قرد[٣٧]. يصفعه على قفاه، وهو في مذلة، ومهانة شديدة، وعامة الشعب يرجمونه بالحجارة، حتى أوشك على الموت أكثر من مرة. وكان– حينئذ– يظهر صبراً عظيماً، حتى وصل إلى قصر الحاكم، وهناك دار هذا الحوار.

الحاكم: ما حملك على هذا؟

الوليد: سمو همتي لو ساعدتني الأقدار.

الحاكم: لو ساعدتك ما كنت تفعل.

الوليد: كنت أجعلك موضعي الآن.

ثم أمر الحاكم بحبسه، فكتب الوليد رسالة اعتذار للحاكم جاء فيها: "يا أمير المؤمنين إن الذنوب عظيمة، والدماء حمام، ما لم يحلها سخطك، وقد أحسنت وأسأت، وما ظلمت إلا نفسي، وسوء علمي أوبقني"[٣٨] فأمر الحاكم بقتله وصلبه خارج القاهرة. على حين ذكرت بعض الروايات[٣٩]:إن القائد فضل قتل الوليد في النوبة، وجاء برأسه للحاكم في القاهرة، فأنعم عليه،وعهد إليه بالنظر في أمور الدولة.

*نتائج المرحلة الثالثة:

وهكذا انتهت ثورة الوليد بن هشام بهذا المصير المحزن، فقد قتل من رجاله أكثر من ثلاثين[٤٠]ألفاً، وقيل سبعين ألفا[٤١]. واستطاع الحاكم أن يقضي على الثورة التي كادت أن تعصف بملكه، وتطيح بالخلافة الفاطمية.

ويمكننا من خلال تحليل الأحداث أن نجمل أسباب هزيمة الوليد بن هشام فيما يلي:

(١) قوة شخصية الحاكم بأمر الله، وثباته أمام الثوار، فقد كان يشرف على تجهيز الجيش بنفسه، كما كان يحث الجنود على الجهاد، وبذل مزيد من الجهد للدفاع عن أرض مصر، بالإضافة إلى إنه كان ينفق الأموال

بسخاء على رجال جيشه.

(٢) مساعدة المصريين للفاطميين أثناء الثورة، فقد قام المـــصريون بوضـــع أموالهم تحت تصرف الحاكم، وتحملوا غلاء الأسعار، وكانوا يبتهلون إلى الله تعالى أن ينصر الفاطميين على أعدائهم.

(٣) تخلي الخلافة الأموية في الأندلس عن تقديم المساعدة للوليد بن هشام في ثورته وذلك لحقد وكراهية الوزير المنصور بن أبي عامر_ المسيطر على الخليفة هشام المؤيد بالله– للوليد بن هشام، وذلك خوفاً من أن يطـــيح به، وينفرد بالخلافة الأموية.

(٤) تخلي القبائل العربية– بني هلال، وبني سلم، وبني قرة، وبني كـــلاب– عن مساعدة الوليد والثوار، بسبب الرشوة التي قدمها لهم القائد فضل بن صالح، وخوفهم من بطش الحاكم بأمر الله.

* أثر ثورة الوليد بن هشام على الحياة السياسية والاقتصادية:

كان لثورة الوليد أثر كبير على كافة نواحي الحياة خلال عصر الحاكم بـــأمر الله يمكننا إجمالها فيما يلي:

(أ) على الأسعار: أدت الثورة إلى ارتفاع الأسعار، حيث عم السلب والنهب ريف مصر، وأغلقت الأسواق، وارتفع سعر الدقيق والخبـــز، وازدحـــم الناس على شرائه، ولم يوجد حتى بيع الثلاثة أرطال بدرهم[٤٢].

(ب) على مصروفات الدولة: تأثرت مصروفات الدولة الفاطمية خلال الثورة، فمما لاشك فيه أن تحرك الجيوش الفاطمية إلى برقة، والجيزة، والفيـــوم والصعيد، إلى جانب استدعاء القوات من الشام. كل ذلك يحتـــاج إلى أموال كثيرة، حتى قيل إن جملة ما انفق على الثورة وصل ألـــف ألـــف دينار[٤٣].

(ج) على طبقات الجيش: كان المغاربة قد تمتعوا بنفوذ كبير في بداية خلافة الحاكم لأن الحسن بن عمار كان يتولى الوساطة، وعندما قامت ثورة الوليد بن هشام استغل المشارقة هذه الثورة، واضطراب الحالة الأمنية في البلاد، فأطاحوا بالحسن بن عمار، ووسع الحاكم اختصاصاتهم، حتى أنه عهد للقائد "الفضل بن صالح"- الذي قضى على الثورة- بالنظر في أمور الدولة، ومنحة كثير من الإقطاعيات[٤٤]والأموال، وعندما مرض زاره الحاكم، وأمر طبيبة الخاص بمعالجته.

(د) على السياسة الخارجية وحدود الخلافة: تأثرت حدود الخلافة بثورة الوليد بن هشام فقد خرجت برقة من سيادة الفاطميين، وأعلن الوليد سيطرته عليها، و أصبحت مقراً لخلافته. كذلك اضطربت حدود الخلافة في الشام، حيث أعلن بنو الجراح ثورتهم على الحاكم، وانتهز الأعراب هذه الثورة فقاموا بالإغارة على القاهرة والفسطاط، حتى كان الحاكم يغلق أبواب المدينة ليلاً ويشدد الحراسة عليها.

ثورة الحسن بن جعفر الحسني في (مكة) ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م:

لا يخفي علينا أهمية الحجاز بالنسبة للعالم الإسلامي، وذلك لأنه مقر الحرمين الشريفين وقد ظهرت في هذا الوقت نظرية مؤداها أن الخليفة الحقيقي هو المسيطر والمدافع عن الحرمين الشريفين. لذلك حرص الخلفاء العباسيون والفاطميون على بسط نفوذهم على منطقة الحرمين الشريفين، وتوفير الأمن والهدوء فيها. وقد رأينا في الفصل السابق، كيف نجح العزيز بالله في أن يقضي على ثورة أبي حازم٣٧٧هـ/ ٩٨٧م، وثورة على الرسي ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م، وأن يعيد الهدوء والاستقرار لمنطقة الحجاز.

وفي خلافة الحاكم بأمر الله (٣٨٦- ٤١١هـ/ ٩٦٦- ١٠٢٠م) قامت ثورة جديدة على يد أبي الفتوح الحسن بن جعفر أمير مكة، فما هي أسباب ثورته؟ وما أحداثها؟ وكيف نجح الحاكم في القضاء عليها؟

يجدر بنا أن نذكر إن الأمير الحسن بن جعفر كان في بداية حكمه عام٣٨٤هـ/ ٩٩٤م مخلصاً للخلافة الفاطمية، حتى إن الخليفة العباسي القادر بالله عندما عرض عليه الدخول في طاعته، وأغراه بالمال، رفض الحسن ذلك. وظلت الخطبة تقام في مكة باسم الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي؛ بل إن الحسن عندما علم أن بني مهنا – أمراء المدينة المنورة– قد خلعوا طاعة الحاكم، ودعوا للقادر بالله العباسي. جرد إليهم جيشاً كبيراً، وطردهم من المدينة المنورة، وجعل الخطبة فيها للفاطميين عام(٣٩٠هـ/ ٩٩٩م). ولكن– هذا الأمر– لم يستمر طويلاً، حيث عاد بنو مهنا إلى المدينة المنورة، وأعلنوا ولائهم للفاطميين، وأقيمت الخطبة للحاكم بأمر الله.

*أسباب الثورة:

لقد أشرنا إلى أن العلاقة بين الحسن بن جعفر والحاكم بأمر الله كانت قوية لدرجة جعلت الحسن يدخل في حرب لصالح الفاطميين، فما هي إذا أسباب ثورته؟؟

ترجع معظم الروايات التاريخية[٤٥] سبب ثورة الحسن بن جعفر إلى إغراء الوزير حسين بن على المغربي الذي ذهب إلى مكة، وَحَسن لأبي الفتوح الحسن بن جعفر خلع طاعة الحاكم بأمر الله. ويبدو أن الأمر قد صادف هوى في نفس الحسن فاستجاب لدعوة الوزير، ونزع ما كان بالكعبة من ذهب وفضة، وسار بها إلى الرملة، لينضم لأنصاره من بنى الجراح، وهو في طريقه انضمت إليه قبائل بنى سليم، وبنى هلال. وعندما وصل الركب إلى الرملة تلقاه "حسان بن مفرج بن الجراح" بالترحاب، وبايعه بالخلافة؛ واتخذ لقب "الراشد بالله أمير المؤمنين"[٤٦] ثم ضرب

النقود باسمه، وكان متقلداً سيفا زعم أنه ذو الفقار، وفي يده قضيب زعم أنه قضيب النبي – صلى الله عليه وسلم– وكان حوله جماعة من العلويين، نزلوا في ضيافة حسان بن الجراح، ونادى في الحسن الناس بالأمان، وأقيمت الجمعة، ودعا الخطيب للحسن، وسلم الناس عليه بالخلافة، وعظم أمره، واشتد بأسه، فأعلن الثورة ضد الحاكم بأمر الله.

* أحداث الثورة والقضاء عليها:

عندما علم الحاكم بهذه الثورة، أحس بخطورة التحالف الذي تم بين بنى الجراح وبنى الحسن فحاول أن يقضى على هذه الثورة قبل استفحال خطرها، فعمل من خلال الجبهات التالية:

أولا: استغل الحاكم النزاع الذي ساد بين بني الحسن على إمارة مكة، فأرسل إلى أبي الطيب – ابن عم الحسن بن جعفر – يوليه إمارة مكة، وأرسل خمسين ألف دينار[٤٧] لكل فرد من أسرته، هذا بخلاف الهدايا والثياب، ووعده بالدفاع عن المدينة أمام الحسن بن جعفر وأنصاره.

ثانيا: في نفس الوقت عمل الحاكم على استمالة "حسان بن مفرج" فبعث إليه بالأموال والهدايا وزين له خلع طاعة الحسن، فاستجاب له حسان. وفر الوزير أبو القاسم المغربي إلى العراق ودخل في طاعة العباسيين، ولما أحس الحسن بن جعفر بخطورة موقفه ذهب إلى حسان وقال له: "أريد أن تبعث معه من يوصلني إلى مكة ولا تحرجني"[٤٨] وبعدها وصل الحسن إلى مكة (٤٠٣هـ / ١٠١٢م) وكتب إلى الحاكم رسالة يعتذر إليه عما حدث فقال:

وأنت حسبي أنت تعلم أن لي	لسانا أمام المجد يبنى ويهدم
وليس حليمًا من تباس يمينه	فيرضى ولكن من تعض فيحلم[٤٩]

فعفا عنه الحاكم ، وأعاده إلى إمارة مكة. ومما هو جدير بالذكر: إن الحسن بن جعفر قد ظل على ولائه للحاكم والفاطميين ، حتى توفى عام ٤٣٠هـ/١٠٣٥م.

*أثر الثورة:

هكذا استطاع الحاكم أن يقضى على ثورة الحسن بن جعفر،بسلاح لم يكلفه شئ، هو سلح المكر والخديعــة، واســتطاع أن يعيــد ســيطرته علــى الحــرمين الشريفين،ولكن من جهة أخرى كانت قوافله الحج قد تعطلت أثنــاء الثــورة[٥٠]، وانتشر الخوف والذعر والقتل بني الحجيج؛ بسبب غارات الأعراب علــيهم. كمــا امتنع الحاكم عن إرسال الكسوة إلى الحرمين الشريفين، مما جعل المــؤرخين الــسنين يصفونه بالخروج عن الدين[٥١]ويلصقون به التهم المختلفة.

المبحث الثاني.

الثورات الاقتصادية (المجاعات والأوبئة)

شهد عصر الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) سلسلة من المجاعات، والكوارث وضعته في موقف لا يحسد عليه؛ فعندما توقف النيل عن الزيادة. قيل له: إن ملك الحبشة قد غير مجرى النيل، فأمر بطرك النصارى أن يتوجه إليه، ويعرض عليه ما وقع بالبلاد من ضرر ، فزاد النيل زيادة عظيمة(٥٢). ولكن يبدو أن الحاكم لم يرض عن هذا الوضع الذي يضعه تحت رحمه ملك الحبشة، حتى سمع عن أبي الحسن علي بن الهيثم الذي قال: لو كنت في مصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حال من حالاته من زيادة ونقص. فأرسل إليه الحاكم وأكرم نزله، وسير معه جماعة من الصناع إلى جنوب مصر حتى وصلوا إلى أسوان لعمل سد بها. ولكن ابن الهيثم أظهر عجزه عن القيام بذلك، وقيل: إنه عندما رأى آثار الفراعنة وقدرتهم العجيبة على بناء أثارهم أحس بالعجز(٥٣). ويبدو أن طبيعة أرض أسوان الجبلية(٥٤) صعبة التكسير هي التي قصرت همته.

على كل حال؛ لم ييأس الحاكم من فشل ابن الهيثم في بناء السد ، فلجأ إلى الإجراءات الوقائية ، ليستعيد بها هيبة الخلاف. فكان كثيرًا ما يمنع بعض المأكولات التي قد تسبب الأمراض حتى اتهمه أهل السنة بالجنون(٥٥).

بدأت مجاعات عصر الحاكم عام (٣٨٧هـ-٩٩٧م)، وكان القائم بالأمر الحسن بن عمار، ويعزو المؤرخون – سبب هذه المجاعة إلى نقص منسوب النيل الذي وصل إلى ١٦ ذراعا و ٧ أصابع(٥٦)، فازدادت الأسعار ، و اشتد خوف الناس ، وانتشرت السرقة حتى أخذت النساء من الطرقات ، وطلب القمح فلم يوجد ، وبيع الخبز كل أربعة أرطال بدرهم(٥٧). و يبدو لي إن نقص النيل ليس هو المسئول عن هذه المجاعة – حيث بلغت الزيادة ١٦ ذراعا و ٧ أصابع و هي زيادة لا تعني

القحط – لكن السبب هو حالة الفوضى و الاضطراب التي كانت تعم البلاد بسبب الصراع بين المغاربة،و المشارقة على السلطة. على كل حال ؛لم يقـــف المـــصريون صامتون أمام هذه الأحداث ، بل ذهبوا إلى قصر الحاكم ، واستغاثوا به في أن ينظـــر في أحوالهم ، وأن يخفف عنهم ما هم فيه. ورق لهم الحاكم ، وقرر سعراً لكل صنف من الغلال بثمن معين لا يزيد عليه. فسكنت ثورة الرعية، وعم الرخاء البلاد.

لم تمر سوى سنوات قليلة حتى وقعت مجاعة أخرى عام (٣٩٥هـــ/١٠٠٤) فقد بلغ منسوب النيل ١٥ ذراعا و ٧ أصابع[٥٨]. هذه الزيادة القليلة – تعني عـــدم زراعة بعض الأراضي ، و بلا شك وقعت المجاعة ، وانتشر الوباء ، فمنـــع الحـــاكم بعض المأكولات ، وأمر بإصلاح المكاييل و الموازين ليضمن عـــدم الغـــش وشـــدد العقوبة على من خالف أوامره. حتى أنه أمر بعمل شونه تحت الجبل ملئت بالـــسنط والحلفا و البوص ،فتخوف الناس – لاسيما التجار – وكثر الاضـــطراب. فـــاجتمع المسلمون و النصارى عند قصر الحاكم ، وأخذوا يـــدعون ، ويتـــضرعون إليـــه ، ويسألونه أن يعفو عنهم ، وكتبوا رقعة وسلموها إلى القائد حسين بن جوهر الـــذي سلمها للحاكم ، فعفا عنهم ، و أمر الجميع بالانصراف. وفى صباح اليوم الثاني أمر بقراءة سجل أمان للجميع جاء فيه:"... وأمان أمير المؤمنين على النفس و الأهـــل و الدم والمال لا خوف عليكم ولا تهديد بسوء إليكم ، إلا في حد يقام بواجبه"[٥٩] .

فإذا انتقلنا إلى عام (٣٩٧هـــ/١٠٠٦ م) نجد البلاد تشهد مجاعة عظيمـــة، حيث بلغ منسوب النيل ١٣ ذراعا و أصابع[٦٠] فأمر الحاكم بكسر الخليج، وصلى الناس الاستسقاء مرتين فزاد النيل حتى وصل إلى ١٥ ذراعا[٦١]. ثم نقص فجأة حتى وصل إلى ١٤ ذراعا و ١٦ إصبعا[٦٢] وذلك يعنى حدوث مجاعة ، فاشـــتد الأمـــر بالناس ، حتى بيع القمح كل تليس بأربعة دنانير ، و الأرز كل ويبه بدينار ، واللحوم رطل ونصف بدرهم ، و زيت الوقود رطل بدرهم[٦٣]، فـــأمر الحـــاكم مـــسعود

الصقلبي – متولي الستر – بتدبير هذا الأمر ، فجمع مسعود الطحانين و الخبازين ، وقبض على ما بالساحل منَ الغلال ، وأمر ألا تباع إلا للطحانين، وسَعّر القمح وسائر الحبوب ، وهاجم عدة مخازن و فرق ما بها على الطحانين ، و ضرب جماعة بالسوط و شهرهم ، فتوفر الخبز في الأسواق وهدأت ثورة الرعية. ومما هو جدير بالذكر: إن الحاكم حاول – في هذه الثورة – أن يعالج أزمة النقد عن طريق تحسين الدراهم الرديئة ، فأمر بسحب الدراهم القديمة ، وأنزل من القصر عشرين صندوقًا فيها الدراهم الجديدة لتفرق على الصيارفة ، و قرئ سجل بمنع المعاملة بالدراهم القديمة. وأمهلهم ثلاثة أيام ليورد القديم منها إلى دار الضرب. (ثم أصدر الحاكم أوامره بأن يكون سعر صرف الدراهم الجديدة ١٨ درهمًا بدينار، وبذلك تحولت مصر إلى قاعدة المعدنين الذهب و الفضة.

ويبدو لي؛ إن هذه الإجراءات قد أضرت بمصالح الرعية، خاصة الصيارفة الذين "أتلفت أموالهم"[٦٤] فهاجت الأسواق، وعمت الثورة البلاد، فأمر الحاكم بضرب جماعة من الخبازين و الطحانين والصيارفة و شهرهم، وأمر بتسعير الأشياء، فعاد الهدوء إلى الأسواق، وأمن الناس، وانتهت ثورتهم[٦٥].

وبحلول عام(٣٩٨هـ/١٠٠٧م) وصل منسوب مياه النيل ١٤ ذراعا وأصابع[٦٦] ثم فتح الخليج فبلغ الماء ١٥ ذراعا[٦٧] وهذا يعنى حدوث مجاعة، وبالفعل وقع الغلاء، حتى بيع الخبز مبلولا ثلاثة أرطال بدرهم، وبيع التليس من القمح بثلاثة دنانير. و أمر الحاكم بضرب جماعة من الخبازين و الطحانين وشهرهم، ومنع أهل الذمة من الاحتفال بأعيادهم، ومنع الناس من التظاهر بالغناء، ومن ركوب النيل، ومن جميع المسكرات، وفرض على الرعية ما يشبه حظر التجول ليلا[٦٨].

وكانت هذه الإجراءات –التعسفية من الحاكم– بمثابة إذن للمصريين للقيام بالثورة، فاجتمعت جميع طوائف الشعب، عند قصر الحاكم، وضجوا من قلة الخبز وعدم جودته، وكتبوا رقعة إلى الحاكم و رفعوها إليه مع رغيف خبز قديم، وكأنها

إشارة لطيفة منهم إلى سبب ثورتهم، واستغاثوا بالحاكم، أن ينظروا في أحوالهم، وألا يهمل أمرهم، وأن يخفف عنهم ما حل بهم من مجاعات، و أن يوفر لهم الخبز.

وأمام هذه الثورة الجامحة، و خوفًا من خطرها، بحث الحاكم في أسباب المجاعة. فعلم أن السبب ليس انخفاض منسوب النيل فقط، وإنما يرجع كذلك إلى الاحتكار التجاري الذي فرضه التجار على الأسواق، وزيادة تخزين الناس للقمح و الشعير. فاستخدم الحاكم وسائله الخاصة في منع الناس من تخزين الأقوات، فضرب جماعة بالسوط وشهرهم، و أمر ألا يباع القمح إلا للطحانين، وأمر بكبس الحواصل و البيوت للبحث عن القمح، وركب حماره وخرج من باب البحر(٦٩) ووقف أمام الناس و قال لهم:"أنا ماضي إلى جامع راشدة(٧٠) فاقسم بالله لئن عدت فوجدت في الطريق موضعًا يطويه حماري مكشوفًا من الغلة لأضربن رقبة كل من يقال لي أن عنده شيئا منها، و لأحرقن داره"(٧١) ثم توجه إلى هناك، وتأخر حتى آخر النهار ليعطي فرصة كافية يحمل الناس خلالها غلالهم إلى الطريق، و لشدة حركة النقل على الدواب بلغت أجرة الحمار في حمل النقلة الواحدة دينارًا كاملا، و ما بقي من أهل مصر و القاهرة و عنده غلة حتى حملها من بيته و شونها في الطرقات، وعندما رجع الحاكم من جامعه وجد الغلال قد امتلأت بها الطرقات، فامتلأت أعين الناس، وشبعت نفوسهم. فأصدر الحاكم أوامره للتجار أن يبيعوا غلاتهم بالسعر المحدد، و إلا فإنه سيختم على غلاتهم، ولا يمكنهم من بيع شئ منها إلى حين دخول الغلة الجديدة. فاستجابوا له، وأطاعوا أمره. فانخفضت الأسعار،وارتفع الضرر عن الناس، وهدأت الرعية، وعم الرخاء البلاد، وانتهت الثورة.

ولم تكن هذه المجاعة آخر المجاعات التي شهدتها البلاد خلال عصر الحاكم،فقد وقعت مجاعة في أعوام (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م، و٤٠٦هـ/١٠١٥م، ٤١٠هـ/ ١٠١٩م) (٧٢) ولكن الشعب المصري لم يقم بثورة خلالها، لأنها كانت قليلة، ولم تؤثر

على اقتصاد الدولة، وكانت الخلافة الفاطمية سرعان ما توفر للرعية الأقوات اللازمة لهم.

بقى لنا سؤال أخير، هو لماذا لم يقم الشعب المصري بثورة عامة يحاول فيها قلب نظام الحكم ويتخلص من هذه الأوضاع المتردية التي نزلت به؟؟

إن ذلك – في ظني – يرجع لعدة أسباب:

أولاً: إن نظام الحكم في ذلك الوقت كان يشبه الاسترقاق، فالخليفة كان يعتبر نفسه ظل الله في الأرض، ولا يجوز خلعه من منصبه بأي حال من الأحوال.

ثانياً: الرعب الذي وقع في نفوس الرعية بسبب استبداد الحاكم وظلمه، حيث كان يفتك بالمقربين به. فما حال المعارضين له خاصة ونحن نعلم أن الشعب المصري كان يفتقد السلاح اللازم للمقاومة.

ثالثاً: إن الشعب المصري كان يقدر حالة السلطة الحاكمة وأنها لا تستطيع تقديم شيء لهم خاصة وأن الحاكم قد أبطل المكوس والمؤن التي كانت تؤخذ من المسافرين، وحدد الأسعار ومنع تخزين ما يزيد على الحاجة من الغلال، كما قام بمصادرة أموال أهله وسائر إقطاعهم وأمواهم التي بمصر. يضاف لذلك؛ أن الحاكم أنشأ ديوان جديد سماه "الديوان المفرد"[٧٣] تودع فيه – لحساب الشعب – الأموال المصادرة من تركات الذين قتلهم بسبب جشعهم أو طمعهم في السلطان والنفوذ. ومن الجدير بالذكر؛إن هذه الأموال كانت لا تذهب إلى حسابه الخاص – كما كان يفعل باقي الخلفاء – بل كانت تذهب للرعية. فقدر المصريون له ذلك.وكانت ثورتهم نوعًا من المعارضة التي تعبر عن

غضبهم ومطالبتهم بتحسين أحوالهم المعيشية وتوفير الخبز اللازم لهم فقط.

*أثر الثورات الاقتصادية على الحياة:

لا يخفى علينا أنه كان لظهور المجاعات، وقيام الثورات أثر كبير على نواحي الحياة المختلفة خلال عصر الحاكم بأمر الله، ولنا أن نجملها فيما يلي:

أ)على السياسة الخارجية: تأثرت سياسة البلاد الخارجية بقيام الثورات الاقتصادية المتعددة فقد استغل الثوار ما وقع بالبلاد من مجاعات فحاول كل واحد منهم أن ينفرد بإمارته. فقامت ثورة أبي ركوة في برقة، والمفرج بن دغفل بن الجراح في الرملة، وعلاقة الملاح في صور، وأبو الفتوح الحسن بن جعفر في مكة.بالإضافة إلى غارات قبائل بني هلال، وبني سليم على الدلتا.

ب)على الأسعار:ارتفعت الأسعار بشكل ملحوظ خلال تلك المجاعات، لاسيما سعر الخبز، ففي عام (٣٨٧هـ/٩٩٧م) بيع الخبز أربعة أرطال بدرهم.وفي مجاعة (٣٩٧هـ/١٠٠٦م) بيع الخبز ستة أرطال بدرهم ،هذا بالإضافة إلى غلاء المأكولات،فمثلا بيع القمح كل تليس بأربعة دنانير، والأرز كل ويبة بدينار، ولحم البقر الرطل والنصف بدرهم، ولحم الضأن الرطل بدرهم، والبصل عشرة أرطال بدرهم، والجبن ثماني أواق بدرهم، وزيت الأكل ثماني أواق بدرهم، وزيت الوقود رطل بدرهم[٧٤].

ج) على العملة: نجد أن مصر تحولت إلى قاعدة المعدنين – الذهب والفضة – ففي (٣٩٥هـ/١٠٠٦م) أصبح صرف الدينار الجديد بستة وعشرين درهماً. و أصبح في عام (٣٩٧هـ / ١٠٠٦م) بأربعة وثلاثين درهماً. وهذه الزيادة كان لها أثر كبير على حياة الناس، وخاصة التجار والصيارفة.

د) على تعداد السكان: كان لهذه المجاعات – والثورات – أثر كبير على تعداد سكان مصر، فقد مات كثير منهم، وإن كنا لا نستطيع تحديد عدد الموتى خلال تلك الفترة بالضبط ولكن يبدو لنا أنه كان كثير جداً لدرجة جعلت المقريزي يردد عبارة " وكثر الموت بين الناس"[٧٥] في أعقاب كل مجاعة.

المبحث الثالث

الثورات الطائفية (طبقات المجتمع)

كان الشعب المصري – في عهد الفاطميين – يتكون من عدة عناصر أولها أهل السنة ؛ وهؤلاء تحول بعضهم إلى المذهب الشيعي. وثانيها: المغاربة الذين قامت الدولة الفاطمية على أكتافهم. والطبقة الثالثة: كانت من أهل الذمة، وكانوا يحظون بالعطف والرعاية من جانب الخلفاء الفاطميين. وأما الطبقة الرابعة: فهم الأتراك؛ الذين زاد عددهم في مصر منذ أيام العزيز بالله. والطبقة الخامسة والأخيرة: كانت السودانيون: الذين زاد عددهم – أيضاً – أيام الحاكم بأمر الله. ونظراً لتعدد طوائف الشعب المصري فقد وقع كثير من التنافس بين طبقاته المختلفة. و يتضح ذلك فيما يلي:

أ) العناصر الأجنبية وأثر التنافس بينها في حالة مصر الداخلية:

لما اتخذ الفاطميون مصر لتكون مقراً لخلافتهم اعتمدوا على غير أبناء جنسهم حتى صار جيشهم يتألف من قبائل كتامة، و زويلة، والبربر، والصقالبة. وفي عهد العزيز بالله استخدم الديلم والأتراك وجعلهم خاصته. وقد أدت هذه السياسة إلى قيام التنافس بين المغاربة والأتراك. وقد ظل الحال على ذلك إلى أن ولى الحاكم الخلافة الفاطمية فقرب إليه الكتاميين في بداية عهده. ثم اعتمد في جيشه على الأتراك والسودانيين. وكان لهذه السياسة أثر كبير في حالة مصر خلال تلك الفترة؛ فالمغاربة الذين قامت على أكتافهم الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وفتحت مصر على أيديهم، وكانوا يمثلون عصب الدولة الفاطمية وقوتها.كان من أبرز زعمائهم الحسن بن عمار الذي تولى الوساطة واتخذ لقب أمين الدولة (٣٨٦هـ/٩٩٦م) فكان أول من لقب به من رجال الدولة الفاطمية كما أمر أن ينقش اسمه ولقبه على الملابس[٧٦] الرسمية في الدولة، وقام بتوزيع الأموال على طائفة المغاربة وقربهم، وعزل المصريين من

الدواوين، وأساء معاملة المشارقة، حتى فر كثير منهم إلى الشام. واستبد ابن عمـــار بالخلافة حتى أنه كان يجلس في القصر ويمنع الناس من الدخول عليه إلا في ســـاعات معينة بالنهار. وكان يأمرهم بتقبيل الأرض له. وإزاء هذه الإجراءات استبد المغاربـــة بحكم مصر وعاثوا فيها فسادًا وامتدت أيديهم إلى حرمات الناس، وأخـــذ أمـــوالهم بالباطل. فضج الناس بالشكوى، واستغاثوا بالحسن بن عمار. الذي لم يتخذ إزاءهـــم إجراءاً حاسماً، فزاد استبدادهم، وكثر النهب والسرقة، وعم الظلم البلاد. ومما هـــو جدير بالذكر:إنه كان يبيع الجواري بثمن بخس، وكان لا يظهر اهتمامـــاً بالحـــاكم. فكان في أحيان كثيرة يدخل القصر راكباً دابته في وجه الحاكم. بل إنه هـــم بقتلـــه ولكن بعض خواصه نصحوه بعدم فعل ذلك احتقاراً لشأنه(٧٧).

*احتجاج برجوان وتوليه الوساطة:

في الوقت الذي استبد فيه الحسن بن عمار بالسلطة، ظهرت شخصية أخـــرى لعبت دوراً هاماً في هذه الفترة، ألا وهي شخصية برجوان أو أرجـــوان(٧٨) الـــذي اشتهر بالدهاء والسياسة، وقد استطاع أن يستفيد من العداء القائم بـــين طوائـــف الجيش (المغاربة، و المشارقة). فقرب إليه طائفة المشارقة ؛الذين رأوا فيه الطمـــوح، فلجأوا إليه ليخلصهم من ظلم المغاربة. وجاءت الفرصة لبرجوان؛ فعندما قتل أحـــد الأتراك شخصاً من المغاربة، ثار أهل كتامة وقاموا بقتل المغربي ووقعت الفتنـــة بـــين الطرفين، وزاد النهب والسلب، وعم الخراب البلاد، وقتل كثير من الطرفين خـــلال هذه الاشتباكات.فانتهز برجوان هذه الأحداث، وقرر التخلص من الحسن بن عمار. وأتته الفرصة عندما خرج معظم الجيش الفاطمي (كتامة) إلى الشام للقـــضاء علـــى ثورتي المفرج بن دغفل، وعلاقة الملاح. جهز برجوان جيشاً من الأتـــراك ،اســـتطاع الانتصار به على الحسن بن عمار في شعبان (٣٨٧هـــ/٩٩٧م)فقرر الحـــسن أن يعتزل الحياة السياسية علي إ ثر هذه الهزيمة.

على كل حال، تولى برجوان الوساطة، وأجلس الحاكم بأمر الله على كرسي الخلافة الفاطمية من جديد، وأخذ البيعة له من الجند ،وكتب الأمانات لرجال كتامة، فأقسموا له على السمع والطاعة. وفي نفس الوقت كان يتقرب إلى المصريين ؛فخفف الظلم الواقع عليهم وأعاد الأقباط إلى عملهم في الدواوين وكان على رأسهم فهد بن إبراهيم الذي كان يوقع على المظالم.

غير أن هذا الأمر لم يستمر طويلاً ،فقد لعبت السلطة برأس برجوان، وحدثته نفسه بالطغيان، فأساء الأدب مع الحاكم، حتى إنه كان يدخل عليه، وقد ثنى رجله على عنق فرسه، وصار باطن قدمه وفيه الخف أمام وجه الحاكم، واستبد برجوان ؛ فقام بنهب الأموال، و قدرت ثروته بأكثر من مائتي مليون دينار ذهب، وغير ذلك من الجوهر والأملاك والضياع والخدم(٧٩).كما كان يشغل – معظم الوقت – باللهو والغناء، فتعطلت أعمال الدولة، وفسدت أحوال الرعية.

*مقتل برجوان وثورة الشعب المصري:

أثارت تصرفات برجوان – حفيظة الحاكم – الذي ترك فترة الصبا وبدأ في مرحلة الشباب – فكانت نفسه تتوق إلى التخلص من الَحْجر المسلط عليه من برجوان، فعهد إلى ريدان الصقلبي –خادم القصر – بتدبير هذا الأمر، فشجعه عليه وقال له: " إن برجوان يريد أن يجري نفسه مجرى كافور الإخشيدي، ويجريك مجرى ولد الإخشيد في الحجر عليك، والأخذ على يدك، والصواب أن تقتله، وتدبر أمرك منفرداً به"(٨٠). فقويت نفس الحاكم بسماع هذا الكلام، فعندما جاء برجوان إلى البستان يوماً ألقى ريدان الصقلبي القبض عليه، وتولت حاشية الحاكم قتله، في ربيع الأخر (٣٩٠هـ/١٠٠٠م).وإن كان أبو شجاع الروذراورى قد حَمل الحاكم مسئولية قتل برجوان لأنه "قد نصح له"(٨١).

آثار مقتل برجوان خوف الشعب المصري، وجميع طوائف الجـيش. وخـرج الجميع في ثورة عارمة إلى قصر الحاكم. يقول المقريزي: "فاضطرب الناس وبادروا إلى باب القصر الكبير فوقفوا عنده"[٨٢] وشهر جنود القصر سيوفهم، وأحاطوا للـدفاع عنه، وكاد الأمر أن ينذر بثورة عظيمة، وفتنة كبيرة، وأمام هيج الثوار ،نزل الحاكم من قصره، ووقف في وسط هذه الحشود الهائلة، وأخذ يخاطب الجميع، فقال للشعب المصري: إن برجوان عبدي استخدمته فنصح فأحسنت إليه، ثم أساء في أشياء عمله فقتلته. ثم نظر إلى المغاربة، وقال لهم: أنتم شيوخ دولتي، وأنتم الآن عندي أفضل مما كنتم فيه مما تقدم. ثم التفت إلى المشارقة، وقال لهم: أنتم تربية العزيز بـالله، ومقـام الأولاد، وما لكل أحد منكم عندي إلا ما يؤثره ويحبه، فكونوا علـى رسـومكم، وأمضوا إلى منازلكم.

وبعد هذا الحوار، وهذه المواجهة "دعا الجميـع للحـاكم، وقبلـوا الأرض وانصرفوا"[٨٣].وفي اليوم الثاني استدعى الحاكم الحسين بن جوهر، وفهد بن إبراهيم. وأمرهم بكتابة أمان لأهل مصر، وسائر أعمالها، "فسكن الناس وأمن ما خيف مـن الفتنة"[٨٤] على حد قول المقريزي.

وهكذا تخلص الحاكم من عدوه الذي نازعه عرشه واستطاع أن يقضي علـى الثورة، ويعيد الهدوء والاستقرار للجيش، ولكن يبدو أن الحاكم قد تخلص من عدو واحد فقط، وما زال هناك أخر يكرهه ولايستطيع أن ينسى مافعلـه بـه، وهـذا الشخص هو "الحسن بن عمار" فبعث إليه يستدعيه الى قصره ليلاً، وعهد الى مجموعة من خاصته من الأتراك فقتلوه، وأمر الحاكم بدفنه، في عام (٣٩٠هـ/١٠٠٠م) ،ثم زيادة في الحيطة أمر الحاكم بقتل مجموعة من شيوخ كتامة، ممن يظن فيهم المعارضـة فوقع الرعب والخوف بين أخل كتامة حتى جاءوا الى قصر الحاكم كاشفين رؤوسهم، طالبين العفو والأمان، فعفا الحاكم عنهم، وكتب لهم سجلاً بالأمان

*أثر الثورة على الحياة في مصر:

كان لهذه الأحداث أثر كبير على السياسة الداخلية والخارجية، يمكننا ذكرها فيما يلي:

أ– على السياسة الداخلية:

استطاع الحاكم أن يتخلص من أعدائه، و أن يسترد سلطانه المسلوب، ويقبض بيد من حديد على مقاليد الأمور. ومن ثم خضعت له جميع طوائف الجيش والشعب. هذا من جهة. ومن جهة أخرى؛ انتهز الحاكم هذه الأحداث وحد من سلطة قائد القواد، حيث أمر إلا يلقى القائد أحداً من الناس على الطريق، ولا يركب إليه إلى داره لقضاء حق له، أو مصلحة ما، ومن كان به حاجة يلقاه في قصر الخلافة. وفي نفس الوقت، نهى الناس عن مخاطبته بألفاظ "سيدنا أو مولانا" بل بلفظ "القائد" فقط. وكذلك كان من أثر هذه الأحداث؛ أن عم النهب و انتشرت السرقات في جميع أنحاء البلاد؛ وارتفعت الأسعار، حتى بيع الخبز كل أربعة أرطال بدرهم.

ب– على السياسة الخارجية:

كان لهذه الاضطرابات أثر كبير على السياسة الخارجية؛ فقد ضعف الحكم الفاطمي في بلاد الشام. لذا فقد حاول كثير من الثوار الاستقلال ببلادهم، ومن هؤلاء: المفرج بن دغفل (٣٨٨هـ/٩٩٨م)، وعلاقة الملاح في صور (٣٨٨هـ/٩٩٨م). كما طمع الروم في بلاد الشام، خاصة بعد تحالفهم مع علاقة الملاح، مما اضطر برجوان – الذي قبض على الحكم خلال تلك الفترة – إلى عقد صلح معهم استمر عشر سنوات. وذلك كي يتفرغ للصراع الدائر بينه وبين ابن عمار، وإن كان من النتائج الإيجابية لهذا الصلح أن ظلت السواحل الشامية – بمدنها وموانيها – تحت يد الفاطميين.

ج- المقاومة القولية للمصريين (الثورة البيضاء):

تعددت أساليب مقاومة المصريين؛ فظهرت الثورات المسلحة، وظهرت كذلك المقاومة اللسانية، وهو ما يعرف في مصطلح السياسة الحديثة - بالمقاومة القولية - ويبدو لي أن الذي دفع المصريين إلى استخدام هذا الأسلوب - في المعارضة - هو تشدد الحاكم ضد الشعب المصري، ومصادرته للحريات. ففي أوقات كثيرة كان يصدر أوامره للشعب: "بترك الخوض فيما لا يعنيه، واشتغال كل فرد بمعيشته عن الخوض في أعمال أمير المؤمنين وأوامره "[٨٥] لذلك لجأ المصريون إلى هذا اللون من المعارضة تعبيراً عن سخطهم. والمصريون قد برعوا في اللون حتى صاروا فيه مضرب المثل بين الأمم.

ورد في المصادر التاريخية[٨٦] صورة رائعة لمعارضة المصريين للحاكم بأمر الله حيث كتبوا شكوى وجعلوها في يد صورة امرأة[٨٧] صنعوها من الورق والجريد، ووضعوا هذه الرقعة بيدها كأنها مظلمة تقدم إليه، جاء فيها سب وقذف صريح له. وأقعدوا تلك الصورة على طريق الحاكم، فلما رآها أخذ الورقة، وقرأ ما فيها. فأمر بإحضار المرأة فوجدها من قراطيس، فعلم ما أريد بذلك. وهو الاستهزاء به، فاشتد غضبه، وأمر جنده بحريق الفسطاط. ولم تكد تمر ثلاثة أيام حتى كادت الفسطاط أن تنتهي من شدة الحريق، وفي اليوم الرابع اجتمع أهل مصر- بداية الثورة - في الجامع العتيق ورفعوا المصاحف وأخذوا يبتهلون إلي الله - تعالى- أن يخلصهم من هذه الفتنة، واشتد بكاءهم على موت الأهل، وهلاك المتاع. ومما هو جدير بالذكر؛ إن الحاكم كان يخرج كل يوم إلي جبل المقطم، ويشاهد حريق المدينة، ويسمع صياح المصريين، فيسأل عن ذلك، فيقال له: العبيد يحرقون القاهرة، فيظهر التوجع، وهو يقول: لعنهم الله من أمرهم بهذا[٨٨].

وعندما رأي الأتراك و المغاربة ما وقع بالمصريين من قتل، وحرق، ونهب، وقفوا إلى جانبهم، وقاتلوا العبيد. فأدى ذلك إلى اشتعال الثورة؛ فكثر القتل، وعم النهب وزادت السرقات. مما اضطر المصريين إلي الخروج إلى قصر الحاكم، في غضب شديد، معلنين عن ثورقم، وتجرأوا عليه. حتى قال أحدهم له: "أراك الله في أهلك وولدك مثل ما رأينا في أهلنا وأولادنا"[٨٩] ولم يفعل الحاكم شيئاً، بل اعتذر إليهم، وأقسم أنه برئ مما فعله العبيد. ولكنه كان – في الباطن – يرسل إلى العبيد المال والسلاح ليقضى على ثورة المصريين.

عندما علم المصريون بذلك، اشتعلت ثورقم أكثر، ووقعت المصادمات بينهم وبين العبيد، ومات كثير من الطرفين. وعندما أحس الحاكم بخطورة الموقف، وعلم باشتغال الثورة، ركب حماره، وخرج بين الصفوف، وأمر بوقف القتال. ثم أذن للعبيد بالانصراف، واعتذر للمصريين عما حدث، وكتب لهم أماناً قرئ على المنبر، ووعدهم بصرف التعويضات اللازمة لهم.فسكنت ثورة الشعب، وفتحت الأسواق، وعاد الهدوء إلي الحياة من جديد.

ويجدر بنا أن نناقش قضية اشتراك الحاكم في حريق الفسطاط، هل كان هذا الحريق بإذنه؟ أم بفعل العبيد؟ أم من نسج خيال الكُتّاب والمؤرخين الذين يكرهون الحاكم بأمر الله؟؟

أشار أستاذنا الدكتور عبد المنعم ماجد إلى قضية حريق الفسطاط، ودرسها جيداً، وخرج بنتيجة خلاصتها: إن الحاكم بأمر الله برئ من هذه التهمة وأن القصة كلها من نسج خيال الكُتّاب أعداء الفاطميين. ودليله – يرحمه الله تعالى– "أن المقريزي – العارف بأحوال مصر والقاهرة معرفة تامة – لم يذكر شيئا عن حرق القاهرة زمن الحاكم بأمر الله"[٩٠].

ولكنني أميل إلى أن الحاكم قد أمر بحريق القاهرة، أو بعبارة أخرى كان على علم بالحريق، وذلك لعدة أسباب:

أولا: رغبة الحاكم بأمر الله في أن يتخلص من طائفة العبيد الذين كثر فسادهم في مصر، وقاموا بأعمال سلب ونهب، وضعت الحاكم –أكثر من مرة – في موقف لا يحسد عليه أمام جمهور المصريين. ومن جهة أخرى أراد أن يتخلص من المغاربة والأتراك – الذين كثر استبدادهم في مصر – بسلاح لم يكلفه شئ، سلاح الفتنة والوقيعة، لتبقى هيبة الخلافة الفاطمية، وهيبة الحاكم بأمر الله،ماثلة في الأذهان.

ثانيا: إن لم يشر المقريزي إلى هذه القصة، فقد أشار إليها كثير من المؤرخين[٩١] مثل: ابن الجوزى، وابن الأثير ، والنويرى، والذهبي، وابن كثير، وابن تغرى بردى. والأخير؛ على معرفة تامة بأحوال مصر والقاهرة، معرفة لا تقل عن المقريزي، أن لم تزد عليه.

ثالثا: هذا فضلا عن أن المقريزي نفسه أشار إلى حريق الفسطاط فقال ما نصه: "إن أهل مصر أوقفوا امرأة من جريد مؤتزرة بيدها ورقة فيها سب الخليفة الحاكم بأمر الله ولعنه، عندما منع النساء من الخروج في الطرقات، فعندما مر من هنا حسبها امرأة تسأل حاجة فأمر بأخذ الورقة منها، فإذا فيها من السب من أغضبه، فأمر بها أن تؤخذ، فإذا هي من جريدة قد ألبس ثياباً، وعمل كهيئة امرأة، فاشتد عند ذلك غضبه، وأمر العبيد بإحراق مدينة مصر، فأضرموا فيها النار"[٩٢]

ويعزو المقريزي هذه الأحداث للمؤرخ عز الملك المسبحي (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) الذي كان معاصرًا للحاكم بأمر الله، ودون ما وقع في عهده من أحداث. كذلك لا نستبعد أن يكون الحاكم بأمر الله – على أقل تقدير– على

علم بحريق الفسطاط، إن لم يكن قد أمر به، خاصة؛ وأن الحاكم كان يتصف بالذكاء والشجاعة والإقدام فإذا هم بشئ فعله كما يقول المؤرخون[٩٣].

*أثر الثورة على الحياة في مصر:

كان لهذه الثورة ــ التي بدأت قولية وانتهت بالصدام المسلح بــين العبيــد والمصريين ــ اثر كبير على اقتصاد مصر؛ فقد احترق من "مدينة الفسطاط ثلثهــا، ونهب ما يقرب من نصفها"[٩٤]، كما أخذت كثير من النساء أسرى ووقعت الفاحشة بهن من العبيد، ومنهن من قتلت نفسها خوفا من العار والفضيحة. ومما هــو جــدير بالذكر؛ إن المصريين ذهبوا إلى قصر الحاكم، وطلبوا منه أن يخلص النساء مــن يــد العبيد، ولما لم يستجيب لهم، قام الناس بسبه وتجرئوا عليه ،حتى قال بعضهم لــه: " أراك الله في أهلك وولدك مثل ما رأينا في أهلنا وأولادنا"[٩٥] وهذا يدل على جــرأة المصرين ويدل على عدم خوفهم من الحاكم.

كذلك كان من أثر هذه الثورة: كثرة القتلى من المصريين و العبيد، واستبداد طائفة العبيد على باقي طوائف الجيش. وإن لم تظهر نتائج ذلك في خلافة الحــاكم، ولكنه ظهر بوضوح في خلافة ولده الظاهر لإعزاز دين الله.

ومن صور المقاومة القولية – أيضًا – طعن المصريين في نسب الحاكم بأمر الله ويبدو أن الخلفاء الفاطميين قد قاسوا كثيرًا من هذه القضية. فقد استغل المــصريين محضر الطعن الذي أصدره الخليفة العباسي القــادر بــالله في شــهر ربيــع الآخــر (٤٠٢هــ/١٠١١م) ضد الحاكم، حيث تناول المحضر الطعن في نسبه، واتهم الخلفاء الفاطميين بالكفر والزندقة، وتعطيل حدود الإسلام، واتهــم الحــاكم بأنــه يــدعى الإلوهية[٩٦].ورغبة من الخليفة القادر بالله في أن يكون لهذا المحضر أثره ولا يتــسرب الشك إليه. وقع عليه كبار العلويين والقضاة والفقهاء[٩٧] وأرسلت نسخ منــه إلى معظم الآفاق، ومنها مصر. فتأثر المصريون بهذا المحضر لدرجة جعلت الحاكم يردد في

كل يوم جمعة من على منبره: "نحن أفضل من خلفاء بني العباس؛ لأننا من ولد فاطمة بنت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم"(٩٨)

فكتب المصريون إليه رقعة علقت على المنبر ــ من شعر ابن يزيد ــ جاء فيها:

إ نا سمعنا نسبا منكرًا يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدعي صادقا فاذكر أبًا بعد الأب الرابع
إن ترد تحقيق ما قلته فانسب لنا نفسك كالطائع
أو فدع الأنساب مستورة يقصر عنها طمع الطامع(٩٩)

وبعد هذه الأبيات انتهى الحاكم من ذكر نسبه وشرفه. ولم يكتف المصريون بالأبيات السابقة؛ فعندما كثر قتل الحاكم، وزاد عسفه وظلمه قام المصريون بتعليق ورقة على منبره في يوم الجمعة، جاء فيها:

بالظلم والجور قد رضينا ليس بالكفر والحماقة
إن كنت أعطيت علم غيب فقل لنا كاتب البطاقة(١٠٠)

فأبطل الحاكم ادعاء الغيب. وهذه الأبيات تدل على جرأة المصريين في هجاء الحاكم. وهكذا نجح المصريون في استخدام سلاح الشعر – الهجاء– في السخرية من الحاكم، وفي التخفيف من الظلم الواقع بهم.

كذلك يدخل في باب المقاومة القولية، النصح للخليفة، وتقديم المشورة له. فقد ذكر المؤرخون(١٠١):إن الحاكم بأمر الله كان جالسًا في قصره، وحوله أعيان، دولته. فقرا عليه بعض الحاضرين قوله تعالى:" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليما"(١٠٢).وكان القارئ يشير إلى الحاكم بأمر الله. وعندما فرع من القراءة، قام رجل من أهل السنة يعرف بابن المشجر فقرأ قوله تعالى:"يا أيها الناس ضرب مثل

فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولــو اجتمعــوا لــه وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنفذوه منه ضعف الطالب والمطالب ما قــدروا الله حــق قدره إن الله لقوي عزيز[١٠٣]".

فلما انتهي الرجل من قراءته تغير وجه الحاكم. ثم أمر لابن المشجر بمائة دينار، ولم يأمر للآخرين بشئ. وإن كان بعض رجال القصر قد نصحوا ابن المشجر بالسفر خوفًا من بطش الحاكم. واستجاب الرجل وخرج للحج، و مات في الطريق.

وهكذا رأينا أن أساليب مقاومة المصريين القولية قد تعددت أشكالها من عمل امرأة من القراطيس استهزاء بالحاكم، إلى تعليق الأبيات على منبره يوم الجمعــة، إلى النصح له في مجلسه. وهذا النوع من المقاومة يدل على ذكاء المصريين الذين، "لهــم خبرة بالكيد والمكر، وفيهم بالفطرة قوة عليه وتلطف فيه.. حتى صاروا مضرب المثل فيه بين الأمم"[١٠٤]

المبحث الرابع

(الثورات الدينية)

تعددت ثورات المصريين في عصر الحاكم بأمر الله (٣٨٦- ٤١١هـ/ ٩٩٦ – ١٠٢٠م) فهناك الثورات السياسية، والاقتصادية، والطائفية، والدينية. ونقصد بها تلك الاحتجاجات التي قام بها أهل السنة، أو أهل الذمة، ضد أوامر الحاكم. كما تشمل الاشتباكات التي كانت تحدث بين الشيعة والسنة ،خاصة ونحن نعلم أن الدين كان له أكبر الأثر في نفوس الناس في ذلك الوقت، فسرعان ما تثور ثائرة الناس إذا مس عقيدهم أو شعائرهم الدينية شيء.

(أ) ثورات أهل السنة:

قامت سياسة الحاكم في بداية خلافته علي اضطهاد أهل السنة، والتشدد ضدهم في إصدار الأحكام، فنجده بعد أن آل إليه زمام الحكم، بعد أن تخلص من برجوان عام (٣٩٠هـ/ ٩٩٩م) يصدر أحكاماً كثيرة، تدل علي تعصبه للمذهب الشيعي؛ ومنها: أنه أعاد صلاة القنوت، وأمر بقطع صلاة التراويح، والضحى، وأضاف إلي الآذان عبارة " محمد وعلياً خير البشر "[١٠٥] كما أمر بالتثويب في الدعاء. وبدأت سياسة التشدد ضد أهل السنة منذ عام(٣٩١هـ/ ١٠٠٠م) عندما قبض علي رجل من الشام قال: لا أعرف علي بن أبي طالب، والنبي- صلي الله عليه وسلم- نبي مرسل، فحبس ثلاثة أيام، ثم قتل بعدها[١٠٦] وصلب. وفي (٣٩٣ هـ/ ١٠٠٢م) قبض علي رجل من أهل السنة في دمشق فضرب ضرباً شديداً ،وطيف به علي حمار، وكان ينادي خلفه " هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر "[١٠٧] ثم قتل بعدها. وفي عام (٣٩٤هـ- ١٠٠٣م) قبض علي ثلاثة عشر رجلاً، وضربوا، وشهروا علي الجمال، ثم صلبوا ثلاثة أيام لأنهم أدوا صلاة الضحى في المسجد. وفي عام (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) بلغ التشدد أقصاه، حيث أمر بسب أبي بكر وعمر-

رضي الله عنهما – وبعض الصحابة كطلحة، والزبير، وأم المؤمنين عائشة ،ومعاويـــة بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص – رضي الله عنهم أجمعين –. وأمر بكتابـــة ذلـــك علي أبواب المساجد والجوامع، وفي الشوارع والطرقات والأسواق الحوانيت، وعلي المقابر، ولونه بالأصباغ والذهب[١٠٨].ثم كتب إلي العمال سجلاً بـــذلك، ثم أبطـــل العمل بالمذهب الشافعي، السائد في مصر، وأمر بالعمل بالمذهب المالكي، وقرب منه علماء المالكية، ولكنه ما لبث أن انقلب عليهم، فقتل كثيراً منهم[١٠٩] بدون ذنـــب. وبلغ التشدد أقصاه، حين أمر الحاكم بعدم خروج الناس بعد العشاء ،وأن تتوقـــف حركة البيع والشراء. وتشدد مع النساء فمنعهن من الخروج إلي الأســـواق، ومـــن خرجت منهن كان جزاءها القتل. وبالفعل ؛عم الفزع والخوف البلاد، ولم يسلم منه أحد، وبات كل إنسان خائفاً علي نفسه. مما جعل المؤرخين يصفون الحاكم بأنه كان: " سفاكاً للدماء، قتل كثيراً من كبار دولته صبراً "[١١٠].

وأمام هذا الاضطهاد الديني، انقسم الشعب المصري إلي فئتين:

الأولي: قامت باعتناق المذهب الشيعي، خوفاً من ظلم الحاكم وبطشه، حـــتى تسارع الناس إلي اعتناق المذهب الشيعي، فعم البلاد، وكان القاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان يجلس لشرح الدعوة الفاطمية، ولشدة الزحام خصص يوم الأحـــد للرجال، ويوم الأربعاء للنساء، ويوم الثلاثاء للأشراف والسادة. وكثيراً مـــا كـــان الناس يموتون من شدة الزحام[١١١] أثناء حضور المجلس.

أما الفئة الثانية: فلم توافق علي تصرفات الحاكم، وكانـــت ســـاخطة عليـــه وقامت بالثورة كبرى ضده في مدينة الفسطاط[١١٢]. وأمام خوف الحاكم وخشيته من تفاقم الثورة، أظهر ميله إلي أهل السنة، وترك لهم حرية أداء شعائرهم.

*أثر الثورة علي الحياة الدينية:

كان لثورة أهل السنة في الفسطاط أثر كبير علي الحياة الدينية، فقد أمر الحاكم في عام (٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م) بعدم سب أم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها – وأمر بضرب عنق من يقوم بذلك، ومنع الناس من الحضور إلي القصر لسماع مجالس الدعوة الفاطمية . وفي عام (٣٩٧ هـ/ ١٠٠٦م) أمر بمحو السب من أبواب المساجد، وأمر صاحب الشرطة أن يلزم كل صاحب دار بمحو ما كتب علي جدرانه، كما أمر بضرب وتشهير من سب الصحابة. وبالفعل، ضرب رجل وشهر ونودي عليه: (هذا جزاء من سب أبا بكر وعمر). وفي عام (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) كان الحاكم يتفقد بعض الأماكن فإذا وجد شيئاً مكتوباً بسب الصحابة أنكره؛ ووقف حتى قلع. وأمر بتتبع الألواح التي فيها شيء من ذلك فقلت كلها ومحيت(١١٣).

وبحلول عام (٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) خفف الحاكم من الإجراءات التي اتخذها ضد أهل السنة فترك لهم الحرية الدينية في أداء شعائرهم؛ فصام الناس علي رؤية الهلال، وكبروا علي الجنازة أربع تكبيرات، ثم قام بتعيين القاضي السني أحمد بن أبي العوام الحنبلي قاضياً علي مصر، وسائر الولايات الفاطمية.

وهكذا يتضح لنا أن تشدد الحاكم ضد أهل السنة بلغ أقصاه عام(٣٩٥ هـ/١٠٠٤م)، وبقيام ثورة أهل السنة في الفسطاط في عام(٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م) نجد الحاكم ينهى عن سب الصحابة ،ويتشدد في ذلك، بل و يأمر بعقاب من اقترف شيء من هذا. وهكذا؛ احتفظ المذهب السني بسيادته في أرض مصر.

(ب) مسألة ألوهية الحاكم بأمر الله وموقف المصريين منها:

من القضايا الهامة في التاريخ الفاطمي مسألة تأليه الحاكم بأمر الله. ويبدو أن هذه القضية قد مرت بعدة مراحل، أولها: إن الحاكم كان يرسل الجواسيس والعيون

من الرجال والنساء في كل مكان، ويدخلون دور كبار رجـال الدولـة، يراقبـون حركاقم، ثم يخبرهم بها في اليوم التالي ليعلمهم أنه واقف علي تصرفاقم[١١٤]. مدعياً علم الغيب. و في المرحلة الثانية: تطورت هذه المسألة وبدأت في الظهور منذ عـام(٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م) حيث أمر الناس إذ ذكر اسمه أن يقف الجميع علـي الأقـدام صفوفاً تعظيماً لذكره واحتراماً لاسمه. وأمر أهل مصر علي وجه الخصوص إذا قاموا خروا ساجدين، حتى إنه كان يسجد بسجودهم مَن في الأسواق. المرحلة الثالثة: هي ادعاء الحاكم الألوهية صراحة. فقد حضر إلي مصر بعض دعاة الشيعة مـن بـلاد الفرس، واختلف هؤلاء إلي مجالس الدعوة الفاطمية، وما لبثوا أن اعتنقوا المـذهب الشيعي، وخرجوا علي تعاليم المعتدلين من الإسماعيلية. وكان أعظم هؤلاء الـدعاة تأثيراً في عصر الحاكم: حمزة بن علي الزوزني، وحـسن بـن حيـدرة الفرغـاني(الأخرم)،ومحمد بن إسماعيل البخاري (الدرزي).

كان حمزة بن علي في بادئ الأمر عاملاً يشتغل بصنع اللباد[١١٥] في فـارس، وقدم إلي مصر سنة (٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) ثم انضم إلي الدعاة الذين كانوا يتوافدون علي دار الحكمة التي أنشأها الحاكم في عام (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) وأخذ ينشر سرًا الدعوة إلي تأليه الحاكم. ثم جهر بالدعوة عام (٤٠٨هـ/ ١٠١٧م) فاجتمع إليـه طائفة من متطرفي الشيعة الإسماعيلية. وأولاه الحاكم رعايته حتى إنه كان كـثيراً مـا يلتقي به في القرافة، يرحب به وبأنصاره أحسن ترحيب[١١٦].

ثم ظهر الحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف (بالأخرم) وكان من أعوان حمزة بن علي، وظهرت دعوته (٤٠٩هـ/ ١٠١٨م) وكان يري حلول الإله في الحاكم، ويتكلم في إبطال النبوة، فأسقط اسم الله– عز وجل – واسم النبي– صلي الله عليـه وسلم– واعتبر التنزيل والتأويل والتشريع خرافات وقشور. وللأسف بـدأت هـذه الدعوة– الفاسدة– تجد لها أتباعاً من عوام الناس، حتى كان الواحد فـيهم يلقـي

الحاكم فيقول له: " السلام عليك يا واحد، يا أحد، يا محي ما مميت ". ثم زاد الأمر سوءاً، فأصبح للأخرم دعاة يعملون علي نشر مذهبه بين الناس. ومما هو جدير بالذكر، إن أهل الذمة قد استغلوا هذه الدعوة – وكان الحاكم قد شدد قبضته عليهم- فكان الواحد فيهم إذا لقي الحاكم قال له: إلهي قد رغبت في شريعتي الأولي، فيقول له الحاكم: " أفعل ما بدالك " فيرتد عن الإسلام. ثم استدعي الحاكم الأخرم إلي قصره، وخلع عليه خلعاً سنية، وجعل له خدمًا يسيرون في ركابه، واكتسب عطف الحاكم ورعايته. وذهب الأخرم إلي جامع عمرو بن العاص، وأعلن دعوته بتأليه الحاكم. فأثار حديثه غضب السنيين، فرفعوا شكواهم إلي القاضي أحمد بن محمد بن العوام إمام المسجد.

ثار القاضي في وجه أتباع الأخرم وتبعه في ذلك الحاضرون، فانقضوا عليهم ثم استقر رأيهم علي التخلص من الأخرم.لكنه تمكن من النجاة بنفسه، فظلوا يتعقبونه حتى قام أحد السنيين بقتله[١١٧]. وذهب أهل السنة إلي دار الأخرم فنهبوه وأخذوا جميع ما كان به.

لم تنته الدعوة بقتل الأخرم، حيث ظهر داعي جديد يسمي " محمد بن إسماعيل البخاري " المعروف بالدرزي، وسمي نفسه " سند الهادين وحياة المستجيبين"، وحظي بعطف الحاكم ورعايته حتى ُعرف بغلام الحاكم، و رتفع مركزه حتى إن القواد وكبار رجال الدولة كان يقفون علي بابه. ثم وضع لأتباعه كتاباً أسماه " الدستور" وبمرور الوقت زاد أتباعه حتى بلغ عددهم ستة عشر ألفاً، وارتكبوا ما يسيء إلي الإسلام، بل ما يخرج عن الإسلام ــ أصلا ــ مثل: تلطيخ القبلة، والبول علي المصحف، وكانوا يبيحون البنات والأمهات والأخوات، ويرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن. وبعث الدرزي رجالاً من أتباعه قاموا بضرب الحجر الأسود في الكعبة، ودخل الدرزي الجامع الأزهر وقرأ علي أتباعه كتاب " الدستور" ثم ذهب إلي المسجد العتيق، وقّدم للقاضي أحمد بن العوام رسالة جاء فيها:" باسم الحاكم الرحمن

الرحيم[١١٨]" فلما قرأها القاضي ثار في وجهه، وسخط المـصريون الـسنيون مـن الشيعة، وعمت الثورة البلاد، وذهب الثوار إلي مترل الدرزي، فقاموا بنهبه، وقتلوا أربعين رجلاً من أتباعه.

أما الدرزي فقد اختلف المؤرخون في مـصيره. فـالبعض[١١٩] يـذكروا:إن الدرزي فر إلي قصر الحاكم، الذي دبر له سبيل الفرار بعد أن أمده بالأموال،و قال له: أخرج إلي الشام وانشر الدعوة في الجبال، فإن أهلها سريعو الانقياد. وسرعان ما رحل الدرزي عن مصر، ونزل بجبال لبنان، وهناك أخذ ينشر دعوته إلي تأليه الحاكم. وتمكن بفضل حجته أن يستميل إلي جانبه كثيرًا من الأنصار الذين عرفوا فيما بعـد باسم الدرزية[١٢٠]. بينما يذكر البعض الآخر[١٢١]: إن أهل مصر قتلوا الـدرزي في أثناء الثورة. فقام الحاكم بقتل سبعين رجلاً منهم. وهناك رواية[١٢٢] ثالثة تقـول:إن الدرزي قُتل في إحدى المعارك عام (٤١٠هـ/ ١٠١٩م).

ومما هو جدير بالذكر،أن جل المصريين ـ جميعاً ـ عارضوا هذه الدعوة بمـا فيهم الشيعة أنفسهم؛ حتى إن أحمد بن حميد الدين الكرماني وضع رسالة بعنـوان " الرسالة الواعظة في الرد علي الأخرم الفرغاني " يدحض فيها فكرة تأليـه الحـاكم ويفندها، يثبت عقيدة الإسماعيلية في الله الذي لا إله إلا هو.

ولنا سؤال أخير: هل أدعي الحاكم بأمر الله الألوهيـة فعـلاً ؟ أم إن هـذه الدعوي كانت من أعدائه السنيين ؟

يظهر لي أن الحاكم علي الرغم من تطرفه في بعض الأحكام التي أصدرها ضد أهل السنة لم يدعِ الألوهية، وذلك لعدة أسباب:

أولاً: أن الحاكم ـ في قرارة نفسه ـ كان يعلم أن هذه المسألة ستقابل مـن المسلمين بالثورة الجامحة، فمن المؤكد أن الشعوب- عادة- قد تتغاضى عن هفوات الملوك، وتصرفاتهم الإدارية والسياسية، ولكنها لا تتغاضى

– مطلقاً – عن العبث بالعقائد التي هي أصول الدين. والشعب المصري سني شديد التمسك بعقيدته. يقول بن خلدون: " ولا يقولها (الألوهية) ذو عقل، ولو صد من الحاكم بعض ذلك لقتل لوقته"[١٢٣].

ثانياً: لم يصلنا من – مصدر تاريخي – نص واحد يشير إلي أن الحاكم نفسه قال: إنه هو الإله، وإنما قالها غيره من الأفاقين الذين وفدوا إلي مصر. وما ذكره جل المؤرخون في هذا قولهم: " يقال إنه (الحاكم) أراد أن يدعي الألوهية كفرعون وشرع في ذلك فخوفه خواصه بخروج الناس عليه وزوال دولته فانتهي عن ذلك"[١٢٤].

ثالثاً: ذكر كثير من المؤرخين ما يدل علي ثبات عقيدة الحاكم في الإيمان بالله تعالي وحده، وينفي عنه دعوي الألوهية. ففي سنة (٤٠٢هـ/ ١٠١١م) نهي الناس عن تقبيل الأرض بين يديه، ومنع من تقبيل ركابه ويديه عند السلام عليه، كما منع من مخاطبته في المكاتبات بلفظ " سيدنا ومولانا " ولا يخاطب إلا بأمير المؤمنين فقط. كما كان يصلي في كل جمعة علي النبي – صلي الله عليه وسلم – ولا غرابة في ذلك فهو القائل: أصبحت لا أرجو ولا أتقي " إلا إلهي وله الفضل. المال مال الله عز وجل، والخلق عباد الله، ونحن أمناؤه في الأرض"[١٢٥] .وهذا الكلام لا يصدر من مدع الألوهية، إنما يصدر ممن هو أقرب إلي الزهد والورع.

*أثر الثورة:

أولاً: كان لثورة المصريين السنيين أثر كبير علي الحياة الدينية : أثبتت أن الشعب المصري لم يقبل هذه الدعوة الباطلة، بل قاومها بكل الوسائل، ونجحت ثورته

في طرد أذيالها من مصر، وبقي المذهب السني نظيفاً نقياً يشهد علي إيمان المـــصريين الشديد بالله تعالي.

ثانيا: أن المصريين كانوا ينظرون إلي الحاكم نظرة ازدراء، حتى إن بعضهم تجرأ عليه بالسب واللعن الذي وصل إلي أعماق الريف المصري(١٢٦).

(جـــ) ثورات أهل الذمة:

كان أهل الذمة طبقة من طبقات المجتمع المصري، وقد تمتعوا بنفوذ كبير في زمن الخليفة العزيز بالله (٣٦٥- ٣٨٦هـــ/ ٩٧٥- ٩٩٦م) ممـــا أثـــار حفيظـــة المسلمين فثاروا ضدهم. وبعد تولي الحاكم بـــأمر الله(٣٨٦- ٤١١هـــــ/ ٩٦٦- ١٠٢٠م) الخلافة الفاطمية، اتهمه كثير من المؤرخين بالتعصب للمـــذهب الـــشيعي، واضطهاده لأهل الذمة(١٢٧) حتى كان يتشدد معهم في المأكل والملبس والركوب.

ويقتضينا الإنصاف أن نوضح حقيقة هامة تتعلق بالحاكم بأمر الله، ألا وهي: إنه لم يتشدد مع أهل الذمة فقط، بل كانت أحكامه تصدر لجميـــع فئـــات المجتمـــع المصري سواء المسلمين أو الذميين. بالإضافة لذلك، كان لأهل الذمة دور بـــارز في إدارة البلاد في خلافة الحاكم، حيث كان منهم الوزراء، والكُتّاب وعمال الخـــراج، وغيرهم. ونذكر من هؤلاء: عيسي بن نسطورس، وأبا العلاء فهد بن إبراهيم الـــذي لقب بالرئيس، ومنصور بن عبدون الذي لقب بالكافي، وزرعة بن نسطورس.

ولقب بالشافي، وصاعد بن عيسي بن نسطورس ولقب " بالأمير الظهير شرف الملك تاج المعالي ذو اليدين ".

كذلك عمل في بلاط الحاكم كثير من الأطباء الذميين، نـــذكر منـــهم: أبـــو الفتوح منصور بن سهلان بن مقشر الذي كانت له الحظوة عند الحاكم، حتى أنه لما مرض زاره. والطبيب المعروف بالحقير النافع(١٢٨).

ويبدو لي؛إن أهل الذمة قد استغلوا نفوذهم، وكثرت أموالهم، فتسلطوا علي المسلمين، و" أصبحوا آفة عليهم ،عدة للنصارى "[١٢٩] كمـا يقـول المقريـزى. وأخذوا يسيئون للمسلمين، وكانوا يتظاهرون بشرب الخمر، ولعب الميسر، والفسق والفخور، ويقومون برفع الصلبان، ويرفعون أصواتهم بالترتيل والقراءات في الإنجيل. وقاموا ببناء الكنائس والأديرة بالقرب من المساجد، كما كان يجتمع اليهود في حارة الجودرية[١٣٠] ويغنون بألفاظ تسيء للإسلام والمسلمين. وكانوا يرددون.

وأمه قد ضلوا ودينهم معتل قال لهم نبيهم نعم الإدم الخل[١٣١]

ويسخرون من المسلمين. ومما لا شكل فيه؛ أن هذه الأفعال كانت تثير حفيظة المسلمين. ففي عام (٣٩٣ هـ/ ١٠٠٢م) عندما شرع النصارى في بناء كنيسة لهم، ثار المسلمون عليهم وقاموا بهدمها[١٣٢]، وأمام ثورة المسلمين رأى الحاكم أن يقلل من نفوذ أهل الذمة. وقد مر ذلك بعدة مراحل، نجملها فيما يلي:

أولاً: منع احتفالات القبط ففي (٣٩٨ هـ/ ١٠٠٧م) منع الاحتفال بعيد الغطاس وأبطل ما كان يحدث فيه من فجور وعصيان. وفي عام (٤٠٢هـ/ ١٠١١م) منع الاحتفال بعيد الصليب، وأبطل الرسوم التي كانت تقوم فيه.

ثانياً: أمر الحاكم بالتشدد مع أهل الذمة في الملبس والركوب للتميز بينهم وبين المسلمين، ففي عام (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) ألزم أهل الذمة بشد الزنّار، ولبس الغيار، والعمائم السود علي رؤوسهم. وفي عام (٤٠٣هـ/ ١٠١٢) منعهم الحاكم من ركوب الخيل، وأن يقتصر ركوبهم علي البغال والحمير بسروج ولجم غير محلاة بالذهب والفضة، وأمر النصارى أن يحملوا في أعناقهم صلباناً خشبية طولها شبرًا، ثم أمر أن تكون ذراعاً، وزنتها خمسة أرطال وتكون مختومة بخاتم رصاص[١٣٣]، وتعلق في رقابهم بحبل من ليف، وأمر اليهود أن يحملوا خشبة علي شكل رأس عجل، وجعل لهم حمام خاصة بهم.

ثالثاً: أمر الحاكم بهدم الكنائس و الديارات، ففي عام (٤٠٣هـ/١٠١٢م)كتب إلي جميع عمال الأقاليم بتمكين المسلمين من هدم الكنائس ونهب ما فيها،وقام المسلمون بالاستيلاء علي أموال الكنائس، وهدمها، وإقامة المساجد مكانها.

ومن ذلك أنه عندما قام النصارى ببناء كنيسة لهم في مكان راشدة، ثار المسلمون في الفسطاط ووصلت أنباء الثورة إلي الحاكم، فأمر القائد حسين بن جوهر بالنظر في الأمر، ومال إلي النصارى في حكمه. ولكن الحاكم أمام ثورة المسلمين، أمر بهدم الكنيسة وبناء مسجد مكانها سمي بمسجد راشدة، وظل هذا المسجد موضع اهتمام الحاكم حتى توفي (٤١١هـ/ ١٠٢٠م).ثم قدم الحاكم علي خطوة أكثر جرأة؛ وهي هدم كنيسة القيامة[١٣٤] التي في بيت المقدس. وكانت هذه الكنيسة يعظمها الأقباط ويحجون إليها كل عام، وكان النصارى يقومون بأفعال غريبة لفتنة المسلمين.وعندما علم الحاكم بذلك أرسل إلي والي الرملة قائلاً له: " خرج أمر الإمامة إليك يهدم كنيسة القيامة فاجعل سماها أرضًا وطولها عرضاً" [١٣٥] فلما علم القبط بذلك أخرجوا من الكنيسة ما كان فيها من ذهب وفضة وجواهر، ولم يستولِ رجال الحاكم إلا علي القليل، وهدمت أجزاء من الكنيسة.

ومما هو جدير بالذكر؛ أن الحاكم لم يقدم علي هذه الخطوة، إلا بعد أن علم إن الإمبراطور البيزنطي قد هدم المسجد الجامع في القسطنطينية، ومع ذلك فإن الحاكم بأمر الله لم يهدم كل الكنائس التي في أرض الدولة الفاطمية. وإن كان ابن تغري بردي يقول: " ولم يبقِ في ولايته ديراً ولا كنيسة إلا هدمها "[١٣٦] فإنها مبالغة منه. وعلي العموم فقد بلغ ما هدم من الكنائس خلال تلك الفترة (٤٠٣هـ–١٠١٢/ ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) ما يقرب من " ثلاثين ألف بيعة "[١٣٧].

وأمام إجراءات الحاكم السابقة، وتشدده ضد أهـل الذمـة، انقـسموا إلي فرقتين؛ أولهما: تظاهرات بالدخول في الإسلام – خوفاً من بطش الحاكم– وتـضييق العامة عليهم في الطرقات.ثانيهما: لم تستسلم بل كانت تقاوم. وظهرت ثـوراتهم في شوارع القاهرة و الفسطاط حتى اجتمعوا تحت قصر الحاكم، وارتفعـت أصـواتهم بالشكوى، وكانوا يستغيثون به أن يخفف عنهم هذا العناء، فاستجاب لهم، وانتـهت ثورتهم بذلك.

*أثر الثورة علي الحياة الدينية:

كان لهذه المقاومة القولية، والثورة الكلامية أثر كبير علي حياة أهل الذمـة. حيث أصدر الحاكم في عام (٤١١هـ/ ١٠٢٠م) سجلاً سمح فيه لأهل الذمة بعمارة كنائسهم، وإعفائهم من لبس الغيار وحمل الصليب. كما سمح لهم بضرب النـواقيس في الكنائس، وأذن لمن أراد العودة منهم إلي دينه، وقال: " نتره مساجدنا أن يدخلها من لا نية له، ولا يعرف باطنه "[١٣٨] ويقال: إنه ارتد أكثر من سبعة آلاف يهـودي في يوم واحد. ورجع إلي مصر كثير من اليهود والنصارى الذين غادروا البلاد. وهذه الإجراءات جعلت مؤرخي أهل السنة يتهمون الحاكم بالميل إلي النصارى والمروق عن الإسلام.

وأخيراً: يمكن القول؛ إن أهل الذمة قد عاشوا خلال العصر الفاطمي ـــ وقبله ـــ في هدوء وسلام وتمتعوا بحرياتهم الدينية والدنيوية، وأن تشدد الحاكم معهم كـان في فترة وجيزة. ولم تكن هذه الإجراءات ضد أهل الذمة فقط، بل كان يتشدد مـع كل طوائف المجتمع المصري.

هوامش الفصل الثالث:

١- ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥ ص ٢٩٢، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ١٠، ص١٣١، سير أعلام النبلاء، جـ١٥، ص١٧٣، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٤٠٨، المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢،ص٣، الخطط، جـ ٤ ،ص ٦٨، ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١٧٦.

٢- د/ عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله الخليفة المفتري عليه، الأنجلوا المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١٠٨.

٣- د/ مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص ٢٢٥.

٤- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ١٨٦.

٥- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص ٤٧ -٥٩.

٦- المقريزي:نفس المصدر،نفس الجزء، ص٤٧.

٧- ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٤٨٠، ابن أيبك: الدرة المضية، جـ٦، ص٢٧١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص٢٠٤.

٨- أبي شجاع: ذيل تجارب الأمم، جـ٣، ص٢٣٨، ابن القلانسي: ذيل تاريخ مشق، ص٦٢.

٩- النويري: نهاية الأرب، جـ٢٨، ص١٧٤، ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص٥٧.

١٠- ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٤٨٠، المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص١٩.

١١- د/ سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص٢٤٣.

١٢- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٥١.

١٣- أبو الفدا: المختصر، جـ٢، ص١٣٨، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ١٠، ص٢٣٥، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ص٤٤٣، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٤٣.

١٤- الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، وكان من عادة الصوفية أن يحملوه معهم في أسفارهم. المعجم الوجيز، ص٢٧٧.

١٥- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص٦٠، الخطط، جـ٤، ص٧٠.

١٦- ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٤٢، المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص٦٠.

١٧- الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ١٠، ص٢٣٥، ابن تغرى بردي: النجوم، جـ ٤، ص٢١٥.

١٨- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص٥١.

١٩- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص٦١، ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص٢١٦.

٢٠- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص٦٠.

٢١- ابن الجوزي: المنتظم، جـ٧، ص٢٣٣.

٢٢- ابن الأثير: الكامل، جـ ٨ .

٢٣- ابن الأثير: نفس المصدر، نفس الجزء، ص٤٣.

٢٤- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص٦٣.

٢٥- ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٤٤.
٢٦- ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص٢١٢.
٢٧- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص٦١.
٢٨- ابن أيبك: الدرة المضية جـ٦، ص٦٧، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق١، ص٢٠٢.
٢٩- يذكر بعض المؤرخين: أن الفضل بن صالح كان في جيش الثوار، وأن الحاكم بعث إليه بهدية مقدارها خمسمائة ألف دينار، جعلت الفضل ينضم للحاكم. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص٤٣١، الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٢٤، ص٤٩.
٣٠- بركة الحبش: هي في ظاهر مدينة الفسطاط فيما بين الجبل والنيل، كانت من أرض الموات، فأحياها قرة بن شريك، فعرفت بإسطبل قرة، ثم عرفت ببركة الحبش، وكانت تعرف = ببركة المعافر، أو ببركة حمير. المقريزي: الخطط، جـ٣، ص٢٤٧-٢٥٢.
٣١- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص٦٣، الخطط، جـ٤، ص٧٠.
٣٢- ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص٢١٦.
٣٣- ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص ٤٥ أبي الفدا: المختصر ، جـ٢ ص١٣٨.
٣٤- ابن الجوزي: المنتظم، جـ٧، ص٢٣٤، النويري: نهاية الأرب، جـ٢٨، ص١٨٣ ،الذهبي: دول الإسلام، ص٢١١، ابن الوردي: تاريخ بن الوردي، ص٤٤٣، بن خلدون: العبر، جـ٤، ص٥٨ -٥٩.
٣٥- ابن ظافر: أخبار الدولة المنقطعة، ص١٢١، الذهبي: تاريخ الإسلام،جـ١٠،ص٢٣٥، ابن أيبك: الدرة جـ٦، ص٢٧٦، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١،ص٤٣١، المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢،ص٦٤.
٣٦- بنو الكنز: بطن من ربيعة بن نزار، كانوا ينزلون اليمامة، وقدموا مصر في خلافة المتوكل العباسي حوالي عام (٢٤٠هـ) في عدد كثير، ونزلت طائفة منهم بأهالي الصعيد. المقريزي: البيان والأعراب، ص٤٥. امتدت دولة بنو الكنز من أسوان إلى كورسكو في جنوب مصر، وظلت على ولائها للفاطميين. وبعد قيام الدولة الأيوبية وفي عام (٥٧٠هـ) جمع كنز الدولة أهل أسوان وقصدوا القاهرة، يريد إعادة الدولة الفاطمية، فأرسل إليه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب جيشاً كثيفاً بقيادة أخيه " العادل" فانتصر عليهم، فرحلوا إلى جنوب مصر واستقروا في وادي حلفا. ابن الأثير: الكامل جـ١١، ص١٥٦، المقريزي:المقفى الكبير: جـ٧ ص٥٢٧ – ٥٢٨. القوصي: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٨٩ وما بعدها.
٣٧- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤،ص٢١٦ .
٣٨- ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٢٢، ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص ٤٦.
٣٩- أبو الفدا: المختصر، جـ٢، ص ١٣٨، ابن أيبك: الدرة المضية، جـ٦، ص ٢٧٦، المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص ٦٥.
٤٠- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٦.
٤١- ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ١٧٩.
٤٢- المقريزي: اتعاظ الحنفاء، جـ٢، ص ٦٣.

٤٣- ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول، ص ١٢٣، النويري: نهاية الأرب، جـ٢٨، ص١٨٤
٤٤- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٦.
٤٥- دحلان: خلاصة الكلام، ص١٧، ابن الجوزي، المنتظم ، جـ٧، ص٢٠٢، المقريزي: المقفى الكبير، جـ٣، ص٣٥٠-٣٥٢.
٤٦- الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ١١، ص٨، ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ١١، ص٤٣٩.
٤٧- ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٤٨٢،المقريزي: الخطط، جـ٣، ص٢٥٦،
٤٨- ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٢٥.
٤٩- ابن الأثير: الكامل ، جـ٧، ص٤٨٢ .
٥٠- ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ١١، ٤٣٩.
٥١- د/ ماجد: الحاكم بأمر الله، ص ١٥٣.
٥٢- ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٢٠٤.
٥٣- ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء، ص٥٥١، ابن العبري: تاريخ مختصر، ص١٨٢.
٥٤- د/ محمد عوض: نهر النيل، ص٥٣، أمل لودفيغ: النيل حياة نهر ، ص٨٩-٩٠ .
٥٥- د/محمود عبد الفتاح شرف: مصر في عصر الحاكم بأمر الله الفاطمي – سياسيًا – رسالة دكتوراه، غير منشورة ، كلية اللغة العربية ، قسم التاريخ و الحضارة ، جامعة الأزهر ، عام ١٩٨٢ م ، تحت رقم(١٨١٧)، ص١١٧.
٥٦- ابن أيبك: الدرة المضيئة ،جـ٦ ،ص٢٦١ ،ابن تغرى بردى: النجوم ، جـ٤،ص٩٩ = بينما ذكر ابن إياس أن الزيادة ١٦ ذراعا و ٣ أصابع ، بدائع الزهور،جـ١ ،ق١،ص٢٠٤.
٥٧- المقريزى: اتعاظ الحنفا ، جـ٢،ص ٥٨ الخطط ،جـ٤ ،ص٦٨ .
٥٨- المقريزى: نفس المصدر،نفس الجزء،ص٥٩، بينما يذكر ابن أيبك:الدرة المضيئة،جـ٦ص٢٧٣،وابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ،جـ٤،ص٤١٣، أن الزيادة بلغت ١٦ ذراعا و ثلاثة أصابع.
٥٩- المقريزى: نفس المصدر،نفس الجزء، ص ٥٧-٥٨ .
٦٠- المقريزى: الخطط،جـ٤،ص٧١.
٦١- ابن أيبك: الدرة المضيئة،جـ٦،ص٢٧٥، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ،جـ٤،ص٢١٧.
٦٢- المقريزى: إغاثة الأمة ، ص٤٥.
٦٣- المقريزى: نفس المصدر،نفس الصفحة.
٦٤- المقريزى: اتعاظ الحنفا،جـ٢،ص٦٩.
٦٥- المقريزى:الخطط،جـ٤،ص٧١.
٦٦- ابن أيبك: الدرة المضيئة ،جـ٦،ص٢٧٧،ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، جـ٤،ص٢٢٠.
٦٧- المقريزى: المصدر السابق،نفس الجزء،ص٧١،وكتابه: إغاثة الأمة ،٤٥.
٦٨- ابن إياس:بدائع الزهور، جـ١،ق١،ص٢٠٥.

٦٩- باب البحر: أحد أبواب القصر الفاطمي أنشأه الحاكم بأمر الله ،وظل هذا الباب قائماً، حتى هدمه الملك الظاهر بيبرس البندقداري عام ٦٧٢هـ. المقريزي:الخطط،جـ٤،ص٢٩٤، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،جـ٤، ص١٩٠-١٩٢،د/عبد الرحمن زكي:بناة القاهرة،ص٤٥،د/سعيد عاشور:الظاهر بيبرس،ص١٦٧.

٧٠- يقع جنوب الفسطاط،ويحمل اسم قبيلته راشدة التي نزلت في هذا المكان أيام الفتح الإسلامي لمصر و قد بناه الحاكم (٣٩٣هـ/١٠٠٢م) وكان كثير الذهاب إليه و الاهتمام به.المقريزى:الخطط،جـ٤،ص ٦٣ .وقيل نسب إلى السيدة رشيدة بنت المعز عمة الحاكم ، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ،جـ٤، ص١٩٢، السيوطي: حسن المحاضرة،جـ٢،ص٢٢١.

٧١- المقريزى: إغاثة الأمة،ص٤٦،ابن إياس: بدائع الزهور،جـ١،ق١،ص٢٠٥.

٧٢- أنظر تفاصيل هذه المجاعات في المقريزي:اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص١١٥،١١٢،٩٣ .

٧٣- كان هذا الديوان يدخل في اختصاص ديوان التحقيق، وكان يتولاه كاتب خبير، وكانت له الخلع والمرتبة والحاجب وكان يفتقر إليه في أكثر الأوقات .المقريزى: الخطط، جـ٢،ص٢٤٢، د/ماجد: نظم الفاطميين، جـ١، ص ١١٢-١١٣، د/سمير عبد الله سليمان: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، ص٩٨.

٧٤- المقريزي: إغاثة الأمة،ص٤٣-٤٥.

٧٥- المقريزي: الخطط، جـ٤، ص ٧١.

٧٦- د/المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي،ص٢٤٥.

٧٧- ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة،ص ٢٨-٢٩، المقريزي: المقفى الكبير، جـ٣، ص٤٣٦-٤٤٠.

٧٨- ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١ ،ص٢٧٠ - ٢٧١، ، الصفدي: الوافي بالوافيات، جـ١٠، ص١١٠

٧٩- اليافعي: مرآة الجنان، جـ٣، ص ٢٥.

٨٠- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٥٥، ابن أيبك: الدرة المضية،جـ٦، ص ٢٦٢.

٨١- ذيل تجارب الأمم، جـ٣،ص٢٣١،و يذكر أنه قتل في عام(٣٨٩هـ/٩٩٩م). وانظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ١،ص٢٧١، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١،ص ٤١٨.

٨٢- الخطط: جـ٣ ،ص٥

٨٣- ابن ميسر: المنتقى، ص١٨٢.

٨٤- اتعاظ الحنفا، جـ٢،ص٢٧-٢٨، الخطط، جـ٣، ص٣٢-٣٣.

٨٥- المقريزي:نفس المصدر، جـ٢،ص٦٩

٨٦- ابن الجوزي: المنتظم،جـ٧ ،ص٢٩٧-٢٩٨، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ١١، ص٢٣٧-٢٣٨، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص ٤٦٦، المقريزي:الخطط، جـ٣، ص١٦٥، ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١٨١-١٨٢، ومورد اللطافة، جـ١، ص٢٧٦، السيوطي: حسن المحاضرة:جـ١،ص ٥٢٢ .

٨٧- استخدام المصريون هذا اللون من المعارضة في خلافة العزيز بالله، ونجحوا في رفع الظلم الواقع عليهم مـــن أهل الذمة. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ،ص٣٣، ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٤٧٧.

٨٨- ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١٨١، ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ص ١٣٦.

٨٩- ابن تغرى بردى: نفس المصدر،نفس الجزء،ص ١٨٣.

٩٠- د/ ماجد: الحاكم بأمر الله ، ص٤٩.

٩١- ابن الجوزى: المنتظم ، جـ٧، ص٢٩٧ – ٢٩٨، ابن الأثير: الكامل ، جـ٨، ص١٢٨، النويرى: نهايـة الأرب، جـ٢٨، ص٢٨، ص١٩٣، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ١١، ص٢٣٧-٢٣٨، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص٤٦٦، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١٨١-١٨٢.

٩٢- المقريزي: الخطط، جـ٣، ص١٦٥.

٩٣- ابن أبي دينار: المؤنس، ص٨٦، الإسحاقي: لطائف أخبار الأول، ص ٢٥٤.

٩٤- ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٣١ ،السيوطي: حسن المحاضرة، جـ١،ص٥٢٢.

٩٥- ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، جـ٤، ص١٨٣.

٩٦- ابن الجوزى: المنتظم، جـ٧، ص٢٢٥، اليافعي: مرآة الجنان، جـ٣،ص٤، السيوطي: حسن المحاضـرة، جـ٢،ص٣٨٢-٣٨٣، ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٣،ص١٦٢.

٩٧- وقع على هذا المحضر من العلويين:الرضي والمرتضى، ومن القضاة: أبي محمد بن الأكفـاني، وأبـو محمـد الكشفلي، والإمام أبو حامد الأسفراييني، وأبو الحسن القد وري وغيرهم. ابن الأثير، الكامل ، جـ٨، ص ٢٧٣، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١،ص٤٤١.

٩٨- ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١،ق١،ص٢٠٨.

٩٩- ذكرت المصادر هذه الأبيات مع اختلاف بسيط في الألفاظ، ابن خلكـان: وفيـات الأعيـان ، جــ٥، ص٣٧٣، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ١٠، ص١٣١، اليافعي: مرآة الجنان، جـ٢، = ص٤٣١، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١١٦، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٤.

١٠٠- ابن إياس: بدائع الزهور ، جـ١،ق١، ص٢٠٨.

١٠١- ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥،ص ٣٩٥، ابن تغرى بردى:المصدر السابق،نفس الجزء،ص١٨٠.

١٠٢- سورة النساء، آية ، ٦٥.

١٠٣- سورة الحج، آيات ٧٣- ٧٤.

١٠٤- المقريزي: الخطط، جـ١، ص٨٧- ٨٠.

١٠٥- ابن أيبك: الدرة المضية، جـ ٦، ص ٣٨٧.

١٠٦- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٣٩ .

١٠٧- أبو الفدا: المختصر، جـ ٢، ص ١٣٦، ابن إياس:بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤٠٠.

١٠٨- ابن الأثير: الكامل ،جـ ٨، ص ١٢٩، ابن العماد: شذرات الذهب، جـ ٣، ص ١٩٣.

١٠٩- ابن أيبك: الدرة المضية ،جـ ٦، ص ٢٧٩، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤١٤.

١١٠- ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٥، ص ٢٩٤، ابن خلدون: العبر ،جـ ٤، ص ٦٩.
١١١- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٥٤، الخطط، جـ ٤، ص ١٥٤ .
١١٢- د / علي الخربوطلي: مصر العربية الإسلامية، ص ٢٢١.
١١٣- ابن الأثير: الكامل، جـ ٨، ص ١٢٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان ،جـ ٥، ص ٢٩٦ .
١١٤- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٥٤، الخطط، جـ ٤، ص ١٥٤.
١١٥- اللباد: صناعة الصوف والشعر، الزمخشري: أساس البلاغة، جـ ٢، ص ٣٢٩.
١١٦- د / سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص ٦٦.
١١٧- ابن الجوزي: المنتظم، جـ ٧، ص ٢٣٠- ٢٣١، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١١، ص ٤٢٩.
١١٨- الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ ١١، ص ٢٣٧،، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، جـ ١، ص ٤٦٧.
١١٩- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ١٨٤.
١٢٠- مازالت هذه الدعوة منتشرة في بلاد الشام، ويعرف أتباعها باسم (الدرزية)وقد اتخذوا تقويماً جديداً يبدأ من عام (٤٠٨هـ/ ١٠١٧م)، وهي السنة التي ظهرت فيها دعوي تأليه الحاكم، وهذه الطائفة تنقسم إلي الروحانيين والجثمانيين. د/ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، جـ ٣، ص ٢١٣، / مصطفي غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص ٢٢٥.
١٢١- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١١٨.
١٢٢- د/ ماجد: الحاكم بأمر الله، ص ١٠٨- ١٠٩.
١٢٣- ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٧٢ .
١٢٤- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ١٨٤ .
١٢٥- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٩٧، الخطط، جـ ٢، ص ٣٨٨.
١٢٦- د/ ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص ٢٤٩.
١٢٧- ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ص ١٥٢.
١٢٨- كان من أهل مصر، يهودي المذهب، طبيب جراح، عالج الحاكم فأمر له بألف دينار، وخلع عليه، وجعله من أطباء الخاصة. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ١٨٢، ابن أبي اصيبعة:عيون الأنباء، ص ٥٤٩، القفطي: إخبار العلماء، ص ١٢٢- ١٢٣ .
١٢٩- الخطط، جـ ٣، ص ٤٨ .
١٣٠- حارة الجودرية: تنسب إلي جماعة عرفوا بالجودرية، أيام العزيز بالله، وقيل تنسب لإحدى طوائف العسكر أيام الحاكم بأمر الله وهي تقع الآن في المنطقة التي يخترقها شارع الجودرية وفروعه. ابن أيبك: الدرة المضيئة، جـ ٦، ص ١٤١، المقريزي: الخطط، جـ ٣، ص ٦- ٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ٤٢.
١٣١- ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ١٩٨.
١٣٢- المقريزي: الخطط، جـ ٤، ص ٦٤.

١٣٣- ابن أيبك: الدرة المضية، جـ٦، ص ٢٨٦.

١٣٤- قامت ببناء هذه الكنيسة الإمبراطورة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين العظيم عندما زارت أورشليم سـنة ٣٢٦م فحدثها المطران مكاريوس عن حالة أورشلم السيئة، فقررت الإمبراطور تأسيس كنيسة القيامة The churchof thc holy sppulchre في الأماكن التي ارتدها المسيح عليه السلام، وأصبحت لها مكانة عظيمة عند المسيحيين ،وقد زار بعض الرحالة المسلمون هذه الكنيسة ومنهم المسعودي سنة ٩٣٤م، وناصر خسرو سنة ١٠٤٧م، والشريف الإدريسي سنة ١١٥٤م، ويطلق عليها " القمامة" لأنه كان حولها كومة من الدمن يلقي فيه أيدي الآثمين من اللصوص . الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ ١٠، ص ٢٣٨، السيوطي: حسن المحاضرة، جـ ١، ص ٥٢١، ابن العماد الذهب، جـ ٣، ص ١٥٠، د/ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، ص ١٥٨ – ١٦٣.

١٣٥- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٧.

١٣٦- النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ٧٧.

١٣٧- المقريزي: الخطط، جـ ٤، ص ٣٩٩.

١٣٨- ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١١، ص ٤٣٤.

الفصل الرابع

الثورات في عهد الظاهر لإعزاز دين الله

(٤١١- ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠- ١٠٣٥م)

* مقدمة:

إن عصر الخليفة الظاهر كان امتداداً لعصر الخليفة الحاكم بأمر الله فقد ظهرت في خلافته الثورات السياسية والاقتصادية والطائفية وغيرها.

التعريف بالظاهر:

هو أبو الحسن علي بن الحاكم بن العزيز بن المعز، الملقب بالظاهر لإعزاز دين الله، ولد بالقاهرة عام (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) وكانت ولايته بعد أبيه بمدة، لأن أباه (الحاكم) فقد في السابع والعشرين من شوال عام (٤١١هـ/ ١٠٢٠م) وكان الناس يرجون ظهوره، ويتبعون آثاره إلي أن تحققوا من موته، فأقاموا ولده الظاهر، فولي الخلافة الفاطمية في يوم عيد النحر عام (٤١١هـ/ ١٠٢٠م) وله ست عشرة سنة، وملك سائر ممالك والده، وقامت عمته ست الملك (ت ٤١٥هـ/١٠٢٤) بتدبير مملكته، وبذلت العطاء للجند، حتى استقام الأمر للظاهر، الذي يصفه المؤرخون: بأنه كان عاقلاً، سمحاً، جواداً، يميل إلي دين وعفه وحلم مع تواضع ، محباً للرعية، يميل إلي اللهو والغناء، ويحب الدعة والراحة، توفي في شعبان (٤٢٧- ١٠٣٥م) وعمره إحدى وثلاثون سنة، وكانت ولايته ست عشرة سنة وتسعة أشهر.

الثورات في عهد الظاهر:

شهد عصر الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١هـ- ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٥م) كثيراً من الثورات منها السياسية، الاقتصادية ، الطائفية، الدينية. ولم تنعم البلاد في خلافته بالهدوء والرخاء والاستقرار ، بعد العناء الطويل الذي شهده أبيه الحاكم (٣٨٦- ٤١١هـ/ ٩٩٦- ١٠٢٠م). وأستطيع القول: إن عصر الظاهر يعد فترة انتقالية بين عصر الخلفاء الأقوياء ، والخلفاء الضعفاء، بين عصر قوة وسيطرة الخلفاء، وبين عصر قوة وسيطرة الوزراء. ولا نتجاوز الحقيقة إن قلنا: إن ثورات المصريين، كان لها دور في تحول الخلافة الفاطمية من عصر النفوذ المطلق للخلفاء، إلي عصر السلطة المستبدة، وأعني بها سلطة الوزراء.

المبحث الأول

(الثورات السياسية)

شهد عصر الظاهر قيام الثورات السياسية، وهي تنقسم إلي ثورات داخلية وهي كثيرة – مقارنة بعصر الحاكم بأمر الله – وخارجية، وشملت أماكن كثيرة من أراضي الخلافة الفاطمية. ولنبدأ بالثورات الداخلية.

أولاً: الثورات الداخلية:

لم يخلِ عصر الظاهر من الثورات الداخلية، تلك الثورات التي كانت تحاول قلب نظام الحكم، وخلع الظاهر من عرش الخلافة الفاطمية، وكذلك ثورات المصريين احتجاجاً علي مقتل الحاكم. فضلاً عن حركات التمرد والعصيان التي ظهرت في الصعيد. والآن نتحدث بالتفصيل عن هذه الثورات:

(أ) ثورة الشعب المصري لمقتل الحاكم بأمر الله:

أثارت مسألة فَقْد الحاكم بأمر الله مشكلة كبرة بين طوائف المجتمع المصري، وبين رجال الجيش الفاطمي، فبعد ثلاثة أيام من غياب الحاكم ، خرجت جموع المصريين إلي جبل المقطم يبحثون عن الحاكم لعلهم يعثرون عليه، ولكنهم لم يجدوا شيئاً، فأرسلوا إلي السيدة ست الملك يسألونها عن خليفتهم، فأجابتهم بأنه قد ذكر لها أنه سوف يغيب سبعة أيام، وسوف يعود ،وطمأنت الثائرين فانصرف الجميع في سكون وطمأنينة.

وبعد انقضاء السبعة أيام لم يظهر الحاكم ، فبدأ الخوف يدب في قلوب المصريين، ويبدو أنهم لم يقتنعوا بمسألة غيبة الحاكم، وأشيع بين الرعية أنه قتل، فخاف الناس علي أرواحهم وأموالهم، لأنهم توقعوا حدوث فتنة بين طوائف الجيش، ومن ثم فقد هاجت القاهرة بالثوار، وعمت الثورة شوارع المدينة، واشترك رجال كتامة مع المصريين في الثورة؛ واشتد خطر الثوار، فأمرت السيدة ست الملك أبا عروس –

متولي أبواب القاهرة – بعدم فتح الأبواب خوفاً من الثوار[١]. وبدأت ست الملك في ترتيب أمور الخلافة الفاطمية، فأخذت العهد من الجنود بحفظ الأمن والنظام، وفرقت الأموال علي الخاصة، وأخذت عليهم الميثاق بالوقف إلي جانبها حتى يستقيم الأمـر لها.

وفي اليوم السابع من الثورة، ألبست أبا الحسن علي بـن الحـاكم أفخـر الثياب، ووضعت تاج الخلافة علي رأسه، وأركب مركب الخليفة المعـز الفـاطمي، وخرج بين يديه أرباب الدولة، حتى وصل إلي القصر الفاطمي فصاح أبا الحسن عمار بن محمد بأعلى صوته: يا عبيد الدولة مولاتنا السيدة ست الملك تقول لكـم: هـذا مولاكم أمير المؤمنين، فسلم الجميع عليه، وقبلوا الأرض و ارتفعت أصواقم بالتكبير والتهليل، واتخذ أبو الحسن لقب الظاهر لإعزاز دين الله.

وأقبلت جميع طوائف المصريين لمبايعته بالخلافة فأنعم عليهم بالهـدايا والمـنح والأموال، وأقيم العزاء علي الحاكم ثلاثة أيام، وانتهت ثورة المصريين ،و عاد الهدوء إلي شوارع العاصمة الفاطمية (القاهرة). ومما هو جدير بالذكر أن هـذه الثـورة لم يقتل فيها أحد سوي غلام تركي – كان يحمل الرمح بين يدي الحاكم ـ صـاح في الناس: لا أبايع حتى أعرف خبر مولانا الحاكم، ولكن صاحب الشرطة قبض عليـه، وبعد يومين من محبسه وجدت جثته في النيل. ويبدو لنا أن السيدة ست الملك هـي التي دبرت قتل هذا الغلام المعارض الثائر ليستقيم الأمر للخليفة الظـاهر، وتقـضي علي بقايا المعارضة في القصر الفاطمي.

ويبدو أن مقتل هذا الغلام التركي لم يكن يعني انتهاء المعارضة، حيث كـان هناك عدو يتربص بالظاهر، ويتوعده بالمتاعب، وهو الحسين بن دواس الكتـامي – الذي دبر مع ست الملك قتل الحاكم – وأصبح خطراً علي الخلافة الفاطمية، لذلك رأت السيدة ست الملك ضرورة التخلص منه ، فدبرت مع نسيم الـصقلي خـادم

القصر خطة للإطاحة بالحسين بن دواس. واستدعت السيدة ست الملك الحسين بن دواس إلي القصر الفاطمي لتدبير شئون الخلافة، وعندما حضر إلي هناك ، أوقفه نسيم الصقلي بين الجنود وصاح فيهم: يا عبيد مولانا أمير المؤمنين يقول لكم هذا قاتل مولانا الحاكم بأمر الله ، وضربه نسيم بالسيف، واجتمع العبيد عليه وقتلوه، ورميت جثته من أعلي شرفات القصر إرهاباً لأنصاره، الذين حضروا خارج القصر، ولكنهم لم يفعلوا شيئا وانصرفوا ولم يعترض فيه معترض[٢] علي حد تعبير المقريزي.

(ب) معارضة عبد الرحيم بن إلياس:

تعد الإمامة أصلاً من أصول المذهب الإسماعيلي، الذي نص علي أن تكون الإمامة في نسل أبناء علي بن أبي طالب- رضي الله عنه - دون غيرهم، وهي تنتقل بالوراثة من الأب إلي الابن، وذلك لأنهم اعتقدوا أن للإمامة صفات وعلوم خاصة تنتقل بالوراثة كما تنتقل الصفات الخلقية تماماً[٣].

وقد التزم الخلفاء الفاطميون منذ إقامة دولتهم بهذا النظام فكان كل خليفة يعهد لابنه بالخلافة (الإمامة) ، ولكن الحاكم بأمر الله (٤١١هـ/١٠٢٠م) حاول مخالفة هذا المبدأ ، فأوصي بولاية العهد لابن عمه عبد الرحيم بن إلياس [٤] عام (٤٠٤هـ/ ١٠١٣م) م ،وأمر الناس بالسلام عليه وضرب اسمه علي السكة، ونقش علي الطراز والبنود ، كما كان ينوب عن الحاكم في الخطبة والصلاة،والنظر في المظالم، وبعث سجلاً إلي سائر الأقاليم بأخذ ولاية العهد لعبد الرحيم بن إلياس.

ولا يخفي علينا أن في هذه المحاولة هدم لركن هام من أركان المذهب الشيعي، وحدوث انقسام خطير بين أبناء المذهب الإسماعيلي، حتى أنا أبا مناد بن باديس حاكم القيروان غضب من ذلك. وقال: " لولا أن الإمام لا يعترض عليه في تدبير لكاتبته ألا يصير هذا الأمر عن ولده إلي ابن عمه "[٥] وفي عام (٤٠٩هـ/ ١٠١٨م) عهد الحاكم لعبد الرحيم بولاية دمشق، فقويت شوكته بها، ورخص للناس ما كان الحاكم

منعه عنهم من شرب الخمر ، واستماع للملاهي، وكان يتقرب لأهل دمشق فأطاعوه ، واستمعوا لقوله. وعندما وصل لعبد الرحيم خـــبر وفـــاة الحـــاكم (٤١١هـــــ/ ١٠٢٠م) في القاهرة أعلن نفسه خليفة للمسلمين، واتخذ من دمشق مقرا لخلافته.

عندما وصلت هذه الأنباء إلي السيدة ست الملك في القاهرة، أحست بخطـــر هذا الانقسام وعلمت أن هذا الانشقاق ضعف للخلافـــة الفاطميـــة، لـــذلك رأت ضرورة التخلص من عبد الرحيم بن إلياس، لتستقر الخلافة الفاطميـــة للظـــاهر في القاهرة، ومن ثم أمرت الوزير عمار بن محمد بمكاتبة عبد الرحيم في دمشق يطلب منه الحضور إلي القاهرة لمبايعته بالخلافة، ويبدو أن الأمر قد صادف هوي في نفس عبـــد الرحيم فاستجاب علي الفور، وتحرك من دمشق حتى وصل إلي الفرما، وهناك قبض عليه حاكمها (علي بن داود) ثم حمل إلي تنيس ومنها إلي القاهرة عاصـــمة الخلافـــة الفاطمية.

دخل القصر الفاطمي، وهو مكبل بالأغلال، وبايع الظاهر بالخلافة والـــسيف علي رأسه، ثم أمرت السيدة ست الملك بحبسه في سجن القصر.

وقد اختلفت آراء المؤرخين في مصيره، فبعض الروايات (٦) ذكرت أن السيدة ست الملك كانت تلاطفه في سجنه، ولكنها خافت علي عرش الخلافة الفاطميـــة – حيث كان المرض قد اشتد بها– فأمرت معضاد الخادم بقتل عبد الرحيم وتخلـــصت منه. وهناك رواية ثانية (٧) تذكر أن عبد الرحيم عندما يأس من فك أسره طعن نفسه بسكين كان معه، وعندما بلغ الظاهر هذا الخبر، أحضر القضاة والشهود، فـــاعترف عبد الرحيم أمامهم بأنه هو الذي فعل ذلك بنفسه ومات بعد قليل.

وأنا أميل إلي الرأي الأول، وأكاد أجزم بأن السيدة ست الملك هي التي دبرت مقتل عبد الرحيم. وذلك لعدة أسباب أولها: أن هذه السيدة كانت تتصف بـــالقوة والشجاعة والإقدام والثبات، وقد نجحت في قتل أخيها الحاكم خوفاً علـــي عـــرش

الخلافة الفاطمية أفيستبعد عليها قتل من يهدد الخلافة الفاطمية، ويطلبها لنفسه ؟ ثاني هذه الأسباب: أن السيدة عندما أحست بقرب أجلها، أرادت أن تقضي علي الخلاف الذي قد ينشب بين أبناء المذهب الإسماعيلي، حول أحقية عبد الرحيم في الخلافة. خاصة وأن الظاهر كان صغير السن فلا يستطيع ذلك بنفسه، لذلك قررت السيدة التخلص من ولي العهد عبد الرحيم بن إلياس. ومن ثم استقام الأمر للظاهر لإعزاز دين الله، والذي أصبح رابع الخلفاء الفاطميين في مصر.

(جـ) ثورة أهل الصعيد:

بعد القضاء علي معارضة عبد الرحيم بن إلياس لم يستقم الأمر للظاهر نهائياً، ففي عام (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) ظهر ثائر من بني الحسين – لم تذكر المصادر التاريخية الكثير عنه – استطاع أن يجمع حوله كثيراً من الثوار المعارضين للخلافة الفاطمية، وتحالف مع قبائل بني هلال، وبني كلاب، وبني قوة، الذين خلعوا طاعة الظاهر وانضموا لهذا الثائر.

ويمكننا إيجاز أسباب الثورة فيما يلي:

١- الطموح الشخصي ، عند هذا الثائر الذي طمع في الخلافة اعتماداً علي نسبه الشريف وتحالف القبائل العربية- الناقمة علي الخلافة الفاطمية- معه.

٢- اضطراب أحوال الدولة الفاطمية بسبب المجاعات التي اجتاحت أراضي الخلافة واضطراب الأمن وقيام العبيد بالثورات المستمرة، ونهبهم للفسطاط والقاهرة.

٣- خلو الصعيد من الجيش الفاطمي (الحامية) بسبب إرساله إلي الشام للقضاء علي ثورة حسان بن الجراح ومن تحالف معه.

٤- بُعد إقليم الصعيد عن مقر الخلافة الفاطمية في القاهرة، وصعوبة وصول

الجيش (الإمدادات) إلي هناك، وضعف شخصية الوالي " حيـدرة بـن عقيابان".

علي كل حال قامت الثورة، واتسع نفوذ الثوار، ولم يستطيع والي الصعيد "حيدرة" القضاء علي الثورة لقلة جنده، لذا طلب الإمدادات من القاهرة، ولأن الخلافة الفاطمية أحست بخطورة الثورة، أرسلت إليه القوات. ونجح حيدرة في تنظيم صفوفه، وخاض المعركة ضد الثوار، واستطاع أن يقضي علي الثورة، وأن يقبض علي ثائر بني الحسين، الذي اعترف بأنه قتل الحاكم بأمر الله غيرة علي الإسلام، ثم أخرج سكينًا وقتل نفسه، وكان يردد هكذا قتلت الحاكم!! وقيل أنه شرب سماً فمات علي الفور(٨).وبعث حيدرة برأسه ومتاعه إلي الخليفة الظاهر في القاهرة. الذي فرح بالقضاء علي الثورة وعودة الهدوء والاستقرار إلي الصعيد. ومما هو جدير بالذكر أن الصعيد لم يشهد ثورة أخري خلال خلافة الظاهر لإعزاز دين الله.

ثانياً: الثورات الخارجية:

كما شهد عصر الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١- ٤٢٧ هـ/ ١٠٢٠ – ١٠٣٥م) قيام الثورات الداخلية، فقد شهد – كذلك – ظهور الثورات الخارجية، التي هددت الظاهر، وكادت تطيح بخلافته الفاطمية. ويمكننا أن نجمل هذه الثورات فيما يلي:

(أ) ثورة أهل الشام:

ضعف شأن بني الجرح بفلسطين بعد الهزيمة التي حلت بهم في أواخر عهد الحاكم بأمر الله علي يد القائد " علي بن فلاح " واستعاد الفاطميون سيطرتهم علي هذا الإقليم.

ظل الحال علي ذلك حتى ولي الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١- ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠- ١٠٣٥م) الخلافة الفاطمية، فحاول حسن بن مفرج بن

الجراح استرداد سلطانه علي الرملة فحشد الثوار، وهاجم المدينة، وقام بنهبها، ثم أعلن الاستقلال بفلسطين عام (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م).

جهز الخليفة الظاهر جيشاً فاطمياً ضخماً بقيادة " أنوشتكين الدزبري "[٩] الذي حاول القضاء علي ثورة حسان بن الجراح، ولكنه فشل في ذلك. وأغري هذا الانتصار حسان بن الجراح فعقد تحالفاً مع عرب الشام لطرد الفاطميين من هناك وتقسيمها فيما بينهم علي النحو التالي:

١- أن يصبح لحسان بن مفرج بن الجراح الأراضي الواقعة من الرملة حتى حدود مصر الشرقية.

٢- تصبح طبرية وما يتصل بها من الساحل لمحمود بن مفرج بن الجراح.

٣- تكون دمشق وأعمالها لسنان بن عليان وعشيرته.

٤- يكون من حلب إلي نهر الفرات لصالح بن مرداس.

ومما هو جدير بالذكر؛ أن هؤلاء الأمراء (الثوار) قد أطلعوا الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني علي هذه الاتفاقية، وطلبوا معونته، ولكنه لم يجب طلبهم لكثرة مشاكله الداخلية.

وعلي ذلك يمكن القول: بأن الثورة في بلاد الشام مرت بمراحل ثلاث:

الأولي: بقيادة حسان بن الجراح، وأخيه محمود في (الرملة) والثانية: بقيادة صالح بن مرداس في (حلب)، والثالثة: بقيادة سنان بن عليان في (دمشق)، وسوف نواصل السير مع الثوار الثلاث، لنصل في النهاية إلي أثر هذه الثورة علي حالة مصر الفاطمية.

بعد هزيمة الدزبري أمام حسان بن الجراح، وعلمه بالاتفاق الذي عقد بين الزعماء الثلاث (حسان ، صالح ، سنان)، أرسل في طلب النجدة من الخلافة الفاطمية في القاهرة.

أدرك الخليفة الظاهر خطورة الموقف في بلاد الشام فأرسل سرية حربية لمساعدة الدزبري، ولكن لسوء الحظ لم يخرج من عساكر هذه السرية سوي عدد بسيط وصل إلي مدينة العريش، ولم يتجاوزها، وأغلب الظن أن قلة النفقة – التي وصلت إلي أربعين ديناراً لكل فارس [١٠]– هي التي جعلتهم لا يخرجون للقضاء علي ثورة الشام.

عندما علم الدزبري بعدم وصول الإمدادات من القاهرة اضطر للدخول في معركة غير متكافئة مع حسان بن الجراح، ومن الطبيعي أن تنتهي المعركة بهزيمة الدزبري واستيلاء الثوار علي مدينة الرملة ، وأخذوا ما كان معه من أموال وسلاح وانتشرت أعمال السلب والنهب في المدينة.

أغري هذا الانتصار حسان بن الجراح فأراد أن يستولي علي القاهرة، فجهز سرية قوامها خمسمائة فارس للاستيلاء علي مدينة العريش، وعندما وصل خبر هذه السرية لأهل العريش اضطروا إلي الهجرة عن المدينة فبعضهم انتقل إلي الفسطاط، والبعض الآخر انتقل إلي بلبيس ، وعندما عملت الخلافة الفاطمية بذلك أرسلت مائة فارس للإقامة بالقرب من العريش للدفاع عنها[١١] وحفظ الأمن فيها.

زاد خطر وصلف حسان بن الجراح فبعث إلي بني قرة بالبحيرة يدعوهم للدخول في طاعته وأخذ يعدهم ويمنيهم بالغنائم والمكاسب التي سوف تعود عليهم. وبالفعل؛ استجابوا لدعوته بالموافقة، ولكن لحسن حظ الخلافة الفاطمية أن الدزبري قبض علي هذا الرسول وقتله وباء التحالف بالفشل.

ومما هو جدير بالذكر أن حسان بن الجراح كان خلال هذه الأحداث يبعث الرسائل إلي الخليفة الظاهر بالقاهرة يخبره بأنه مازال مطيعًا له، ويطلب منه إضافة القدس، ونابلس إلي إقطاعه. والغريب أن الخليفة الظاهر أرسل إليه بالموافقة علي إعطائه قطاع نابلس فقط. وكانت هذه الموافقة بمثابة اعترف بعجز الخلافة الفاطمية

عن القضاء علي الثورة، وعلي إقرار وضع الشام علي ما هو عليه. وهـذه الموافقـة أغرت حسان بالإغارة علي حدود مصر للمرة الثانية، فأرسل سرية من ألفي فـارس للاستيلاء علي مدينة الفرما المصرية، وكما حدث في المرة السابقة فقد هاجر سـكان المدينة ؛فبعضهم هاجر إلي تنيس، والبعض الآخر نزل القاهرة.

ومن جهة أخري ظهر ثائر جديد يدعي صالح بن مرداس أمير بـني كـلاب، الذي نجح في احتلال مدينة حلـب (٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) وفـرض سـيطرته عليها(١٢).وفي نفس الوقت كان سنان بن عليان يتقدم للاستيلاء علي مدينة دمشق، ونجح في ذلك بفضل المساعدات التي قدمها له صالح بن مرداس، ودخلـت جنـود سنان المدينة وقاموا بقتل كثير من أهلها، ونهب أموالهم، وإعلان سيطرته علي المدينة.

وهكذا أصبح الوضع في بلاد الشام ينذر بالخطر، حيث تم تقسيم البلاد بـين الثوار الثلاث. ومن الغريب أن حسان بن الجراح بعث برسالة إلي الخليفة الظاهر في القاهرة يخبره بأن الوضع في بلاد الشام أصبح مستقراً، وأنه ومن معه قد كفوا الخلافة الفاطمية أمر الشام كله. ولم يمتلك الظاهر فعل شيء غير طرد رسول حـسان ، ولم يكتب له جوابًا.

ولكن السؤال: ما هو موقف الجيش الفاطمي من ثوار الشام ؟ وأين رجـال كتامة الذين قامت الدولة الفاطمية علي أكتافهم ؛ واستطاعوا تحقيـق الانتـصارات علي أعداء الدولة الفاطمية في خلافة المعز والعزيز والحاكم بأمر الله ؟

في الحقيقة لم يتوان رجال كتامة في القضاء علي الثوار ، فقـد حـضروا إلي القصر الفاطمي، وذكروا للخليفة الظاهر أنهم ـ وجميع طوائف الجيش – لـديهم المقدرة للقضاء علي ثورة بلاد الشام، لولا أنهم هلكوا من الفقر والجوع (١٣). وهكذا بدا الأمر علي حقيقته ، فإن الخلافة الفاطمية لا تستطيع القضاء علي الثورة نظـراً لظروف المجاعة التي تمر بها البلاد.

*القضاء علي الثورة:

بحلول عام (٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) كانت البلاد قد فاقت من شبح المجاعات التي هددت استقرارها وأمنها ، فرأي الخليفة الظاهر الفاطمي الخطر الـذي يهـدد سلطانه ببلاد الشام ، فامر بتجهيز قواته، وأسند قيادة الجيش إلي القائد أنوشـتكين الدزبري، وأطلق عليه " أمير الأمراء " وزوده بالأموال والرجال ، وكـان يحـسه بسرعة القضاء علي الثورة.

رأي الدزبري أن يبدأ برأس الثورة ، فقام بمحاصرة حسان بـن الجـراح في عسقلان ، وقتل كثيراً من جنده، وأعلن سيطرته علي المدينة والـساحل، ولم يجـد حسان وإخوته ملجأ غير الدخول في طاعة ملك الروم ليحتمي في بلاطه، وبـذلك استرد الفاطميون البقاع الجنوبية [١٤] والوسطي من سوريا.

ثم توجه الدزبري للقضاء علي صالح بن مرداس ، ودارت المعركة بالقرب من طبرية علي نهر الأردن. وانتهت المعركة بقتل صالح بن مرداس وولد لـه صـغير ، وحملت رأسها إلي القاهرة.

ثم صار الدزبري إلي دمشق وحاصرها، ففر سنان بن عليان من المدينة. فأعلن الدزبري السيادة الفاطمية علي المدينة ، وبذلك استرد الفاطميون نفـوذهم [١٥] في بلاد الشام.

وامتدح الشعراء القائد الدزبري لتحقيق هذا الانتصار العظيم في بلاد الـشام فقال بعضهم:

ولمصطفي الملك[١٦] اعتزام المصطفي	لما أحاط بيثرب الأحزاب
يومًا للإسلام عز لديهما	دين الإله وذلت الأعراب
طلبوا العقاب ليسلموا بنفوسهم	فابتزهم دون العقاب عقابر[١٧]

*أثر الثورة علي الحياة في مصر:

كان لثورة الشام أثر كبير علي الحياة خلال عصر الظاهر الفاطمي، يتضح ذلك فيما يلي:

(أ) علي السياسة الداخلية:

تأثرت السياسة الداخلية في مصر بالثورة ، حيث كانت تمر بالبلاد مجاعة كبيرة ، فارتفعت الأسعار، حتى بيع الخبز رطلين ونصف بردهم، وبلغ تليس القمح دينارين وثلثين، وتليس الشعير ديناراً واحداً [١٨] ثم ارتفع سعر الخبز فبيع كل رطلين بدرهم.

بالإضافة لذلك فقد انتشرت أعمال السلب والنهب في سائر القطر المصري، وقام العبيد بالإغارة علي الريف المصري، مما أدي إلي وقوع المصادمات بينهم، وبين أهالي البلاد، وقتل كثير من الطرفين.

ومن جهة أخري فقد قتل الشيخ العميد محسن بن بدوس الذي اتهم بالوقوف إلي جانب الثائر حسان بن الجراح، فقد عثر علي رسالة بعث بها الشيخ العميد إلي حسان جاء فيها: " إذا وفيت بالعساكر لم تجد أحداً يلقاك ولا يمانعك"[١٩]. فقبض علي الشيخ العميد، وقتل من ساعته. وقيل إنه ارتد إلي النصرانية قبل موته.

(ب) علي السياسة الخارجية:

كما تأثرت السياسة الداخلية بالثورة، فقد تأثرت كذلك السياسة الخارجية، حيث تقلص النفوذ الفاطمي في بلاد الشام، فقد فقدت الخلافة الفاطمية مدينة (الرملة) التي وقعت تحت سيطرة حسان بن الجراح، و (حلب) التي أصبحت تحت يد صالح بن مرداس، و(دمشق) التي أعلن سنان بن عليان سيطرته عليها. ولا يخفي علينا أهمية هذه المدن الثلاثة للخلافة الفاطمية، فإذا عرفنا أن هذه الثورة استمرت

عدة سنوات (٤١٤هـ- ٤٢٠هـ/ ١٠٢٣- ١٠٢٩ م) علمنا حجم الخسارة التي لحقت ببلاد الشام من قتل ونهب علي يد الثوار، والأعراب الذين انتهزوا الفرصة وأغاروا علي بلاد الشام لار[٢٠].

كذلك ترتب علي هذه الثورة اهتزاز هيبة الخلافة الفاطمية، وتجرأ الثوار علي حدود مصر حيث أرسل حسان بن الجراح سرية بقيادة عبد الله بن إدريس الجعفري للاستيلاء علي مدينة أيلة المصرية، ولما فشلوا في احتلال المدينة قاموا بنهبها، وآخذوا ثلاثة آلاف دينار، بالإضافة إلي سبي كثير من النساء والأطفال [٢١]. كذلك هاجم الثوار مدينة العريش، واستولوا علي ما فيها من مال ومتاع، ثم أشعلوا فيها النيران، بالإضافة لذلك هجرة المصريين من العريش وأيلة إلي القاهرة، وبلبيس، وتنيس. ولا يخفي علينا أن هذا الأمر قد وضع الخلافة الفاطمية في موقف لا تحسد عليه أمام المصريين.

يضاف إلي ما سبق- وهو أهمها- طمع ملك الروم في الاستيلاء علي بلاد الشام، حيث انتهز اشتعال الثورة، واضطرب الأمن، فقام بغارات متوالية علي شمال الشام (٤١٨هـ / ١٠٢٧م). وعندما علم الظاهر بذلك أرسل سفارة إلي الإمبراطور ، البيزنطي يعرض عليه عقد صلح بين الطرفين. وبعد عدة مباحثات تم الاتفاق علي إبرام معاهدة تضمنت شروطاً التزم بتنفيذها كل من الخليفة الفاطمي ، والإمبراطور البيزنطي. وفيما يلي هذه الشروط[٢٢]:

١- أن يسمح للإمبراطور البيزنطي بإعادة بناء كنيسة القيامة في بيت المقدس.

٢- أن يسمح لكافة المسيحيين بإعادة بناء الكنائس التي هدمها الحاكم عدا التي حولت إلي جوامع.

٣- أن يعين الإمبراطور البيزنطي بطريقًا في بيت المقدس.

٤- ألا يقوم الفاطميون بأي عمل عدائي نحو حلب.

٥- ألا تمد الدولة الفاطمية يد المساعدة لأي عدو من أعداء الدولة البيزنطية خاصة أهل صقلية.

وفي مقابل هذه الشروط يتعهد الإمبراطور البيزنطي بما يأتي:

١- أن يعمل علي ذكر اسم الخليفة الفاطمي في كل مساجد الدولة البيزنطية.

٢- أن يطلق سراح الأسري المسلمين.

٣- ألا يقدم الإمبراطور أية مساعدة لحسان بن الجراح.

و مما هو جدير بالذكر إن هذه المعاهدة لم تستمر طويلاً، حيث لم يلتزم الإمبراطور البيزنطي بالشروط التي وردت بها، وتحالف مع حسان بن الجراح، الذي فر إلي الإمبراطور البيزنطي بعد هزيمته علي يد أنوشتكين الدزبري عام (٤٢٠/ ١٠٢٩م).

المبحث الثاني

(الثورات الاقتصادية)

شهدت البلاد المصرية في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١- ٤٢٧هـ / ١٠٢٠- ١٠٣٥م) مجاعة كبيرة ، امتدت لمدة عامين كاملين (٤١٤ – ٤١٥هـ /١٠٢٣- ١٠٢٥م) قاس الشعب فيها خطر الجوع والموت، وعمت الثورة البلاد تطالب بتخفيف هذا الوضع المتردي الذي آلت إليه الأحوال.

تبدأ أحداث هذه المجاعة في جمادي الآخرة (٤٠٤هـ / ١٠٢٣م) بنقصان ماء النيل فقد وصل إلي ١٤ ذراعاً و ١٤ إصبعاً، وهذا يعني المجاعة.حيث لم ترو الأرض الزراعية، فكثر ضجيج الناس، وخرج الرجال والأطفال ومعهم المصاحف إلي جبل المقطم يستغيثون بالله، فلم يغاثوا[٢٣].ثم تعذر وجود الخبز في الأسواق، وازدحم الناس علي شرائه ، وأحجم التجار عن بيع الغلات، وارتفعت الأسعار ، فوصل سعر تليس القمح إلي دينار، وبعد قليل اختفي نهائياً من الأسواق، وكان يباع سراً، دينارين للتليس ، وحملة الدقيق بدينارين وربع، والخبز أربعة أرطال بدرهم وثمن.

وأمام ارتفاع الأسعار، أمر الخليفة الظاهر بعزل ابن عزة المحتسب وتعيين دواس بن يعقوب الكتامي محتسبًا علي الأسواق والسواحل. ونزل المحتسب الجديد إلي شوارع القاهرة، وأحضر الخبازين، وتجار الدقيق، وضرب بعضهم ، وشهر البعض الآخر. فخاف التجار، وانخفضت الأسعار قليلاً ، وبدأت تظهر الغلال في الأسواق[٢٤] ولكن بعد أيام قليلة تعذر وجود الخبز، وكثر ازدحام الناس عليه، ولم يمتلك المحتسب دواس إلا أن يبيع الخبز المبلول بسعر ثلاثة أرطال بدرهم، وهذا يعني عدم تغيير الأسعار، كما يعني – في نفس الوقت – تشجيع التجار علي بيع الخبز لارتفاع أرباحهم، فظهر الخبز في الأسواق.

وأما هذه الأحداث أمر دواس بن يعقوب بفتح مخازن رجال الدولة ، وأطلق للناس ــ من السواحل ــ غلة كثيرة ، وضرب جماعة من الخبازين وشهرهم بسبب رفع الأسعار. كما ضيق علي الطحانين الذين باعوا الدقيق بسعر مرتفع، وألــزمهم بترك عملهم في طحن الغلال، وختم علي مخازنهم فأفلست طواحينـــهم، وجعلـــهم خبازين فقط.

وبحلول عام (٤١٥ / ١٠٢٥م) زادت الأمور سوءاً، فارتفع سعر القمح حتى بيع التليس بثلاثة دنانير، كما ارتفع سعر الشعير والخبز وكل ما يؤكل. وأغلب الظن أن ذلك يرجع إلي استيلاء الدولة علي كل ما ورد إلي المقــس مــن غــلال [٢٥]، وتسليمها إلي القصر الفاطمي.

وإذا تسألنا عن مقدار فيضان النيل في هذا العام لنقف علي سبب المجاعة، فإننا نجد تضارب أقوال المؤرخين، فقد ذكر المقريزي:أن الزيادة كانت قليلة حيث " لم ير النيل فيما تقدم من السنين اقل نقصاناً منه في هذه السنة [٢٦]" ولكنه في نفس الوقت يحدد الزيادة بأنها بلغت ١٦ ذراعا و ٨ أصابع. وهي نفس الزيادة التي ذكرها كـــل من ابن أيبك [٢٧]، وابن تغري بردي [٢٨]. وهذه الزيادة لا تعني حدوث مجاعة ، فما هو سبب المجاعة إذاً ؟؟

يبدو لي إن السبب يرجع إلي مجاعة العام السابق (٤١٤هـ/ ١٠٢٤م) فقد أثرت علي البلاد فواصلت الأسعار ارتفاعها، وبلغت درجة لا يمكن السكوت عليها، حتى إن الخليفة الظاهر بدأ يتشكك في كفاءة وأمانة المحتسب (دواس بن يعقـــوب)، فقام بعزله وعين (بقي الخادم الأسود) محتسباً، وتولي الشرطتين (القاهرة والفسطاط) ليستطيع توفير الخبز ويقضي علي ارتفاع الأسعار. وبالفعل نزل المحتسب الجديد من أول يوم إلي الفسطاط، وأصدر أوامره بتخفيض الأسعار، فاضرب التجار وعمـــال الطواحين وامتنعوا عن فتح طواحينهم، وكان الناس يبحثون عن الخبز والدقيق فلـــم يوجد منه شيء ، فاستغاثوا بالظاهر ليخلصهم مما هم فيه. فاضطر الخليفة إلي عـــزل

(بقي الخادم) وولي دواس بن يعقوب- مرة ثانية - الذي استطاع في وقت قصير أن يوفر الخبز في الأسواق. مما يجعلنا نلقي بظلال الشك في أنه ثمة مؤامرة سرية عقدت بين التجار ودواس خلاصتها: ارتفاع الأسعار- فيتحقق الكسب السريع للتجار- مع توفير المشتريات في الأسواق، مما يعزز مكانة دواس بن يعقوب عند الخليفة الظاهر.

ولكن يبدو أن هذه المؤامرة لم تستمر طويلاً، حيث ارتفعت الأسعار بدرجة لا يمكن السكوت عليها، خاصة أسعار ما يؤكل [القمح ،والدقيق، والخبز] بالإضافة لذلك فقد عم الوباء بالحيوانات والدواجن ، فارتفعت الأسعار أكثر حتى بيع رأس البقر بخمسين ديناراً. مما اضطر الظاهر إلي إصدار أوامره بعدم ذبح شيء من الأبقار السليمة، وهدد من يفعل ذلك بالعقوبة الشديدة التي قد تصل إلي حد القتل. وفي ظني أن الذي دفع الخليفة الظاهر إلي اتخاذ هذا الإجراء هو الحفاظ علي الحيوانات السليمة التي تساعد في أعمال الزراعة من حرث وري.

ولم يكن هذا الإجراء من جانب الخلافة الفاطمية يعني انتهاء المجاعة، حيث زاد الأمر سوءاً ، فقد انتشر وباء الطاعون بين الناس، فمات الكثير منهم حيث " لم يخل منزل أحد من المرض وأوجاع الدم والحلوق (٢٩)" وانخفضت قيمة ما يملكه الناس من المتاع حتى طرحت الثياب والأمتعة في الأسواق، ولم تجد من يقوم بشرائها بدرهم واحد. ومن ثم انخفضت القيمة الشرائية للعملة، فكان الرجل يخرج معه الدنانير ويطلب من الخبز ما يشبعه فلا يجده، وارتفعت الأسعار أكثر، فلم يعد يعثر علي دقيق أو خبز.

وإزاء هذه الأحداث، وارتفاع الأسعار، انفجرت ثورة المصريين. حيث تجمع المصريون في مسجد عمرو بن العاص، وخرجوا في مظاهرات عامة، وقوية ، ساخطة ، وساروا في شوارع الفسطاط، ثم تحركت الثورة إلي القاهرة، وكانوا يطالبون

بتخفيف هذا الضنك الاقتصادي الواقع عليهم، مطالبين بتوفر الخبز في الأسواق. ومما هو جدير بالذكر: إن الشعب قد اعترض ركب الخليفة الظاهر، وكان يـصيحون في وجهه " الجوع– الجوع يا أمير المؤمنين لم يصنع بنا هذا أبوك ولا جدك فـالله الله في أمرنا " (٣٠)، ووقف أحد المغاربة تحت القصر، وأخذ يسب الخليفة علي أقبح وجـه، حتى ضربه رجال الشرطة فسقط علي الأرض، وجروه برجله ووضـع في الـسجن وضرب ثلاثين درة. ولم تنته ثورة المصريين، حتى أن أصواتهم " الجـوع " الجـوع " كانت تشق الهواء لتصل إلي مسامع الظاهر في قصره.

أحس الظاهر بخطورة الثورة ، فأمر بإحضار المحتسب دواس بن يعقـوب إلي القصر وعنفه وهدده، وأمره بتدارك الموقف في أسرع وقـت، فـترل المحتـسب إلي القاهرة وقام بإلغاء المكوس المقررة علي الغلات الـواردة إلي الـسواحل ، وأمـر بتخفيض الأسعار، وشدد العقوبة علي كل من خالف أوامره. وبهذه الإجراءات ظهر الدقيق والخبز في الأسواق بأسعار قليلة، وضرب المحتسب بعـض بـائعي الـدقيق وشهرهم، ثم أمر بسجنهم، وذلك بسبب مغالاتهم في الأسـعار، وبـيعهم الـدقيق الفاسد. كما شدد المحتسب علي مراقبة الموازين والمكاييل في الأسواق حتى أنه وجد رجل يبيع الحلوى في سوق الفسطاط وفي ميزانه نقص، فضرب أمام الناس ثم سجن. وبهذه الإجراءات استطاع المحتسب (دواس بن يعقوب) توفير الخبز والمـأكولات في الأسواق. ومن ثم هدأت ثورة المصريين، وعاد الهدوء والاستقرار إلي أسواق المدينة.

ويجدر بنا أن نشير إلي أنه علي الرغم من انتهاء الثورة، إلا أن المجاعات لم تنته في خلافة الظاهر، حيث شهدت البلاد خطر المجاعات في أعوام ٤١٧هـ/ ١٠٢٧م، ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م ، و ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م (٣١) ولم يقم الشعب المصري خلالهـا بثورات لأن الخلافة الفاطمية كانت قد استوعبت الدرس جيداً فكانت سرعان مـا توفر للشعب الخبز والدقيق حتى لو اضطرت إلي استيراده من الشام.

*أثر المجاعة والثورة علي الحياة في مصر:

كان للمجاعة والثورة أثر كبير علي كافة نواحي الحياة في مصر خلال تلك الفترة ،يتضح ذلك فيما يلي:

(أ) علي الخلافة:

ضعفت شخصية الخليفة الظاهر الذي ترك تسيير أمور البلاد بأيدي ثلاثة من رجال دولته وهم: نجيب الدولة الجرجرائي ، والشيخ العميد محسن بن بدوس ،ومعضاد الخادم. حيث زادت سلطاتهم علي حساب الخليفة الذي عجز عن أن يستجيب لصرخات المصريين لإنقاذهم من تحكم رجال الدولة فيهم وفي أقواتهم.

(ب) علي الحالة الأمنية في البلاد:

اضطربت حالة الأمن في البلاد بسبب قيام العبيد بنهب الغلال ،وإحراق البيوت، كما هاجموا مدينة تنيس، وأغاروا علي قوافل الحجاج المغاربة، ونهبوا سماط عيد النحر بحضور الخليفة الظاهر، وهم يصيحون " الجوع ، الجوع نحن أحق بأكل سماط مولانا" (٣٢) ويعد هذا أول تمرد للعبيد علي سلطة الخلافة. وكما قام العبيد بمهاجمة أسواق القاهرة والفسطاط. ولا يخفى علينا حالة الرعب التي عاشها الشعب من جراء هذه الأحداث.

(جـ) علي عدد السكان:

تأثر عدد سكان مصر بهذه المجاعات، حيث انتشرت الأمراض والأوبئة، وكثر الموت في الناس، حتى قدر من مات منهم بنحو ١٧٠ ألف شخص (٣٣)، وأما الغريب، ومن لم يعرف ، ومن ألقي به في النيل، ومن لم يجد من يقبره؛ فأكثر من هذا العدد أضعاف لا تحصي. ومما هو جدير بالذكر أن الناس كانوا يموتون ولا يجدون ثمن أكفانهم، حتى أن الخليفة الظاهر كفن أمواتاً علي نفقته الخاصة.

(د) علي الأسعار:

ارتفعت الأسعار ارتفاعاً ملحوظاً أثناء الثورة ، حيث بيع تليس القمح بثلاثة دنانير، والخبز رطلين ونصف بدرهم، والرمانة الواحدة بثلاثة دراهم، والبطيخة بثلاثين درهمًا، وأوقية الشراب بدرهم[٣٤]. وارتفعت الأسعار، وقلت المأكولات لدرجة أن جزاراً أخرج عظمة لكلب فرآه رجل متعفف، فطرد الكلب، وأخذ العظم منه ، ولم يزل يمتصه نياً إلي أن نال منه غرضه [٣٥]، ثم رماه من يده وذهب. وهذا يدلنا علي شدة المجاعة، وقلة المأكولات ، وغلاء الأسعار خلال تلك الفترة.

المبحث الثالث

(الثورات الطائفية)

كان المجتمع المصري في عهد الفاطميين يتكون من عدة عناصر منـــها: أهـــل السنة ، وقد تحول بعضهم إلي المذهب الشيعي. والمغاربة الذين قامت الدولة الفاطمية علي أكتافهم.وأهل الذمة الذين تمتعوا بالحرية والمساواة. والأتراك الذين زاد عددهم منذ عهد العزيز بالله. والسودانيون الذين زاد عددهم في خلافة الحاكم بأمر الله.

ونظراً لتعدد طوائف الشعب المصري، فقد وقع كثير من التنافس بين طبقاتـــه المختلفة، وظهر ذلك واضحاً في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١– ٤٢٧هـــ/ ١٠٢٠– ١٠٣٥م) فكثيراً ما كانت تنشب المنازعات، وتظهر أعمـــال الـــسلب والنهب ، ويكثر القتلى بسبب المصادمات التي كانت تقع بين هذه الطوائف المختلفة ، ويتضح ذلك فيما يلي:

(أ) الأتراك

ظهر أمرهم في خلافة العزيز بالله (٣٦٦– ٣٨٥هـــ/ ٩٧٦– ٩٩٥م) ، وزاد نفوذهم حتى أصبحوا أحد العناصر الهامة في الجيش الفاطمي [٣٦]، وبدأ خطرهم في خلافة الحاكم بأمر الله (٣٨٦– ٤١١هـــ / ٩٩٦– ١٠٢٠م)، وزاد هذا الخطر وظهرت مساوئه في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله، فقد وقع كثير من المصادمات بين الأتراك والمغاربة. ففي عام (٤١٥هـــ/ ١٠٢٤م) وأثناء المجاعة، وصل إلي القـــاهرة أحد الغلمان الأتراك مشقوق البطن علي يد أحد المغاربة، فثار الأتراك للأخذ بثـــأره فوقعت الاشتباكات بين الطرفين واستمرت عدة أيام. ومما هو جـــدير بالـــذكر إن المصريين قد اشتركوا في هذه الأحداث، فقد حاولوا فض هذه المنازعات ،ولكنـــهم

فشلوا في ذلك. وزاد خطر هذه الاشتباكات حتى أن الخليفة الظاهر خــرج بنفــسه للقضاء عليها.

ولكم تكن هذه آخر المنازعات بل بدايتها. ففي عام (٤٢٠هـــ/ ١٠٢٩م) تجددت المصادمات بين الأتراك والمغاربة بسبب مقتل أحد الغلمان الأتراك علي يــد المغاربة. فثار الأتراك [٣٧] وحملوا علي المغاربة حتى كادوا أن يقضوا علــيهم، لــولا وقوف المصريين للدفاع عنهم. فتحول النصر لصالح المغاربة، وقتل كثير من الأتراك، وفر الباقون خارج القاهرة. ولم تنته المصادمات بذلك بل تجمع الأتراك مــرة ثانيــة، وحاولوا القضاء علي المغاربة، فعم السلب والنــهب الــبلاد، وقتــل كــثير مــن الطائفتين.ولم تنته هذه المصادمات إلا بخروج الخليفة الظاهر إليهم، الــذي أمــرهم بالانصراف، وهددهم بالوعيد، فانصرف الجميع علي مضض، والفتنة ما زالت قائمة. ثم بعث الظاهر دعاة الشيعة لعقد الصلح بين الطائفتين، ونص هذا الصلح علي؛ عدم اعتداء إحدى الطائفتين علي الأخرى، وبذلك انتهت ثورة الأتراك.

(ب) العبيد (السودانيون):

كان العبيد أحد طوائف الجيش الفاطمي الذين استعان بهم الحاكم بأمر الله في حريق الفسطاط [٣٨] وقد ظهر خطر هــذه الطائفــة في خلافــة الظــاهر(٤١١-٤٢٧هـــ/ ١٠٢٠- ١٠٣٥م) لكثرتهم فقد بلغ عددهم خمسين ألفاً. ومن ثم فقــد كثير استبدادهم، واعتداءهم علي الطوائف الأخرى ،مما كان له أسوأ الأثر علي حالة مصر الداخلية خلال تلك الفترة.

بدأ شغب العبيد في عام (٤١٥هـــ/ ١٠٢٤م) حيث وقعت البلاد في خطــر المجاعة، فقام العبيد بنهب قافلة التجار المغاربة، وأخذوا جميع أموالهم (مائتي دينار) ولم تنج منهم القافلة إلا بإرسال الخلافة الفاطمية سرية تتكون مــن ثلاثمائــة فــارس،

وأربعمائة رجل لإنقاذ القافلة [٣٩]، التي وصلت إلي الجيزة، ثم أخذت طريقها إلي المغرب.

تجددت غارات العبيد علي القوافل، ففي شهر شوال من نفس العام (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) قام العبيد بقطع الطريق علي قافلة الحجاج المغاربة، وأخذوا أموالهم، وقتلوا كثيراً منهم، وعندما رأت الخلافة الفاطمية كثرة غارات العبيد علي القوافل، أمرت بتشديد الحراسة عليها. وقد حدث أن أغار العبيد علي قافلة من حجاج المغاربة ،وكادت تسقط في أيديهم لولا وصول سرية من الجيش الفاطمي، استطاعت صد غارة العبيد، وقتل الكثير منهم، حتى عادوا إلي حارهم في القاهرة، وقد علا صراخهم [٤٠] وبكاءهم علي ما فقدوا من رجالهم.

لم تقتصر غارات العبيد علي القوافل، بل تعدها إلى نهب المدن. ففي عام (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) أمر الخليفة الظاهر العبيد بالذهاب إلي مدينة تنيس للدفاع عنها ضد رجال حسان بن الجراح، ولكن العبيد قاموا بنهب المدينة، وعاثوا فيها فساداً، واستولوا علي أموال الرعية، وأخذوا من مال الخلافة ألفاً وخمسمائة ديناراً، وضيقوا علي والي المدينة الشريف بن حمزة فهرب إلي دمياط. وعندما وصلت هذه الأنباء إلي الوزير نجيب الدولة الجرجرائي غضب غضباً شديداً، وقال: " كيف يفعل هذا بخزانة السلطان ؟ [٤١]" ثم بعث القائد " عنبر " في سرية تتكون من خمسين فارساً للقضاء علي الثورة. وبالفعل نجح القائد " عنبر " في القضاء علي ثورة العبيد، وإعادة ما أخذوه من أموال، وقبض علي الجناة، وأنزل بهم العقاب الشديد، وعاد الهدوء إلي المدينة.

لم تكن مدينة تنيس هي المدينة الوحيدة التي تعرضت لنهب العبيد، حيث غاروا علي مدينة الأشمونين، واستولوا علي كل ما وجدوا في المدينة من متاع وأموال، ويبدو أن المدينة كانت غنية لدرجة أن نصيب الرجل الواحد من العبيد

وصل إلي تسعمائة رأس من البقر، وثلاثة آلاف رأس من الضأن. وقدم سكان المدينة شكواهم إلي المحتسب (دواس بن يعقوب) الذي رفعها بدوره، إلي معضاد الخادم- أحد الثلاثة الذين فرضوا العزلة علي الخليفة الظاهر - الذي لم يتخذ إجراءاً ضد العبيد، بل شجعهم بقوله: " متقبل من عبيد مولانا " [٤٢] وكانت هذه الإجابة كافية لإفساد أحوال البلاد، وتشجيع العبيد علي زيادة النهب والسلب، فقاموا بالإغارة علي الفيوم ولم يتركوا البلدة حتى أشرفت علي الخراب.

وهكذا زاد فساد العبيد، وزادت سطوتهم، حتى تجرؤا علي هيبة الخلافة الفاطمية. ففي عيد النحر، وحين مد السماط [٤٣] أمام الخليفة الظاهر، وبحضور كبار رجال الدولة، كبس العبيد علي السماط ،وهم يصيحون:" الجوع " الجوع " نحن أحق بسماط مولانا " [٤٤] ولم يبالوا بضرب الجنود الصقالبة لهم، وخرجوا من القصر سالمين.

ازدادت جراءة العبيد، واشتد ساعدهم، فلم يعودوا يخشون شيئاً، ولا الخليفة نفسه، ولا يبالون بشيء. لذلك قرروا نهب (القاهرة) مقر الخلافة الفاطمية، فاجتمع ألف رجل من العبيد ونزلوا إلي شوارع المدينة، للسلب والنهب، فأمر الخليفة الظاهر رجال الشرطة بتشديد الحراسة للدفاع عن القاهرة، ونادي في الرعية: " من تعرض لكم من العبيد فاقتلوه [٤٥]"

وكان هذا النداء بمثابة إذن صريح للمصريين للدفاع عن أنفسهم؛ وأعراضهم، وأموالهم. وخوفاً من حدوث فتنة داخلية في البلاد، خرج معضاد الخادم ، ونسيم الصقلبي إلي جبل المقطم - مكان تجمع العبيد - وطلبوا منهم العودة إلي حاراتهم، فرفض العبيد، وقالوا: " ما نزلنا ننهب، ولا نتعرض لشيء إلا لما نأكله من الجوع؛ لأن الجوع قد اشتد بنا وأكلنا الكلاب" [٤٦]، فدفع إليهم معضاد خاتمة ، ووعدهم بالنفقة عليهم، فرجع العبيد إلي حاراتهم.

لكن يبدو أن النفقة لم تصل إلي العبيد في المعاد المحدد، فتجمعوا في اليوم الثاني، ونزلوا ساحل المقس، ونهبوا مخازن الشعير والقمح، واستولوا علي سـائر الحبـوب وأشعلوا النار في دار الكتبة، واقتحموا المنازل[٤٧] وسرقوا الحوانيت. ثم توجهـوا إلي القاهرة، كان الشعب في انتظارهم، فقام الرجال بحمل السلاح، وأغلقوا الـدروب، وحفروا الخنادق أمام الحارات، وكانت النساء تلقي عليهم الحجارة والطـوب مـن أعلى المنازل، ثم حمل المصريون عليهم، فهزموهم شر هزيمة، وألقت الشرطة القـبض عليهم [٤٨]، وقتل تسعة أفراد من مثيري الشغب والفتنة ،وأعدم ستة آخرين علـي أبواب القاهرة.

لم ينته شغب العبيد بذلك، بل تجمعوا في اليوم الثاني، ونهبوا الرعية واقتحمـوا المنازل، ولم يستطع المصريون صد خطرهم، فتقدموا بشكواهم إلي الخليفة مطـالبين بالقصاص من العبيد. فأمر الخليفة القائد " حظي الصقلبي "بالنزول إلي سوق القاهرة ، للقضاء علي ثورة العبيد. ونجح " حظي " في القبض علي أثنى عشر رجـلاً مـن العبيد، وأمر بقتلهم ، ورمي جثتهم إلي الكلاب [٤٩]. ثم استدعى رؤساء العبيـد إلي القصر الفاطمي، ووعدهم بالنفقة عليهم بشرط عدم اعتـدائهم علـي المـصريين. وبحلول عام (٤١٦هـ / ١٠٢٨م) كانت البلاد قد فاقت من خطر المجاعة ، وتوفر الطعام في الأسواق ، وزاد الظاهر في نفقة العبيد، وانتهت بذلك ثـورتهم ، وعـاد الهدوء للبلاد.

*أثر الثورة علي الحياة:

كان لثورة العبيد أثر كبير علي السياسة الداخلية في مصر ، يتضح ذلك فيما يلي:

أ. علي الولاة: قامت الخلافة الفاطمية بعزل وآلي الأشمونين، الذي لم يستطع الدفاع عن المدينة ضد غارات العبيد، وعينت بدلاً منه " علـي بـن أبي

النهار " الذي استطاع أن يعيد الهدوء والاستقرار إلي البلاد. ومن جهة أخري فقد هرب والي تنيس " الشريف بن حمزة " إلي دمياط ، بعد فشله في القضاء علي ثورة العبيد. مما اضطر الوزير الجرجرائي إلي إرسال الشرطة للقضاء علي عبث العبيد بالمدينة ، وإعادة الوالي " الشريف بن حمزة ".

ب. علي الحالة الأمنية في البلاد: أدت ثورة العبيد إلي انتشار أعمال السلب والنهب والسرقة في الأراضي المصرية.من جهة ثانية: استغل الأعراب هذه الثورة فقاموا بالإغارة علي قري مصر، وهاجم ثلاثين رجلاً من بني قرة مدينة الجيزة ونهبوها، وقتلوا قاضي المدينة ، واستولوا علي مائة وخمسين رأساً من الدواب والخيل. ولضعف الخلافة لم يخرج في طلب الجناة أحد " ولا جري فيه نكير من الحضرة المطهرة (الخلافة) [٥٠]علي حد تعبير المسبحي.

ج. (جـ) علي الأسعار: تأثرت البلاد بثورة العبيد، وبما قاموا به من أعمال السلب والنهب ، فارتفعت الأسعار بشكل ملحوظ ، فبيع تليس القمح بأربعة دنانير وثلث ، والدقيق بستة دنانير، والخبز رطل وربع بدرهم [٥١]. وبعد قليل تعذر وجود الخبز حتى بيع الرطل الواحد بدرهم، ثم قل فلم يوجد منه شيء.

د. علي الحج: تعطلت قوافل الحج إلي مكة [٥٢] بسبب غارات العبيد المتكررة عليهم فكثيراً ما كانت تنهب هذه القوافل ، ويقتل كثير من الحجاج ، مما اضطر الخلافة الفاطمية إلي تشديد الحراسة علي هذه القوافل للدفاع عنها وحمايتها من غارات العبيد المتكررة عليها.

المبحث الرابع

(الثورات الدينية)

قامت في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١- ٤٢٧ هـــــ- / ١٠٢٠- ١٠٣٥م) كثيراً من الثورات منها: السياسية ، والاقتصادية ، والطائفية ،والدينيـــة. ولا نتجاوز الحقيقة إن قلنا: إنه كان للدين أثر كبير في النفوس حينئذ، حيث كانـــت تثور ثائرة الشعب إذا مس عقيدهم شيء ولو بسيط. لذلك فقد قامت الثـــورات في الداخل (مصر) وفي الخارج – (في نطاق أراضي الخلافة الفاطمية).

(أ) ثورة أهل مكة:

كان ولا زال للحجاز مكانة عظيمة في نفوس المسلمين ، وذلك لأنهـــا مقـــر الحرمين الشريفين. وقد ظهر – في العصور الوسطي- نظريـــة مؤداهـــا أن الخليفـــة الحقيقي للمسلمين هو المدافع عن الحرمين الشريفين(٥٣)، لـــذلك حـــرص الخلفـــاء العباسيون والفاطميون علي بسط نفوذهم علي هذه المنطقة، وتوفير الأمن والأمـــان اللازمين لأهلها.

من الثورات الدينية التي هزت العالم الإسلامي، وآذت مشاعر المسلمين جميعاً، ما وقع في عام (٤١٣هـــ/ ١٠٢٢م) (٥٤) في أثناء موسم الحج، وقد فرغ الناس من رمي الجمرات بمنى، قام رجل من غلاة الشيعة الباطنية، مصري الجنسية، يوصف بأنه طويل الجسم، أحمر اللون، أشقر الشعر، غليظ. قام هذا الأحمق بضرب الحجر الأسود ثلاث ضربات متواليات بدبوس (٥٥) وقال: " إلي متي يعبد هذا الحجر !! ولا محمـــد ولا علي يقدران علي منعي عما أفعله إني أريد أن أهدم البيت وأرفعه"(٥٦) فاتقـــاه الحجاج وتراجعوا عنه، و كان علي باب المسجد عشرة فرسان من أنصاره. وثارت حفيظة المسلمين لهذا الفعل المشين، فقام رجل من أهل اليمن فطعنه بخنجر كان معه،

فاجتمع أنصار الباطني عليه وقتلوه ، وأحرقوا جثته بالنار. وثار أهل مكة ضد الركب المصري، وقتلوا منهم عشرين رجلا ،وجرحوا أضعاف هذا العدد، وكثر النهب والسلب في ركب الحجاج المغاربة.

ومما هو جدير بالذكر؛ إن الثورة- وأعمال السلب والنهب- قد استمرت عدة أيام ولم تنته إلا بخروج أبي الفتوح الحسن بن جعفر أمير مكة، إلى الحرم،فأمر بقتل أربعة من الشيعة من أنصار هذا الزنديق ، كما أمر بعدم الاعتداء علي الركب المصري،ثم خرجوا من مكة، وأخذوا طريقهم إلي مصر، وعاد بالهدوء إلي الحرمين. وبذلك انتهت ثورة أهل مكة.

(ب) علماء المالكية في مصر:

علي الرغم من وصف الكثير من المؤرخين [٥٧] الخليفة الظاهر بالعفو والسماحة وتخفيفه للإجراءات الظالمة التي اتخذها أبوه (الحاكم بأمر الله) ضد أهل السنة.إلا أننا نستطيع القول: إن خلافته قد شهدت اضطهاداً لأهل السنة،خاصة علماء الملكية منهم. ففي عام (٤١٦هـ/ ١٠٢٥م) أمر الخليفة الظاهر بنفي فقهاء المالكية خارج مصر[٥٨]، وشدد علي نشر المذهب الشيعي في البلاد، وأمر بحفظ كتاب القاضي النعمان بن حيون " دعائم الإسلام " وكتاب الوزير يعقوب بن كلس في الفقه الشيعي " الرسالة الوزيرية [٥٩]" وأعطي لمن يحفظها كثيراً من المال. ونشط دعاة الشيعة لتحفيظ الناس مبادىء مذهبهم، فكانوا يعقدون المجالس، لدراسة وحفظ هذه الكتب [٦٠]. وتأثر المذهب السني في مصر، لذلك فقد تحرك أهل السنة، وقدموا احتجاجاً للخليفة الظاهر معبرين عن غضبهم من هذه الإجراءات، وأمام هذا الغضب الذي كاد أن ينذر بثورة عارمة، أمر الظاهر بإعطاء الحرية الكاملة لأهل السنة في أداء شعائرهم ، وأصدر عفواً عن علماء المالكية. فغدت مصر قِبلة العلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، حتى هاجر بعض علماء المالكية من بغداد – مقر الخلافة

العباسية – إلي القاهرة – مقر الخلافة الفاطمية – وكان من أشهر هـؤلاء العلماء القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر(٣٦٢– ٤٢٢هـ / ٩٧٢ – ١٠٣٠م).

(جـ) ثورة الشيعة:

إن كان عصر الظاهر لإعـزاز ديـن الله (٤١١– ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠– ١٠٣٥م) قد شهد اضطهاداً لأهل السنة، فإنه قد شهد كذلك اضطهاد لبعض علماء الشيعة. ففي عام (٤٢٣هـ / ١٠٣١م) أمر الخليفة الظاهر – بدون سبب واضح – قتل أحد الدعاة الشيعة، وعلي الرغم من أن المصادر التاريخية لم تذكر لنا معلومات وافية عنه إلا إنه يبدو أن هذا الشخص كانت له مكانة مرموقة عند الشيعة، حيث خرجت المظاهرات في شوارع العاصمة الفاطمية (القاهرة) ونضم بعض رجال الجيش مع الثوار وقاموا بمحاصرة القصر الفاطمي، وتحدث بعض دعاة الشيعة بخلع الظاهر من عرش الخلافة الفاطمية (٦١).

لولا أن الخليفة الظاهر تدارك الموقف فاعتذر إليهم ، وأنفق عشرين ألف دينار علي الشيعة، وأصدر عفواً عاماً عن كل من شارك في هذه الثورة.فسكنت الرعية، وانتهت ثورتهم ، وعاد الهدوء إلي العاصمة من جديد.

(د) أهل الذمة في عصر الظاهر:

تمتع أهل الذمة بالحرية الكاملة في خلافة الظاهر (٤١١– ٤٢٧هـ / ١٠٢٠– ١٠٣٥م) حيث لم يلحق بهم أذي ، بل كانوا يحتفلون بأعيادهم في أصعب الظروف التي تمر بها البلاد. ومن ذلك ما حدث في عام (٤١٥هـ / ١٠٢٤م) وفي أثناء المجاعة التي اجتاحت البلاد ، احتفل النصارى بعيد الفصح ، حيث اجتمع الناس بقنطرة المقس، وضربوا الخيام، وظلوا طوال النهار، وجزءاً من الليل في لهو، وهتك قبيح. فقد اختلط الرجال بالنساء وكانوا يعاقرون الخمر، حتى حملت النساء في قفاف (٦٢) الحمالين من شدة السكر (٦٣). كذلك احتفل النصارى بعيد الغطاس، فقاموا

بإيقاد المشاعل والشموع علي شاطئ النيل، وكانت معهم الملاهي والمعازف،و الخمر، وظلوا هكذا حتى الساعات الأولي من الصباح[٦٤].

لكن لا يعني ذلك ؛إن الاحتفال بهذه الأعياد كان علي إطلاقه، فكـثيراً مـا كانت تتدخل الخلافة لمنع اختلاط المسلمين بالنصارى، وتأمرهم برفع المنـاكير[٦٥]. كما كانت لا تسمح مطلقاً بترك حد من حدود الإسلام مع أهل الذمة، ففي عـام (٤١٥هـ / ١٠٢٤م) قبض علي رجل يقال له " أبو زكريا " كان نصرانياً فأسلم ، وكتب الحديث الشريف، وقرأ القرآن الكريم، ثم ارتد إلي النصرانية. وقـال: " مـا عمل فيّ سحر نبيكم [٦٦]"، فأمر الخليفة الظاهر بضرب عنقه ،ولم يعترض النـصارى علي ذلك؛ لأنهم كانوا يعلمون خطأ هذا المرتد.

غير هذا الحادث الفريد، لم يشهد عصر الظاهر أي اضطهاد لأهل الذمة، ممـا جعل كثير من الباحثين [٦٧] يثنون عليه خيراً. ونحن نؤكد أن الخليفة الظاهر قد أعطي الحرية الدينية لأهل الذمة في مصر، وعاش الشعب المصري: أهل السنة والـشيعة ، وأهل الذمة. في نسيج واحد ، ينعم فيه الجميع بالحرية الدينية، ويـؤدي شـعائره في حرية تامة.

*أثر الثورات الدينية علي الحياة في مصر:

كان للثورات الدينية أثر كبير علي الحياة خلال عصر الظاهر، يتضح ذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: تأثر الحجر الأسود بضربات هذا الزنديق حيث سقط منه ثلاث قطـع، فقام بنو شيبة [٦٨] بجمع ما تفرق منه وعجنوه بالمسك، وحشو تلك المواضع وطلوها فاستمسك الحجر[٦٩].

ثانياً : توقف طريق الحج المصري ، حيث تحولت قوافل الحجـاج إلي طريـق العراق والشام، فتأثر اقتصاد مصر بهذا التحول، مما اضطر الخليفة الظاهر إلي بـذل

الأموال الباهظة، والخلع النفيسة ، وتكلف الكثير في سبيل عودة الحجاج عبر الطريق المصري [٧٠].

ثالثاً: خوفاً من انتشار هذا الحادث في العالم الإسلامي، فيستغله العباسيون في إلصاق تهمة الكفر والزندقة بالفاطميين، فقد أصدر الخليفة الظاهر، كتاباً يبرأ نفسه من هذا الحادث، ويلقي باللوم علي هذا الخبيث الذي قام به.

وقد جاء في الكتاب: " وإنا لنبرأ إلي الله تعالي من هؤلاء الجهلة الكفرة الضلال، ونسأل الله أن يحسن معونتنا علي إعزاز دينه وتوطيد قواعده وتمكينه ، والعمل بما أمرنا به جدنا المصطفي، وأبونا (علي) المرتضي.. وقد علمتم يا معشر أوليائنا ودعاتنا ما حكمنا به من قطع دابر هؤلاء الكفرة الفساق والفجرة المراق، وتفريقنا لهم في البلاد كل مفرق.. ولعمري إن هذه المصيبة في الإسلام فادحة ، و نكبة فادحة، فإن لله وإنا إليه راجعون [٧١]" وبهذه الرسالة برأ الظاهر نفسه والشيعة مما اتهموا به من الكفر والزندقة.

رابعاً: تخفيف الاضطهاد الديني ضد أهل السنة خاصة علماء المالكية، ومنحهم الحرية الدينية في تأدية شعائرهم، حتى غدت مصر قِبلة العلماء من كل حدب وصوب.لدرجة أن بعضهم غادر بغداد مهاجراً إلي القاهرة ، لينعم فيها بالتسامح الديني.

خامساً: أظهرت ثورة الشيعة أمرين هامين أولهما: ارتفاع مكانة دعاة الشيعة في خلافة الظاهر، واستجابة الناس لهم، وتأثر العباد بهم، حتى إن الشعب والجند هموا جميعاً بخلع الخليفة الظاهر من عرش الخلافة الفاطمية. ومن جهة أخري:أظهرت مدي ضعف وتدهور هيبة الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله. وأغلب الظن؛ إن هذه أول مرة– في تاريخ الدولة الفاطمية– يحاول الشيعة خلع خليفتهم. فمن المعروف أن

المذهب الشيعي ينص علي الوراثة(٧٢) في تولى الخلافة ،ولا يجوز خلع الخليفة حــتى وفاته.

هوامش الفصل الرابع:

١- ابن أيبك: الدرة المضيئة، جـ ٦، ص ٢١٤، ابن تعز بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ١٨٩ .

٢- المقريزي: المقفى الكبير، جـ ٣، ص ٥٦٣ .

٣- أبو حنيفة النعمان بن حيون: دعائم الإسلام، جـ ١، ص ٥٦ – ٥٧ .

٤- اختلفت الروايات التاريخية في نسبة فيذكر ابن ظافر الأزدي في أخبار الدول المنقطعة، ص ١٣٤، والنويري في نهاية الأرب، جـ ٢٨، ص ٢٠٣، إنه:أبو القاسم إلياس بن أحمد بن المهدي. بينما يذكر ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص ٦٩، وابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، ص ١٠٣، والمقريزي: اتعاظ الحنفاء جـ ٢، ص ١١٦، إنه عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن العزيز بالله. وقد ذكر الأخير أن عبد الرحيم قتل في تنيس ولم يحضر إلي القاهرة .

٥- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٠١.

٦- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ١٩٤.

٧- النويري: نهاية الأرب، جـ ٢٨، ص ٢٠٣ .

٨- المسبحي: أخبار مصر، جـ ٤٠، ص ٢١٣ .

٩- هو: أبو منصور بن عبد الله، الملقب عضد الدولة، شرف المعالي، ولد في بلاد ما وراء النهر، وسبي وبيع وحمل إلي بخارى، ومنها إلي بغداد، ووصل إلي دمشق عام (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) واشتراه القائد تزبر بـن أونـيم الديلمي، فنسب إليه، ودخل في خدمة الحاكم (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) وصار يرتقـي حـتى تـولي بعلبـك (٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) ثم ولي دمشق.و هرب إلي حلب، وظل بها إلي أن مات في (٤٣٣هـ/ ١٠٤٢م). وقد اختلف المؤرخون في كتابة هذا الاسم؛ هكذا: يحي بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٤٥(البربـري)، وابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٧١- ٧٢ (التزبري)، وابن الأثير: الكامل، جـ ٨، ص ٦٩ – ٧٠ (البربري أو البريدي) أبو الفدا: المختصر، جـ ١، ص ١٤٨ (الدزيري)، وابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٩٣ (أقوش تكين الوزيري) . وانظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٢، ص ٤٨٧، المقريـزي: المقفى، جـ ٢، ص ٣٥٢- ٣٥٣، اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٣٢، الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ ٩، ص ٤٢٥ .

١٠- ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٣، ص ٤٠٨ .

١١- المسبحي: أخبار مصر، جـ ٤٠، ص ١٦٨، المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٥٤ .

١٢- كانت مدينة حلب تحت تصرف منصور بن لؤلؤ الذي اعترف بسلطان الخليفة الحاكم الفـاطمي، وأقـام الدعوة له في حلب (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، ولكن لم يتمتع منصور بهذا المنصب طويلاً، فتخلص منه أهـالي حلب بسبب ظلمه وعسفه، فقامت الحرب بينه وبين بني كلاب، وبعد هزيمته فر إلي أنطاكية، فعهد الحـاكم

إلي عزيز الملك فاتك – أمير بني حمدان – بولاية المدينة، وظل بها حتى ولي الظاهر الخلافة الفاطميـة، فـأراد عزيز الملك أن يستقل بحلب، ولكنه قتل علي يد غلامه بدر- بتدبير من السيدة ست الملك – الذي أعلـن السيادة الفاطمية علي المدينة، وزال سلطان الحمدانيين. ثم أعلن صالح بن مرداس سيطرته علي المدينة. ابـن الأثير: الكامل، جـ ٨، ص ٦٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ١٩٥ .

١٣- المقريزي، اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٥٥.

١٤- د / سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام، ص ٤٨ .

١٥- من الجدير بالذكر أن النفوذ الفاطمي لم يكن مستقراً في حلب بسبب تطلع المرداسيين إلي استرداد المدينـة، وقد تجلت مطامعهم حين قام نصر بن صالح بن مرداس بالاستيلاء علي المدينة، واتخذ لقب " شبل الدولـة "، وظل نصر يحكم المدينة حتى ولي الخليفة المستنصر بالله الفاطمي فأرسل إليه أنوشتكين الدزبري، الذي نجح في قتل نصر عند بلدة حماة عام (٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م). ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٧٤ .

١٦- هذا اللقب أطلقه الظاهر علي الدزبري بعد انتصاره في الشام، ابن القلانسي: نفس المصدر، نفس الصفحة.

١٧- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ٢٥٣.

١٨- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص١٥٤ – ١٦١.

١٩- المسبحي: أخبار مصر. جـ ٤٠، ص ٢٢٣.

٢٠- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٥٦.

٢١- المقريزي: الخطط، جـ ١، ص ٢٩٩.

٢٢- يحي بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٧٠ – ٢٧١، د / سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٤٤.

٢٣- المسبحي: أخبار مصر، جـ ٤٠، ص ٣٢.

٢٤- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٣٥ .

٢٥- المسبحي: المصدر السابق،نفس الجزء، ص ٦١.

٢٦- المقريزي: الخطط، جـ ٢، ص ١٦٨.

٢٧- ابن أيبك: الدرة المضية، جـ ٦، ص ٣١٩.

٢٨- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ٢٦٢ .

٢٩- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٦٢أ .

٣٠- المسبحي: المصدر السابق، جـ ٤٠، ص ١٩٣ .

٣١- ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٢١٣.

٣٢- المقريزي: الخطط، جـ ٢، ص ١٦٨.

٣٣- المسبحي:المصدر السابق، جـ ٤٠، ص ١٩١.

٣٤- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٤٢- ١٦٢.

٣٥- المسبحي:المصدر السابق،نفس الجزء، ص ١٩٢.

٣٦- د/ ماجد: نظم الفاطميين، جـ ١، ص ١٩٦ .

٣٧- المقريزي: الخطط، جـ ٤، ص ١٦٩.
٣٨- ابن الجوزي: المنتظم، جـ ٧، ص ٢٩٧، ابن الأثير: الكامل، جـ ٨، ص ١٢٨.
٣٩- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٤٣.
٤٠- المسبحي: أخبار مصر، جـ ٤٠، ص ١٩٤ .
٤١- المقريزي: الخطط، جـ ٢، ص ٢٩٣.
٤٢- المسبحي: المصدر السابق، جـ ٤٠، ص ٢٠٤.
٤٣- عن وصف هذا السماط انظر المقريزي: الخطط، جـ ٤، ص ٢٢٠ وما بعدها، وابن تغري بردي: النجـوم الزاهرة، جـ ٤، ص ٩٧ وما بعدها.
٤٤- المسبحي: المصدر السابق، ص ٢٠٣ .
٤٥- المقريزي: الخطط، جـ ٢، ص ١٦٨
٤٦- المقريزي: اتعاظ الحنفاء، جـ ٢، ص ١٦٦٩ – ١٧٠.
٤٧- لينبول: سيرة القاهرة، ص ١٣٦.
٤٨- المقريزي: الخطط، جـ ٢، ص ١٦٩ .
٤٩- المسبحي: أخبار مصر، جـ ٤٠، ص ٢١٠ .
٥٠- المسبحي: نفس المصدر، ص ٢٠٧ .
٥١- المسبحي : نفس المصدر، ص ٢٠٩ .
٥٢- ابن الأثير: الكامل، جـ ٨، ص ١٤٦، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٢، ص ٢٨٥ .
٥٣- د/ محمد علي عتاقي: العلاقات الخارجية للفاطميين – رسالة دكتوراه – غير منشورة، ص ٧٥.
٥٤- يذكر المقريزي هذا الحادث في عام (٤١٨ هـ/ ١٠٢٧م)، اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٣١.
٥٥- الدبوس: عمود علي شكل هراوة مد ملكة الرأس، المعجم الوجيز، ص ٢٢٠.
٥٦- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ٢٥، ابن إياس: بدائع الزهور،جـ١، ق ١، ص ٢١٢.
٥٧- ابن القلانسي: ذيل دمشق، ص ٨٣، ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيـد، ص ١٠٣، السـيوطي: حسـن المحاضرة جـ ١، ص ٥٢٢.
٥٨- الخطط، جـ ٢، ص ١٦٩ .
٥٩- د/ كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، ص ٦٤، د / مصطفي غالب: تـاريخ الـدعوة =الإسماعيليـة، ص١٩٨.
٦٠- المقريزي: أتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٧٥ .
٦١- المقريزي: الخطط، جـ ٢، ص ١٦٩ .
٦٢- قفاف: جمع قفة، وهي وعاء من الخوص ونحوه . ابن منظور: لسان العرب، جـ ١، ص ٣٧٠.
٦٣- المسبحي: أخبار مصر، ص ٤٠ .
٦٤- المقريزي: الخطط، جـ ٢، ص ٣٦١.

٦٥- ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٢١٢- ٢١٣.

٦٦- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٣٦ .

٦٧- د / سيدة كاشف: أهل الذمة، ص ١٥٢، د/ فاطمة عامر: أهل الذمة في مصر، جـ ١، ص ١٦٩.

٦٨- دحلان: خلاصة الكلام، ص ١٨.

٦٩- اليافعي: مرآة الجنان، جـ ٣، ص ٢٨.

٧٠- ابن كثير: البداية النهاية، جـ ١٢، ص ٢٨٥ .

٧١- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

٧٢- أبو حنيفة النعمان بن حيوان: دعائم الإسلام، جـ١، ص ٥٦- ٥٧، د / ماجد: نظم الفاطميين جـ١، ص ٥٦- ٥٧ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم النعم، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين وبعد:

فهذه خاتمة حاولت أن أبلور فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

١- أثبت البحث أن المجتمعات الإنسانية عرفت ظاهرة المعارضة، وإن الإسلام يدعو إلي أن من الواجب أن توجد بشكل مشروع جماعة منظمة داخل النظام السياسي تقوم بالمعارضة والنقد وتدعو إلي الخير وتنهي عن الشر، مصداقاً لقوله تعالي " ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون "[(١)].

٢- أثبت البحث بالرجوع إلي معاجم اللغة العربية- أن لفظ الثورة لفظ عربي أصيل، وقد ورد استخدامه في القرآن الكريم في أكثر من موضع بعدة معاني، كما ورد في الحديث الشريف ومنه قول المصطفي – صلي الله عليه وسلم: " من أراد العلم فليثور القرآن "[(٢)].

٣- أبرز البحث خبث النظرة التقليدية للمستشرقين الغربيين الذين حاولوا وصف الحضارة الغربية بأنها حضارة الحرية، وتصوير الحضارة الإسلامية بأنها حضارة الاستبداد، ويرجع ذلك إلي أن معظم الدراسات الغربية تحمل الإسلام والفكر الإسلامي النصيب الأوفى من مسئولية هذا الركود والاستبداد المنسوب لمجتمعات الشرق الإسلامي، وفي الحقيقة إن هذا القول مجانب للصواب ويصطدم بالحقيقة التاريخية التي قررت بأن الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، قد عرف المعارضة للسلطان أو الحاكم، ومن الأدلة علي ذلك ثورات

الخوارج والشيعة المستمرة علي مر التاريخ.

٤- أكدت الدراسة علي تعدد أساليب المعارضة في الفكــر الإســلامي، فهنــاك المعارضة الإيجابية، وهي التي تسعى لإحداث التغيير بــالقوة ســواء باليــد أو اللسان، وهناك المعارضة السلبية: وهي التي تضمر الرفض والمعارضـــة ولكـــن دون القيام بأي سلوك إيجابي يعبر عن هذه المعارضة سواء باليد أو اللسان، وهو ما يسمي حديثاً في مصطلح السياسة " المقاومة البيضاء ".

٥- أثبت البحث– بالأدلة التاريخية التي لا تدع مجالاً للشك – إن الإنسان المصري ثوري بطبعه، وإنه يثور عندما يتطلب الأمر منه ذلك . وإن كل ما يقال عـــن خضوعه واستكانته مرفوضاً تماماً، وافتراء كاذب من وضع ودسيسة الاستعمار قديماً وحديثاً وذلك بقصد تدمير النفسية المصرية وتحطيم معنوياقما.

٦- خلُصت الدراسة إلي إن أهل الذمة في مصر الإسلامية لم يكونوا عنصراً مهمـــلاً من عناصر المجتمع المصري، ولا طائفة مضطهدة من جانب الولاة، بـــل علـــى العكس فقد تمتعوا بكامل حريتهم الدينية والاجتماعية، فمارســـوا طقوســـهم الدينية في هدوء وسلام، كما احتفلوا بأعيادهم الدينية وقاموا بما اعتادوا عليه في أثناء هذه الاحتفالات التي شاركهم فيها كثير من المـــسلمين، وإن معظـــم ثورات أهل الذمة كانت بسبب زيادة الخراج وليس بسبب الاضطهاد الديني.

٧- أثبت البحث أن ثورات المصريين كان لها دور في ضعف وانهيار اقتصاد الدولة الإخشيدية مما جعلها فرصة للأطماع الفاطمية، التي حاولت أكثر من مرة فتح مصر، حتى نجحت في ذلك علي يد القائد جوهر الصقلي (٣٥٨هـــ،٩٦٩م) .

٨- عالج البحث بالتفصيل مراحل بناء القاهرة علي يد القائد جوهر الصقلي، وإن ثورات المصريين ضد الفاطميين كانت إحدى أسباب بناء هذه المدينة الجديدة. كما أوضح البحث إن الغرض من بناء الجامع الأزهر هو نشر المذهب الشيعي في مصر.

٩- أثبت البحث أن المصريين لم يستسلموا للفتح الفاطمي، وظهرت المقاومة الإخشيدية، وقام أهل تنيس بثورة ضد القائد جوهر الصقلي، الذي حضر إلي المدينة وصالح أهلها علي الطاعة، كما قام " عبد العزيز بن إبراهيم الكلابي" بالثورة في الصعيد، وكاد أن ينجح لولا وصول الإمدادات إلي القائد الفاطمي "بشارة النوبي" الذي نجح في قتل الثائر وقضى علي الثورة.

١٠- خلصت الدراسة إلي أن القائد جوهر الصقلي قد نجح في أن يستغل سوء الحالة الاقتصادية التي مرت بها مصر بعد الفتح الفاطمي فأصدر عملة شيعية كتب عليها اسم الخليفة المعز الفاطمي، مما أدي إلي إشعال ثورة الصيارفة في الفسطاط، ونجح القائد جوهر في القضاء عليها.

١١- أظهر البحث أن الثورات التي قامت في عهد الخليفة العزيز بالله كانت داخلية- سياسية و قولية – ونجح الجيش الفاطمي في القضاء عليها.

١٢- كشف البحث عن مراحل بناء الأسطول في مصر، منذ الفتح الإسلامي لها وحتي عصر الدولة الفاطمية. وكان لهذا الأسطول دور هام في الدفاع عن سواحل مصر الشمالية، وقد ثارت ثائرة المصريين عندما قام تجار الروم بحريق هذا الأسطول وقتلوا منهم نحو مائة وستين رجلاً فضلاً عن تخريب بيوتهم.

١٣- أثبت البحث أن الحكم الفاطمي في بلاد الشام لم يكن مستقراً نظراً للأخطار

التي هددت نفوذ الفاطميين فيها، وإنما كان نفوذهم فيها مرتبطاً بقوتهم العسكرية فإذا ما ضعفت قواتهم فيها قام الأمراء المحليون بالعمل علي توطيد استقلالهم الذاتي والانفصال عن التبعية للفاطميين.

١٤- أظهر البحث أن الفاطميين تطلعوا إلي بسط نفوذهم علي بلاد الحجاز ليكسبوا خلافتهم قوة أمام العالم الإسلامي حيث إن أمير المؤمنين الحقيقي — في نظر المسلمين — هو الذي يستطيع بسط نفوذه علي الحرمين الشريفين.

١٥- أظهر البحث إن ولاة مكة والمدينة رغم أقامتهم الدعوة لبني العباس في فترات مختلفة فإنهم لم ينحازوا لهم في مناهضة الفاطميين، بل حرصوا علي إظهار ولائهم للفاطميين رغم محاولات العباسيين المستمرة لاستمالتهم، وتشجيعهم علي الثورة.

١٦- أثبت البحث أن انخفاض النيل لم يكن سبباً حقيقيًا في معظم المجاعات التي وقعت في الدولة الفاطمية. وخاصة في عصر الظاهر— فترة البحث — وإن هناك عوامل أخري هي التي دفعت بالبلاد إلي حافة المجاعة، و أهم هذه العوامل: الاحتكار التجاري، والإعراض عن طرح السلع الغذائية في الأسواق حتى ترتفع أسعارها، وكان لضعف شخصية الظاهر لإعزاز الله دور كبير في ذلك.

١٧- أثبت البحث إن ثورات المصريين كان لها دور في اضطراب السياسة الخارجية للدولة الفاطمية حيث خرجت أملاكها في الشام، والحجاز، وبرقة . من حوزتها أثناء الثورة، ولكنها كانت سرعان، ما كانت تستعيد هيبتها علي هذه المناطق بعد القضاء علي الثورة.

١٨- أكدت الدراسة أن ثورات المصريين والمجاعات، كانت السبب في تحول مصر إلي التعامل النقدي علي أساس معدني الذهب والفضة. إذ أدي ارتفاع الأسعار إلي انهيار قيمة العملة الذهبية السائدة في التعامل " الدنانير " مما دفع التجار إلي اكتنازها. وكان انخفاض سعر صرف الدراهم بالنسبة للدينار تعبيراً عن اختفاء الذهب من التعامل، مما اضطر الحاكم بأمر الله إلي تقرير سعر صرف الدرهم فتحولت مصر إلي قاعدة المعدنين، ومعني ذلك إن عصر الفضة بدأ في عهد الدولة الفاطمية.

١٩- خلصت الدراسة إلي أن استخدام أهل الذمة في عصر الولاة كان مقصوراً علي القبط، بينما نجد الخلفاء الفاطميين يستخدمون اليهود أيضا في مختلف الوظائف. ومن هؤلاء الخلفاء الحاكم بأمر الله؛ الذي وصفه كثير من المؤرخين بالقسوة الشديدة إزاء أهل الذمة، فكان كثير من وزرائه وكُتّابه وعمال الخراج من الذميين.

٢٠- أثبت البحث أن الحاكم بأمر الله لم يدع الألوهية، حيث لم يرد عنه أنه صرح بذلك، وأن الثورة قامت ضد الأخرم الفارسي الذي قُتل، وإن المصريين ـ أهل السنة والشيعة- قد قاموا هذه الدعوة، ولم يكن لها أي أثر إلا عند بعض الأفاقين من أهل الذمة، أو بعض الجهلاء الذين تظاهروا بقبولها اجتناءاً لنفع أو اتقاءاً لنقمة.

٢١- أثبت البحث أن ما جاء في محاضر العباسيين من طعن وتشهير قصد به ـ بدرجة كبيرة ـ شخص الحاكم بأمر الله ثارت حوله بعض الشبهات، ولكن يؤخذ علي العباسيين الجرأة في الحكم علي الفاطميين وذلك باتهامهم، بالكفر

والزندقة، وهي قمم تحتاج إلي أدلة قوية وصحيحة لتحكم عليهم هذا الحكم.

أظهر البحث أن الفاطميين لم يسرفوا في سفك الدماء أثنـــاء القـــضاء علـــي الثورات، ولم يحدث تجاوزا إلا في عهد الحاكم بأمر الله وذلك لأسباب سياسية وأمنية بحته رآها الحاكم وسيلة لتثبت دعائم حكمه، وما عدا ذلك كان حوادث فرديـــة لا يخلو منها أي مجتمع.

هوامش الخاتمة:

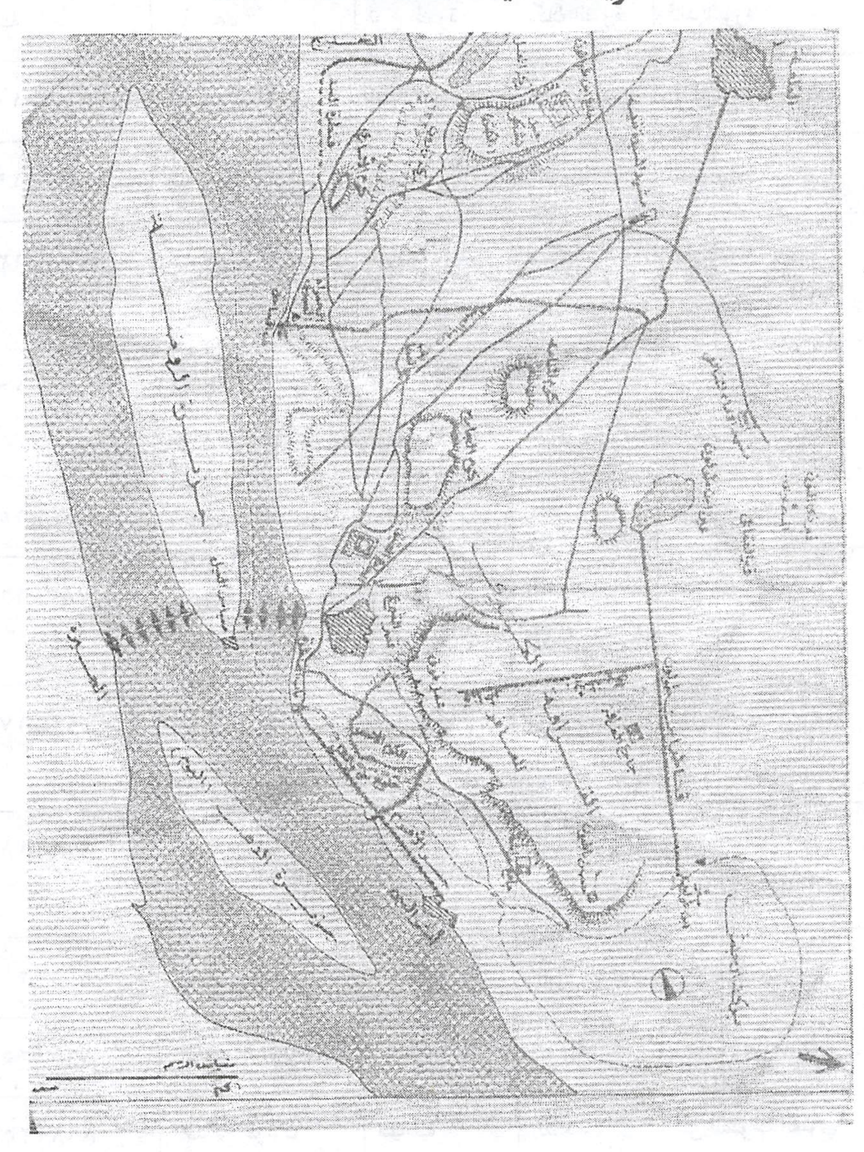
١- سورة آل عمران – آية ١٠٤ .

٢- سبق تخريجه

الملاحق

ملحق رقم (١)

خريطة لمدينة الفسطاط سنة ٤١٥هـ



ملحق رقم (٢)

قائمة بالثورات في مصر منذ عصر الولاة وحتي نهاية عصر الظاهر الفاطمي

السنة	والي مصر	نوع الثورة	مكان الثورة	قائد الثورة
١٠٧هـ- ٧٢٥م	الحر بن يوسف	اقتصادية	الوجه البحري	المصريون
١٢١-٧٣٩م	حنظلة بن صفوان	اقتصادية	الصعيد	المصريون
١٣٢-٧٥٠م	عبد الملك بن مروان بن موسي	سياسية	سمنود	أهل الذمة
١٣٢-٧٥٠ م	عبد الملك بن مروان بن موسي	اقتصادية	رشيد	مينا بن بقرة
١٥٠- ٧٦٧	يزيد بن حاتم	اقتصادية	سخا	أهل المدينة
١٦٧-٧٨٣	موسي بن مصعب	اقتصادية	الحوف الشرقي	أهل الحوف
١٧٨-٧٩٤	إسحاق بن سليمان	اقتصادية	الحوف الشرقي	أهل الحوف
١٨٦-٨٠٢	الليث بن الفضل	اقتصادية	الحوف الشرقي	أهل الحوف
٢١٦-٨٣١	عيسي بن منصور	اقتصادية	الوجه البحري	المصريون
٢٥٥-٨٦٩	احمد بن طولون	سياسية	الصعيد	احمد بن طباطبا العلوي
٢٥٥-٨٦٩	احمد بن طولون	سياسية	الصعيد	ابن الصوف العلوي

٢٦٠-٨٧٤	احمد بن طولون	سياسية	الصعيد	أبو الروح سكن
٣٢٦ ــ ٩٣٨	محمد بن طغج الإخشيدي	دينية	الفسطاط	أهل السنة
٣٣٠ ــ ٩٤٢	محمد بن طغج الإخشيدي	دينية	الفسطاط	ابن السراج
٣٣٥ ــ ٩٤٧	كافور الإخشيدي	سياسية	الصعيد	غلبون
٣٥٢ ــ ٩٦٣	كافور الإخشيدي	سياسة	الفسطاط	محمد بن أحمد السلمي
٣٥٥ ــ ٩٦٦	كافور الإخشيدي	سياسية	الصحراء الشرقية	بني سليم
٣٥٨هـ - ٩٦٩م	المعز لدين الله	سياسة داخلية	القاهرة	تحرير بن الشوبزاني
٣٥٨-٩٦٩	المعز لدين الله	سياسة داخلية	القاهرة	تبر الإخشيدي
٣٥٨- ٩٦٩	المعز لدين الله	اقتصادية	الفسطاط	الصيارفة
٣٦٠- ٩٧٠	المعز لدين الله	سياسية داخلية	تنيس	الصيارفة
٣٦١-٩٧١	المعز لدين الله	طائفية	القاهرة	المصريين والمغاربة
٣٦١- ٩٧١	المعز لدين الله	سياسة داخلية	الصعيد	عبد العزيز إبراهيم الكلابي
٣٦١- ٩٧١	المعز لدين الله	سياسة داخلية	تنيس	أهل المدينة
٣٦١-٩٧١	المعز لدين الله	قولية	القاهرة	المصريون

٣٦١-٩٧٣	المعز لدين الله	طائفية	القاهرة	المصرين والمغاربة
٣٦١-٩٧٣	المعز لدين الله	دينية	القاهرة	أهل السنة
٣٦١-٩٧٣	المعز لدين الله	دينية	القاهرة	أهل السنة
٣٦١-٩٧٥	المعز لدين الله	قولية	القاهرة	أحد المصريين لم يسم
٣٦١-٩٧٣	العزيز بالله	سياسة خارجية	دمشق	أفتكين التركي
٣٦١-٩٧٨	العزيز بالله	سياسة خارجية	دمشق	قسام الحارثي
٣٦١-٩٧٨	العزيز بالله	سياسة داخلية	دمشق	قسام الحارثي
٣٦١-٩٧٨	العزيز بالله	سياسة داخلية	أسوان	حمزة بن ثعلة الكتامي
٣٧١- ٩٦٣	العزيز بالله	قولية	القاهرة	المصريون
٣٧١-٩٨٧تقريباً	العزيز بالله	قولية	القاهرة	المصريون
٣٧١-٩٨٧	العزيز بالله	سياسة خارجية	مكة	أبو حازم
٣٨١-٩٩٠	العزيز بالله	سياسة خارجية	مكة	أمير حاج العراق
٣٨١-٩٩٤	العزيز بالله	سياسة خارجية	مكة	بالقاسم بن علي الرسي
٣٨١-٩٩٥	العزيز بالله	سياسة داخلية	اسوان	محمد بن الحسن بن احمد
٣٨١-٩٩٦	العزيز بالله	طائفية	الفسطاط	المصريون
٣٨٨ـــ٩٩٨	الحاكم بأمر الله	سياسة خارجية	صور	علاقة الملاح
٣٨٨ ـــ ٩٩٨	الحاكم بأمر الله	سياسة خارجية	الرملة	المفرج بن دغفل

٣٩٠ ـ ١٠٠٠	الحاكم بأمر الله	طائفية	القاهرة	المصريون
٣٩٢ ـ ١٠٠١	الحاكم بأمر الله	سياسة داخلية	القاهرة	عبد الأعلي بن هاشم
٣٩٥ ـ ١٠٠٤	الحاكم بأمر الله	سياسة خارجية	برقة	الوليد بن هشام أبو ركوة
٣٩٥ ـ ١٠٠٤	الحاكم بأمر الله	اقتصادية	القاهرة	المصريون
٣٩٥ ـ ١٠٠٤	الحاكم بأمر الله	دينية	القاهرة	أهل السنة
٣٩٧ ـ ١٠٠٦	الحاكم بأمر الله	اقتصادية	الفسطاط	الصيارفة
٣٩٨ ـ ١٠٠٧	الحاكم بأمر الله	اقتصادية	القاهرة	المصريون
٤٠٠ ـ ١٠٠٩	الحاكم بأمر الله	سياسة خارجية	مكة	الحسن بن جعفر الحسني
٤٠٢ ـ ١٠١١	الحاكم بأمر الله	قولية	القاهرة	المصريون
٤٠٣ ـ ١٠١٢	الحاكم بأمر الله	دينية	القاهرة	أهل الذمة
٤٠٩ ـ ١٠١٨	الحاكم بأمر الله	قولية	القاهرة	المصريون
٤٠٩ ـ ١٠١٨	الحاكم بأمر الله	دينية	القاهرة	أهل السنة
٤١١ ـ ١٠٢٠	الظاهر لإعزاز دين الله	سياسة داخلية	القاهرة	المصريون
٤١١ ـ ١٠٢٠	الظاهر لإعزاز دين الله	سياسة خارجية	دمشق	عبد الرحيم بن إلياس
٤١٣ ـ ١٠٢٢	الظاهر لإعزاز دين الله	دينية	مكة	أهل السنة
٤١٤ ـ ١٠٢٣	الظاهر لإعزاز دين الله	سياسية خارجية	برقة	أهل المدينة
٤١٤ ـ ١٠٢٣	الظاهر لإعزاز دين الله	اقتصادية	القاهرة	المصريون

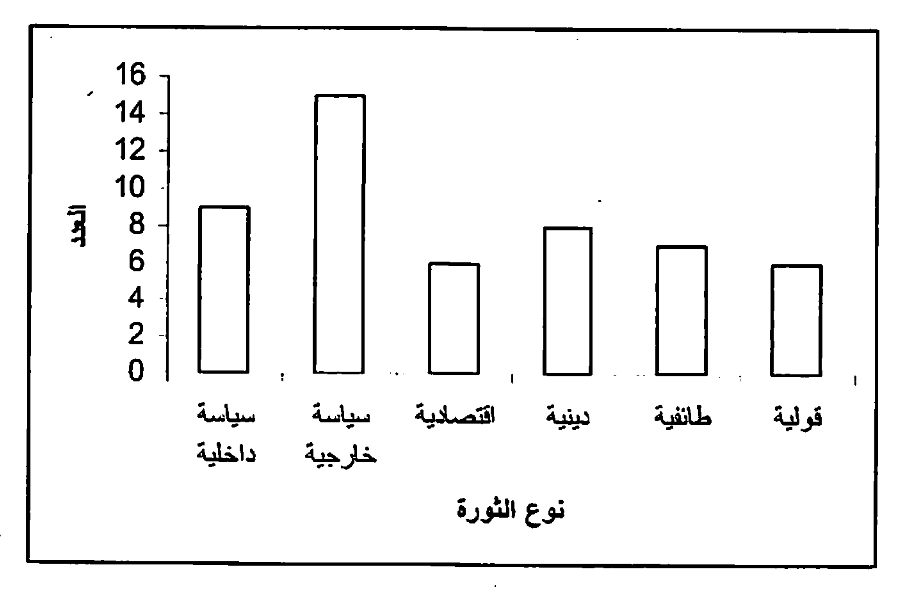
٤١٥ ـ ١٠٢٤	الظاهر لإعزاز دين الله	سياسة خارجية	الصعيد	ثائر من بني الحسين
٤١٥ ـ ١٠٢٤	الظاهر لإعزاز دين الله	سياسة خارجية	فلسطين	حسان بن الجراح
٤١٥ ـ ١٠٢٤	الظاهر لإعزاز دين الله	سياسة خارجية	حلب	صالح بن مرداس
٤١٥ ـ ١٠٢٤	الظاهر لإعزاز دين الله	سياسة خارجية	دمشق	سنان بن عليان
٤١٥ ـ ١٠٢٤	الظاهر لإعزاز دين الله	اقتصادية	القاهرة	المصريون
٤١٥ ـ ١٠٢٤	الظاهر لإعزاز دين الله	طائفية	تنيس والأشمونين	العبيد السودانيون
٤١٦ ـ ١٠٢٥	الظاهر لإعزاز دين الله	دينية	القاهرة	علماء المالكية
٤٢٠ ـ ١٠٢٩	الظاهر لإعزاز دين الله	طائفية	الفسطاط	الأتراك والمغاربة
٤٢٣ ـ ١٠٣١	الظاهر لإعزاز دين الله	دينية	القاهرة	الشيعة

ملحق رقم (٣)

جدول ورسم بياني لعدد الثورات وأنواعها في العصر الفاطمي

نوع الثورة	العدد	النسبة المئوية
سياسة داخلية	٩	١٧,٦
سياسة خارجية	١٥	٢٩,٤
اقتصادية	٦	١١,٧
دينية	٨	١٥,٦
طائفية	٧	١٣,٧
قولية	٦	١١,٧
المجموع	٥١	١٠٠%تقريباً

جدول كمي يبين عدد الثورات ونوعها في عهد الخلفاء الفاطميين



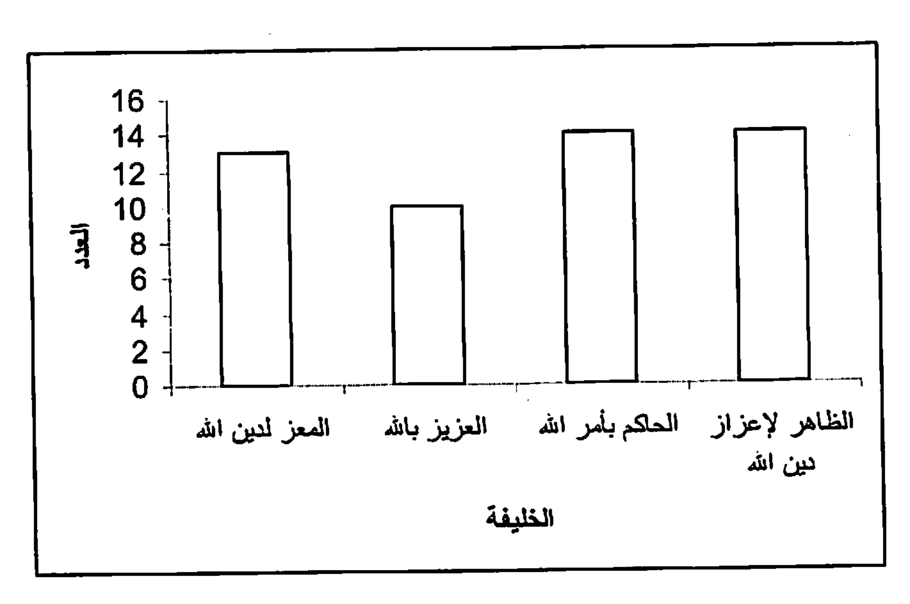
رسم بياني يوضح أنواع الثورات في عهد الخلفاء الفاطميين

ملحق رقم(٤)

جدول ورسم بياني لعدد الثورات وأنوعها في عهد الخلفاء الفاطميين

الخليفة	عدد الثورات	النسبة المئوية
المعز لدين الله	١٣	٢٥,٤
العزيز بالله	١٠	١٩,٦
الحاكم بأمر الله	١٤	٢٧,٤
الظاهر لإعزاز دين الله	١٤	٢٧,٤
المجموع	٥١	١٠٠% تقريباً

جدول كمي يبين عدد الثورات في عهد الخلفاء الفاطميين



رسم بياني لعدد الثورات في عهد الخلفاء الفاطميين

ملحق رقم (٥)

رسالة الظاهر لإعزاز دين الله يستنكر فيها ما قام به أحد غلاة الشيعة من كسر الحجر الأسود عام ٤١٤هـ/ ١٠٢٤[1]

((وذهبت طائفة من النصيرية[2] إلي الغلو في أبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، غلت وادعت فيه ما ادعت النصارى في المسيح . ونجمت من هؤلاء الكفرة فرقة سخيفة العقول ضالة بجهلها عن سواء السبيل. فغلوا فينا غلوا كبيراً، وقالوا في آبائنا وأجدانا منكراً من القول وزوراً، ونسبوا بغلوهم الأشنع، وجهلهم المستفظع، إلي ما لا يليق بنا ذكره، وإنا لنبرأ إلي الله تعالي من هؤلاء الجهلة الكفرة الضلال. ونسأل الله أن يحسن معونتنا علي إعزاز دينه وتوطيد قواعده وتمكينه، والعمل بما أمرنا به جدنا المصطفي، وأبونا علي المرتضي، وأسلافنا البررة أعلام الهدي، وقد علمتم يا معشر أوليائنا ودعاتنا ما حكمنا به من قطع دابر هؤلاء الكفرة الفساق، والفجرة المراق، وتفريقنا لهم في البلاد كل مفرق، فظعنوا في الآفاق هاربين، وشردوا مطرودين خائفين وكان من جملة من دعاه الخوف منهم إلي الإنتزاح رجل من أهل البصرة أهوج أثول[3]ضال مضل، سار مع الحجيج إلي مكة– حرسها الله– فرقًا من وقع الحسام. وتستراً بالحج إلي بيت الله الحرام، فلما حصل في البيت المفضل المعظم والمحل المقدس المكرم. وحمله لمم في عقله علي قصد الحجر الأسود حتى قصده وضربه بدبوس ضربات متواليات، أطارت منه شظايا وصلت بعد ذلك، ثم إن هذا الكافر عوجل بالقتل علي أسوء حاله وأضل أعماله، وألحق بأمثاله من الكفرة الواردين موارد ضلاله، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الأخر عذاب عظيم ، ولعمري إن هذه لمصيبة في الإسلام قادحة ، ونكاية فادحة، فإن لله وإنا إليه راجعون، لقد ارتقى هذا الملعون مرتقًا عظيماً ومقامًا جسيمًا، اذكر به ما كان أقدم عليه غلام ثقيف المعروف بالحجاج– لعنة الله — من إحراق البيت وهدمه، وإزالة بنيانه وردمه)).

١ – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ٤ ،ص ٢٤٩ — ٢٥٠.

٢ – النصيرية: فرقة من غلاة الشيعة، يقولون بأن ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل، ويرون أن علي بن أبي طالب أفضل البشر بعد النبي – صلي الله عليه وسلم– الشهر ستاني: الملل والنحل، جـ١ ،

ص١٦٨– ١٦٩، د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، جـ٤ ، ص ٢٦٥ – ٢٦٧، السيد عبـــد الحســين العسكري : العلويون أو النصيرية ، شركة الشعاع للنشر، السالمية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٣٢.

٣– ثال الرجل : حمق أو بدأ فيه الجفون ولم يستحكم . المعجم الوجيز، ص ٨٦.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

١- ابن الأثير: (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ت ٦٣٠هـ/ ١٣٣٢م): الكامل في التاريخ، ١٢ جزء، مراجعة د/ محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي، (١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م).

٢- ابن الأخوة: (محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م): معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق د/ محمد محمد شعبان، وصديق عيسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م.

٣- الأفودي (أبي الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق / سعد محمد محمد حسن، مراجعة د/ طه الحاجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

٤- الإصطخري: (ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي ت ٣٤٥هـ/ ٦٥٢م): المسالك والممالك، تحقيق د/ محمد جابر عبد العال، مراجعة د/ محمد شفيق غربال، دار الكتب المصرية، مركز تحقيق التراث، ١٩٦٩م.

٥- ابن أبي اصيبعة: (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)· عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق د/ نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

٦- الأزدي: (جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر ت ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م): أخبار الدول المنقطعة، تحقيق د/ علي محمد عمر، مكتبـــة الثقافـــة الدينيـــة، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٧- الإنطاكي (يحي بن سعيد ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م): تاريخ الإنطاكي، أو صـــلة كتاب أو تيخا، أو تاريخ الذيل المسمي التاريخ المجموع علي التحقيـــق والتصديق، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، مطبعة جروس بـــرس، لبنان، ١٩٩٠م.

٨- ابن إياس: (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠هـــ/ ١٥٢٣م): بـــدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الأول من القسم الأول، تحقيق محمـــد مصطفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، الطبعـــة الثانية، القاهرة، ١٤٠٢هـــ / ١٩٨٢م.

٩- ابن أيبك الدواداري: (أبي بكر بن عبد الله ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م): كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٦، المسمي (الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية)، تحقيق د/ صلاح الدين المنجد، يصدرها قسم الدراســـات الإســـلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنـــشر، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

١٠- ابن أيبك الصفدي:(صلاح الدين خليل ت ٧٦٤هـــ / ١٣٦٣م): الـــوافي بالوافيات، ٢٤ جزء، تحقيق شكري فيصل وآخرون، دار النشر فرانز شتايز، القاهرة، ١٤١١هـــ / ١٩٩١م.

١١- ابن بسام: (محمد بن أحمد التنيسي ت ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٥م): أنيس الجلـــيس في أخبار تنيس، تحقيق د/ جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينيـــة، الطبعة الأولي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٢- ابن تغري بردي: (جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الأجزاء ١-٤ وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٣- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، جزءان، تحقيق د/ نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٤- ابن الجوزي: (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج ٧، ج ٨، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولي، ١٣٥٨هـ.

١٥- ابن حماد: (أبي عبد الله محمد بن علي ت ٦٢٨هـ / ١٢٣١م): أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، تحقيق د/ عبد الحليم عويس، ود/ التهامي نقرة، دار الصحوة، القاهرة، (بدون تاريخ).

١٦- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨هـ/ ١٠٤٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، (بدون تاريخ).

١٧- ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ أجزاء، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

١٨- دحلان: (السيد أحمد بن زيني دحلان ت ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦م): خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلي وقتنا هذا بالتمام، المطبعة الخيرية، مصر، الطبعة الأولي، ١٣٠٥هـ.

١٩- ابن أبي دينار: (أبي عبد الله بن أبي القاسم القيرواني ت ١١١٠هـ / ١٦٩٨م): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٣م.

٢٠- الذهبي: (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د/ عبد السلام تدمري، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٢١- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٢- ابن زولاق: (الحسن بن زولاق ت ٣٨٧هـ/ ١٩٩٧م): فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق د / علي محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢٣- ساويرس: (ساويرس بن المقفع المتوفى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / أواخر العاشر الميلادي): تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير الآباء البطاركة)، أربع مجلدات، قام علي نشره الأساتذة عيسى عبد المسيح، عزيز سوريال عطية، وأرسولدبر مستر، مطبوعات جمعية الآثار القبطية، القاهرة، ١٩٤٨م.

٢٤- السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

٢٥- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٢٦- الشهرستاني: (أبي الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م): الملل والنحل، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢٧- أبو صالح الأرمني: (أبو المكارم جرجس مسعود ت ٦٠٥هـ/ ١٢٠٩م): تاريخ كنائس وأديرة مصر، أكسفورد، ١٨٩٥م.

٢٨- الطبري: (أبو جعفر بن محمد بن جرير ت ٣١٠هـ /٦٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م.

٢٩- ابن ظهير: (أبو السعادات جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين ت ٨٦١هـ / ١٤٥٧م): الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفي السقا، وكامل المهندس، دار الكتب المصرية، مركز تحقيق التراث، ١٩٦٩م.

٣٠- ابن العبري: (غريغوريوس أبو الفرج هارون الملطي ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م): تاريخ مختصر الدول، تحقيق الأب أنطون صالحاني العيسوي، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

٣١- عريب بن سعيد القرطبي ت ٣٦٦هـ / ٩٧٧م): صلة تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

٣٢- العماد الحنبلي: (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م.

٣٣- أبو الفدا: (عماد الدين إسماعيل ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١م): المختصر في أخبار النشر، دار المعرفة، بيروت، (بدون تاريخ).

٣٤- ابن القلانسي: (حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م): ذيل تاريخ دمشق، وبه نخب من تواريخ ابن الفارقي، وسبط ابن الجوزي، والذهبي، تحقيق آمدروز، مكتبة المتنبي بالقاهرة، (بدون تاريخ).

٣٥- ابن كثير: (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، ج ١١، ج ١٢، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، دار الغد العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٣٦- المسبحي: (الأمير المختار عز الملك أبو عبدالله محمد بن عبيد الله ت٤٢٠هـ/٩٥٧م): (٣٦) أخبار مصر في سنتين ٤١٤ - ٤١٥هـ، تحقيق وليم .ج مليورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة، ١٩٨٠م.

٣٧- المقريزي: (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ /١١٤١م): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ٣ أجزاء، الجزء الأول تحقيق د/جمال الدين الشيال، الجزء الثاني و الثالث تحقيق د/محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

٣٨- إغاثة الأمة بكشف الغمة أو تاريخ الجماعات في مصر، تحقيق د/جمال الدين الشيال، د/محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩٩ م، وتحقيق جديد للدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٠م.

٣٩- رسائل المقريزى، تحقيق أحمد مصطفى قاسم، و رمضان البدري، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٧ م.

٤٠- المقفى الكبير، ٧ أجزاء، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م.

٤١- المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ٤ أجزاء، مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٩٦م.

٤٢- ابن منجب الصيرفي: (أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م: إشارة إلي مَنْ نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٤٣- ابن ميسر: (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م): المنتقى من أخبار مصر، تحقيق د/ أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، (بدون تاريخ).

٤٤- النعمان المغربي (أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد التميمي ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م): دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام من أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، جزءان، تحقيق آصف بن علي آصغر فيضي،دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٤٥- النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، الأجزاء ٢٢- ٢٨، تحقيق د/ محمد محمد أمين، ود/ محمد حلمي محمد أحمد،وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢.

٤٦- ابن هانئ الأندلسي: (محمد بن هاني بن محمد ت ٣٦٢هـ / ٩٧٢م): ديوان ابن هانئ، تحقيق زاهد علي، بيروت، ١٣٢٦هـ.

٤٧- ابن الوردي: (زين الدين عمر بن مظفر ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م): تاريخ ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، جزءان، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٤٨- اليافعي: (أبو محمد عبد الله بن أسعد علي بن سليمان اليمني ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

ثانياً: المراجع العربية الحديثة:

٤٩- إبراهيم شعوط (دكتور): أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥٠- أحمد السيد الصاوي (دكتور): مجاعات مصر الفاطمية، أسباب ـ ونتائج، دار التضامن، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

٥١- أحمد سيد محمد (دكتور): الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

٥٢- أحمد مختار العبادي (دكتور): في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، (بدون تاريخ).

٥٣- أمنية أحمد إمام الشوربجي(دكتورة): رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، الهيئة العامة للكتاب، تاريخ المصريين العدد (٧٢)، القاهرة، ١٩٩٤م.

٥٤- جمال حمدان (دكتور): شخصية مصر – دراسة في عبقرية المكان– ٣ أجزاء، دار الهلال، القاهرة، (بدون تاريخ).

٥٥- حسن إبراهيم حسن (دكتور): الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، القاهرة، ١٩٣٢م.

٥٦- ....: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٥٧- ....: المعز لدين الله الفاطمي مؤسس الدولة الفاطمية في مصر، بالاشتراك مع الدكتور طه شرف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.

٥٨- حسين نصار (دكتور): الثورات الشعبية في مصر الإسلامية،دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٩م.

٥٩- سعاد ماهر (دكتورة): البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

٦٠- سيدة إسماعيل كاشف (دكتورة): مصر الإسلامية وأهل الذمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصريين العدد (٥٧)، القاهرة، ١٩٩٣م.

٦١- مصر في عصر الإخشيديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصريين، العدد (٢٩)، القاهرة، ١٩٨٩م.

٦٢- صابر محمد دياب (دكتور): سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٩٧٣م.

٦٣- عبد الحليم عويس (دكتور): قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٨٥م.

٦٤- عبد المنعم ماجد (دكتور): الحاكم بأمر الله الخليفة المفتري عليه، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

٦٥- ....: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، التاريخ السياسي، مكتبة الحرية الحديثة، الإسكندرية، ١٩٨٥م.

٦٦- ....:نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، جزءان، الأنجلوا المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م.

٦٧- فاطمة مصطفي عامر (دكتورة):تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلي نهاية العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصريين العدد (١٧٢) و (١٧٣)، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٦٨- قاسم عبده قاسم (دكتور): أهل الذمة في مصر العصور الوسطي ـــ دراسة وثائقيةـــ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٩٧٧م.

٦٩- كمال الدين سامح (دكتور): العمارة الإسلامية في مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

٧٠- محمد جمال الدين سرور (دكتور):مصر في عصر الدولة الفاطمية، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.

٧١- ....: دولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٩م.

٧٢- ....: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م.

٧٣- ....: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٠م.

٧٤- ....: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٧م.

٧٥- محمد حمدي المناوي (دكتور): الوزارة والـوزراء في العـصر الفـاطمي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٩٧٠م.

٧٦- محمد ضياء الدين الريس (دكتور): الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٩٧م.

٧٧- ....: النظريات السياسية الإسلامية، دار التراث، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٧٩م.

٧٨- ....: محمد عبد الفتاح أبو الفضل: تأملات في ثورات مصر، علي ضوء قراءات تاريخية، ٣ أجزاء، الهيئة المصرية للعامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٩٩٤م.

٧٩- محمد عمارة (دكتور): الإسلام والثورة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨٠- ....: عندما أصبحت مصر عربيـة إسـلامية، دار الـشروق، القاهرة، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م.

٨١- محمد كامل حسين (دكتور): في أدب مصر الفاطميـة، دار الفكـر العـربي، القاهرة، ١٩٦٣م.

٨٢- مصطفي غالب (دكتور): تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس، بـيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.

٨٣- نيفين عبد الخالق مصطفي (دكتورة): المعارضة في الفكر السياسي الإسـلامي، مكتبة الملك فيصل الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية المترجمة:

٨٤- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.

٨٥- أ.س. ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ترجمة وتعليق د/ حسن حبـــشي، الهيئـــة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصريين العدد (٧٠)، الطبعة الثانيـــة، ١٩٩٤م.

٨٦- ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن، ود/ علي إبراهيم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

87- Lane-poole (Stanley): History of Egypt in the middle ages, 4 th Ed, Landan. 1925.

88-Monn: The Jews in Egypt and polestine under. The Fatimid caliph, volume I, Oxford, 1920.

89-O' Leary (Delacy): Ashort history of the Fatimid Kha'lifate, London, 1923.

90-Oxfordinter Mediate: Oxford university press 1981, first published, fiftheenth impression.

91- P.J.vatiklotis: Revolution in the middle East and other case studies, London, Georgo Allen, unwin, 1972.

خامساً: الرسائل العلمية:

٩٢- أحمد السيد شحاتة سرحان: الحوف الشرقي (إقليم الشرقية) من الفتح العربي حتى نهاية الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه بآداب الزقازيق رقم(٣٢٦٤) تاريخ، ١٩٩٥م.

٩٣- أمينة أحمد الشوربجي: مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الفاطمي الأول (٣٥٨هـ/ ٤٦٥م)، رسالة ماجستير، بآداب الزقازيق رقم(١٩٥٧) تاريخ، ١٩٨٧م.

٩٤- حسين دويدار: الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الفاطمي، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رقم(١٧٧٢) تاريخ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٩٥- سمير رزق: مصر في عهد العزيز بالله الفاطمي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رقم(١١٩٣) تاريخ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٩٦- سمير عبد الله حنفي: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي(٣٥٨-٥٦٧هـ)، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رقم(٢٤٥٨)تاريخ، ١٩٩٧م.

٩٧- محمد عبد العليم العدوي: الأزهر في العصر الفاطمي ومكانته العلمية، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رقم(١١٧١) تاريخ، ١٩٧٥م.

٩٨- محمد علي عتاقي: الحياة العلمية بمصر في عهد العبيديين (الفاطميين) الأول (٣٥٨- ٤٨٧هـ)، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رقم (١٠٧٣) تاريخ، ١٩٨٣م.

٩٩- محمد علي عتاقي: العلاقات الخارجية للفاطميين في مصر (٣٥٨ – ٤٨٧هـ)، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رقم(٢٢٩٧) تاريخ، ١٩٨٦م.

١٠٠- محمود عبد الفتاح شرف: مصر في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي(سياسياً)، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، رقم(١٧٩) تاريخ، ١٩٨٢م.

صدر من هذه السلسلة

١- د. عبد العظيم رمضان: مصطفى كامل في محكمة التاريخ، ط١، ١٩٨٧، ط٢، ١٩٩٤.

٢- رشوان محمود جاب الله: علي ماهر، ١٩٨٧.

٣- د. عبد السلام عبد الحليم عامر: ثورة يوليو والطبقة العاملة، ١٩٨٧.

٤- د. محمد نعمان جلال: التيارات الفكرية في مصر المعاصرة، ١٩٨٧.

٥- د. علية عبد السميع الجنزوري: غارات أوربا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى، ١٩٨٧.

٦- لمعي المطيعي: هؤلاء الرجال من مصر، ج١، ١٩٨٧.

٧- د. عبد المنعم ماجد: هؤلاء الرجال من مصر، ١٩٨٧.

٨- د. علي بركات: رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية، ١٩٨٧.

٩- د. محمد أنيس: صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل، ١٩٨٧.

١٠- محمود فوزي: توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية، ١٩٨٧.

١١- شكري القاضي: مائة شخصية مصرية وشخصية، ١٩٨٧.

١٢- د. نبيل راغب: هدى شعراوي وعصر أكتوبر، ١٩٨٨.

١٣- د.عبدالعظيم رمضان:أكذوبة الاستعمار المصري للسودان: رؤية تاريخية، ط١،١٩٨٨، ط٢،١٩٩٤.

١٤- د.سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، ١٩٨٨.

١٥- د. علي حسن الخربوطلي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، ١٩٨٨.

١٦- د. حلمي احمد شلبي: فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعي في مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ - ١٩٥٢)، ١٩٨٨.

١٧- د. محمد نور فرحات: القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني، ١٩٨٨.

١٨- د. علي السيد محمود: الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية، ١٩٨٨.

١٩- د. أحمد محمود صابون: مصر القديمة وقصة توحيد القطرين، ١٩٨٨.

٢٠- د. محمد أنيس: دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩: المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي، ١٩٨٨.

٢١- د. توفيق الطويل: التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ج١، ١٩٨٨.

٢٢- جمال بدوي: نظرات في تاريخ مصر، ١٩٨٨.

٢٣- د. توفيق الطويل: التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ج٢، ١٩٨٨.

٢٤- د. نجوى كامل: الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية ١٩١٩ - ١٩٣٦، ١٩٨٩.

٢٥- هاملتون جب، هارولد بوين: المجتمع الإسلامي والغرب، ج١، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩.

٢٦- د. سعيد إسماعيل علي: تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة، ١٩٨٩.

٢٧- ألفريد ج. بتلر: فتح العرب لمصر، ج١، ترجمة محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.

٢٨- ألفريد ج. بتلر: فتح العرب لمصر، ج٢، ترجمة محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.

٢٩- د. سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ١٩٨٩.

٣٠- د. حلمي أحمد شلبي: الموظفون في مصر في عهد محمد علي، ١٩٨٩.

٣١- شكري القاضي: خمسون شخصية مصرية وشخصية، ١٩٨٩.

٣٢- لمعي المطيعي: هؤلاء الرجال من مصر، ج٢، ١٩٨٧.

٣٣- د. خالد محمود الكومي: مصر وقضايا الجنوب الأفريقي: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية، ١٩٨٩.

٣٤- د. يونان لبيب رزق، محمد مزين: تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢، ١٩٩٠.

٣٥- عبد الحميد توفيق زكي: أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة، ١٩٩٠.

٣٦- هاملتون جب، هارولد بوين: المجتمع الإسلامي والغرب، ج٢، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٩٠.

٣٧- د.سليمان صالح: الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن، ١٩٩٠.

٣٨- د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، ١٩٩٠.

٣٩- د. جميل عبيد: قصة احتلال محمد علي لليونان ١٨٢٤ – ١٨٢٧، ١٩٩٠.

٤٠- د. عبد المنعم الجميعي: الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨، ١٩٩٠.

٤١- د. رفعت السعيد: محمد فريد الموقف والمأساة، رؤية عصرية، ١٩٩١.

٤٢- محمد شفيق غربال: تكوين مصر عبر العصور، ١٩٩٠.

٤٣- إبراهيم عبد العزيز: رحلة في عقول مصرية، ١٩٩٠.

٤٤- د. محمد عفيفي: الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني، ١٩٩١.

٤٥- وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج١، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، ١٩٩١.

٤٦- د. عبد الرءوف أحمد عمرو: تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩- ١٩٥٩، ١٩٩١.

٤٧- د. لطيفة محمد سالم: تاريخ القضاء المصري الحديث، ١٩٩١.

٤٨- د. زبيدة عطا: الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الإسلامي، ١٩٩١.
٤٩- د. عبد العظيم رمضان: العلاقات المصرية الإسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٧٩، ١٩٩٢.
٥٠- د. سهير إسكندر: الصحافة المصرية والقضايا والوطنية ١٩٤٦ - ١٩٥٤، ١٩٩٣.
٥١- تحرير: عبد العظيم رمضان: تاريخ المدارس في مصر الإسلامية (أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة في أبريل ١٩٩١) ، ١٩٩٢.
٥٢- د. إلهام ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، ١٩٩٢.
٥٣- د.محمد كمال الدين عز الدين: أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة، ١٩٩٢.
٥٤- د. محمد عفيفي: الأقباط في مصر في العصر العثماني، ١٩٩٢.
٥٥- وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، ١٩٩٢.
٥٦- د. حلمي أحمد شلبي: المجتمع الريفي في عصر محمد علي: دراسة عن إقليم المنوفية، ١٩٩٢.
٥٧- د. سيدة إسماعيل كاشف: مصر الإسلامية وأهل الذمة، ١٩٩٢.
٥٨- د. إبراهيم عبد الله المسلمي: أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة، ١٩٩٣.
٥٩- د. عبد السلام عبد الحليم عامر: الرأسمالية الصناعية في مصر من التمصير إلى التأميم ١٩٥٧ - ١٩٦١، ١٩٩٣.
٦٠- عبد الحميد توفيق زكي: المعاصرون من رواد الموسيقى العربية، ١٩٩٣.
٦١- د. عبد العظيم رمضان: تاريخ الإسكندرية في العصر الحديث، ١٩٩٣.
٦٢- لمعي المطيعي: هؤلاء الرجال من مصر، ج٣، ١٩٩٣.
٦٣- د. سيدة إسماعيل كاشف، د. جمال الدين سرور، د. سعيد عبد الفتاح عاشور: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية، أعدها للنشر د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣.
٦٤- د. محمد نعمان جلال: مصر وحقوق الإنسان بين الحقيقة والافتراء، دراسة وثائقية، ١٩٩٣.
٦٥- د. سهام نصار: موقف الصحافة المصرية من الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩١٧، ١٩٩٣.
٦٦- د. نريمان عبد الكريم أحمد: المرأة في مصر في العصر الفاطمي، ١٩٩٣.
٦٧- تحرير: عبد العظيم رمضان: مساعي السلام العربية الإسرائيلية، الأصول التاريخية (أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس في أبريل ١٩٩٣،
٦٨- وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، ١٩٩٣.
٦٩- د. محمد أبو الإسعاد: نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية ١٨٨٦ - ١٩٥١، ١٩٩٣.
٧٠- أ. س. ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، ١٩٩٤.

٧١- تريفور إيفانز: مذكرات اللورد كيلرن ١٩٣٤ – ١٩٤٦، ج١، ترجمة د. عبد الـــرءوف أحمـــد عمرو، ١٩٩٤.

٧٢- د. أمينة أحمد إمام: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية في العصر الفاطمي (٣٥٨ – ٥٦٧هـــ)، ١٩٩٤.

٧٣- د. رءوف عباس حامد: تاريخ جامعة القاهرة، ١٩٩٤.

٧٤- د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الطب والصيدلة المصرية، ج١: في العصر الفرعوني، ١٩٩٤.

٧٥- د. سلام شافعي محمود: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، ١٩٩٥.

٧٦- د. سعيد إسماعيل علي: دور التعليم المصري في النضال الوطني زمن الاحتلال البريطاني، ١٩٩٥.

٧٧- وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٤، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، ١٩٩٤.

٧٨- نعمات أحمد عثمان: تاريخ الصحافة السكندرية ١٨٧٣ – ١٨٩٩، ١٩٩٥.

٧٩- فريد دي يونج: تاريخ الطرق الصوفية في مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة عبد الحميد فهمـــي الجمال، ١٩٩٥.

٨٠- د.السيد حسين جلال:قناة السويس والتنافس الاستعماري الأوربي ١٨٨٢ – ١٩٠٤، ١٩٩٥.

٨١- د. رمزي ميخائيل: تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر، ١٩٩٥.

٨٢- د. سيدة إسماعيل كاشف: مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، ١٩٩٤.

٨٣- أحمد شفيق باشا: مذكراتي في نصف قرن، ج١، ١٩٩٤.

٨٤- أحمد شفيق باشا: مذكراتي في نصف قرن، ج٢، القسم الأول، ١٩٩٤.

٨٥- د. حلمي أحمد شلبي: تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية (١٩٣٤ – ١٩٥٢)، ١٩٩٥.

٨٦- د.أحمد الشربيني: تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية(١٨٤٠– ١٩١٤)، ١٩٩٥.

٨٧- تريفور إيفانز: مذكرات اللورد كيلرن ١٩٣٤ – ١٩٤٦، ج٢، ترجمة د. عبد الـــرءوف أحمـــد عمرو، ١٩٩٤.

٨٨- عبد الحميد توفيق زكي: التذوق الموسيقي وتاريخ الموسيقى المصرية، ١٩٩٠.

٨٩- د. عبد الحميد حامد سليمان: تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني، ١٩٩٥.

٩٠- د. نريمان عبد الكريم: معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، ١٩٩٦.

٩١- بيكر مانسفيلد: تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط، ترجمة عبد الحميد فهمي الجمال، ١٩٩٦.

٩٢- د. نجوى كامل: الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ – ١٩٣٦)، ١٩٩٦.

٩٣- د. نبيه بيومي عبد الله: قضايا عربية في البرلمان المصري (١٩٢٤ – ١٩٥٨)، ١٩٩٦.

٩٤- د. سهير إسكندر: الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ – ١٩٥٤)، ١٩٩٦.

٩٥- تحرير: د. عبد العظيم رمضان: مصر وأفريقيا، الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة).
٩٦- مالكولم كير: عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ – ١٩٧٠)، ترجمة د. عبد الرءوف أحمد عمرو.
٩٧- د. إيمان عامر: العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر.
٩٨- د. محمد سيد محمد: هيكل والسياسة الأسبوعية.
٩٩- د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليوناني – الروماني)، ج٢.
١٠٠- د.عبد العزيز صالح، د. جمال مختار، د. محمد إبراهيم بكر، د. إبراهيم نصحي، د. فاروق القاضي: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر القديمة) ، أعدها للنشر د. عبد العظيم رمضان.
١٠١- اللواء مصطفى عبد المجيد نصير، اللواء عبد المجيد كفافي، اللواء سعد عبد الحفيظ، السفير جمال منصور: ثورة يوليو والحقيقة الغائبة.
١٠٢- د. تيسير أبو عرجة: المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر (١٨٨٩ – ١٩٥٢).
١٠٣- د. علي بركات: رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره.
١٠٤- د. فاطمة علم الدين عبد الواحد: تاريخ العمال الزراعيين في مصر (١٩١٤ – ١٩٥٢).
١٠٥- د. أحمد فارس عبد المنعم: السلطة السياسية في مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ – ١٩٨٧).
١٠٦- د. سليمان صالح: الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن).
١٠٧- دليب هيرو: الأصولية الإسلامية، ترجمة عبد الحميد فهمي الجمال.
١٠٨- سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج٤.
١٠٩- سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج٥.
١١٠- البيومي إسماعيل الشربيني: مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج١.
١١١- البيومي إسماعيل الشربيني: مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج٢.
١١٢- د. محمد الجوادي: إسماعيل باشا صدقي.
١١٣- د. عز الدين إسماعيل: الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري.
١١٤- أحمد رشدي صالح: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي.
١١٥- أحمد شفيق باشا: مذكراتي في نصف قرن، ج٢.
١١٦- علاء الدين وحيد: أديب إسحاق عاشق الحرية.
١١٧- عبد الرازق إبراهيم عيسى: تاريخ القضاء في مصر العثمانية ١٥١٧ – ١٧٩٨.
١١٨- د. البيومي إسماعيل الشربيني: النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك.

١١٩- حسين محمد أحمد يوسف: النقابات في مصر الرومانية.

١٢٠- لويس جرجس: يوميات من التاريخ المصري الحديث.

١٢١- د. محمد عبد الحميد الحناوي: الجلاء ووحدة وادي النيل (١٩٤٥ – ١٩٥٤).

١٢٢- سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج٦.

١٢٣- د. سعيد عبد الفتاح عاشور: السيد أحمد البدوي.

١٢٤- د. محمد نعمان جلال: العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن.

١٢٥- سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج٧.

١٢٦- سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج٨.

١٢٧- إبراهيم محمد إبراهيم: مقدمات الوحدة المصرية السورية ١٩٤٣ – ١٩٥٨.

١٢٨- جمال بدوي: معارك صحفية.

١٢٩- د. يحيى محمد محمود: الدين العام وأثره في تطور الدين المصري (١٨٧٦ – ١٩٤٣).

١٣٠- سمير فريد: تاريخ نقابات الفنانين في مصر (١٩٨٧ – ١٩٩٧).

١٣١- ترجمة: د. عبد الرءوف أحمد عمرو: الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢.

١٣٢- د. ماجدة محمد محمود: دار المندوب السامي في مصر، ج١.

١٣٣- د. ماجدة محمد محمود: دار المندوب السامي في مصر، ج٢.

١٣٤- ترجمة: جمال سعيد عبد الغني: الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني للدارندلي.

١٣٥- د. محاسن محمد الوقاد: اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيـــزة ٦٤٨ – ٩٣٢هــــ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧م.

١٣٦- تقديم : عبد العظيم رمضان: أوراق يوسف صديق.

١٣٧- د. محمد عبد الغني الأشقر: تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي.

١٣٨- السيد يوسف: الأخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر.

١٣٩- محمد قابيل: موسوعة الغناء المصري في القرن العشرين.

١٤٠- طارق عبد العاطي غنيم: سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عـــشر (١٢٢٦ – ١٢٦٥هــ/ ١٨١١ – ١٨٤٨م.

١٤١- لطفي أحمد نصار: وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك.

١٤٢- أحمد شفيق باشا: مذكراتي في نصف قرن، ج٢، ط٢، ١٩٩٩.

١٤٣- د. منيرة محمد الهمشري: دبلوماسية البطالمة في القرنين الثاني والأول ق.م.

١٤٤- د. عبد العليم خلاف: كشوف مصر الأفريقية في عهد الخديو إسماعيل.

١٤٥- د.منيرة محمد الهمشري:النظام الإداري والاقتصادي في مصر في عهد دقلديانوس(٢٨٤-٣٠٥م).

١٤٦- د. أحمد عبد الرازق: المرأة في مصر المملوكية.

١٤٧- د. رفعت السعيد: حسن البنا: متى.. كيف.. لماذا؟

١٤٨- د. سمير فوزي: القديس مرقص وتأسيس كنيسة الإسكندرية، ترجمة نسيم مجلي.

١٤٩- حسام محمد عبد المعطي: العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر.

١٥٠- د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها).

١٥١- السيد يوسف: جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة.

١٥٢- د. محاسن محمد الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية (٦٤٨- ٩٣٢هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م).

١٥٣- د. علية عبد السميع الجنزوري: الحروب الصليبية: المقدمات السياسية.

١٥٤- د. علية عبد السميع الجنزوري: هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى.

١٥٥- د. عبد الحميد البطريق: عصر محمد علي ونهضة مصر في القرن التاسع عشر(١٨٠٥- ١٨٨٣).

١٥٦- د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الطب والصيدلة في العصر الإسلامي، ج٣.

١٥٧- د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الطب والصيدلة في العصر الإسلامي، ج٤.

١٥٨- د.محمد عبد الغني الأشقر: نائب السلطنة المملوكية في مصر (٦٤٨- ٩٣٢هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م).

١٥٩- د. محمد فريد حشيش: حزب الوفد (١٩٣٦ - ١٩٥٢) ج١.

١٦٠- د. محمد فريد حشيش: حزب الوفد (١٩٣٦ - ١٩٥٢) ج٢.

١٦١- سلاطين باشا: السيف والنار في السودان.

١٦٢- د. تمام همام تمام: السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦- ١٩٥٣).

١٦٣- محمد سيد العشماوي: مصر والحملة الفرنسية.

١٦٤- تحرير: د. عبد العظيم رمضان: الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة في الفترة: ٢٠ - ٢١ ديسمبر ١٩٩٧.

١٦٥- سامي سليمان محمد السهم: التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر.

١٦٦- السيد يوسف: مذكرات معتقل سياسي (صفحة من تاريخ مصر).

١٦٧- د. صفي علي محمد عبد الله: الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية.

١٦٨- يسري عبد الغني: مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات.

١٦٩- د. صفي علي محمد عبد الله: مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية الفاطميين (٢١ - ٥٦٧هـ/ ٦٤٢- ١١٧١م).

١٧٠- مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك(٦٤٨- ٩٣٢هـــ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م.

١٧١- محمد رفعت الإمام: تاريخ الجالية الأرمنية في مصر في القرن التاسع عشر.

١٧٢- فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ج١.

١٧٣- فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ج٢.

١٧٤- د. أحمد عبد الحليم دراز: مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م.

١٧٥- عادل إبراهيم الطويل: محمد توفيق نسيم باشا ودوره في الحياة السياسية.

١٧٦- د. عبد الحميد حامد سليمان: الملاحة الدولية في مصر العثمانية (١٥١٧- ١٧٩٨).

١٧٧- لواء د. صلاح سالم: سياسة مصر العسكرية إزاء حروب الشرق الأوسط.

١٧٨- د. سحر علي حنفي: العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر.

١٧٩- د. عفاف مسعد السيد العبد: دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٦٤ — ١٦٠٩م).

١٨٠- د. عبد العظيم رمضان: الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس.

١٨١- ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي: الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد، ج١).

١٨٢- ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي: الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد، ج٢).

١٨٣- شاهد على العصر: مذكرات محمد لطفي جمعة.

١٨٤- ياسر عبد المنعم محاريق: المنوفية في القرن الثامن عشر.

١٨٥- د. أحمد سيد أحمد: تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري.

١٨٦- د. أحمد صبحي منصور: العقائد الدينية في مصر الإسلامية (بين الإسلام والتصوف).

١٨٧- د. عادل عبد الحافظ حمزة: نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠- ١٥١٧م)، ج١.

١٨٨- د. عادل عبد الحافظ حمزة: نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠- ١٥١٧م)، ج٢.

١٨٩- عرفة عبده علي: يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠م.

١٩٠- د.عبد الحميد عبد الجليل أحمد شلبي:العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١- ١٩٦٣م).

١٩١- د. محسن علي شومان: اليهود في مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر، ج١.

١٩٢- د. محسن علي شومان: اليهود في مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر، ج٢.

١٩٣- د. عبد الله شحاتة: الإمام محمد عبده بين المنهج الديني والمنهج الاجتماعي.

١٩٤- د. فتحي الصنفاوي: تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية.

١٩٥- د. نريمان عبد الكريم أحمد: مجتمع أفريقيا في عصر الولاة.

١٩٦- د. عبد العظيم محمد سعودي: تاريخ تطور الري في مصر (١٨٨٢- ١٩١٤).

١٩٧- د. عبد الحميد زايد: القدس الخالدة.

١٩٨- د. عادل عبد الحافظ حمزة: العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية .

١٩٩- د. بهاء الدين إبراهيم: المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية.

٢٠٠- تحرير د. عبد العظيم رمضان: تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور (أعمال الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب جامعة الإسكندرية من ٢٢- ٢٣ أبريل ١٩٩٨).

٢٠١- سميرة فهمي على عمر: إمارة الحج في مصر العثمانية ١٥١٧- ١٧٩٨.

٢٠٢- د. ماجدة محمد محمود: المندوبون الساميون في مصر.

٢٠٣- فتحي أبو طالب: الصراع الدولي على عدن والدور المصري.

٢٠٤- د. مرفت صبحي غالي: العلاقات الاقتصادية بين مصر وبريطانيا (١٩٣٥- ١٩٤٥).

٢٠٥- السيد محمد أحمد عطا: تاريخ الغربية وأعمالها في العصر الإسلامي(٢١- ٥٦٧هـ/ ٦٤٢- ١١٧١م)

٢٠٦- سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج٩.

٢٠٧- د. سعيد عبد الفتاح عاشور: الظاهر بيبرس.

٢٠٨- لواء د. كمال أحمد عامر: الدور المصري والعربي في حرب تحرير الكويت، ج١.

٢٠٩- لواء د. كمال أحمد عامر: الدور المصري والعربي في حرب تحرير الكويت، ج٢.

٢١٠- د. سعيد عبد الفتاح عاشور: قبرس والحروب الصليبية.

٢١١- د. علية عبد السميع الجنزوري: إمارة الرها الصليبية.

٢١٢- شلبي إبراهيم الجعيدي: العامة في مصر في العصر الأيوبي (٥٦٧- ٦٤٨هـ/ ١١٧١- ١٢٥٠م).

٢١٣- عثمان علي محمد عطا: الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي (٦٤٨- ٩٣٢هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م).

٢١٤- د.علية عبد السميع الجنزوري:الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى.

٢١٥- د. إصلاح عبد الحميد ريحان: الفتح الإسلامي لمدينة كابول (٣١هـ/ ٦٥١م).

٢١٦- د. فرغلي تسن هريدي: الرأسمالية الأجنبية في مصر (١٩٣٧- ١٩٥٧) ، ج١.

٢١٧- د. سيد عشماوي: العيب في الذات الملكية (١٨٨٢- ١٩٥٢).

٢١٨- د. السيد محمد أحمد عطا: إقليم الغربية في عصر الأيوبيين والمماليك (٥٦٧- ٩٣٢هـ/ ١١٧١- ١٥١٧م).

٢١٩- د. عبد العظيم رمضان: ثورة ١٩١٩ في ضوء مذكرات سعد زغلول.

٢٢٠- د. حمادة حسني أحمد محمد: التنظيمات السياسية لثورة يوليو.

٢٢١- ونستون تشرشل: حرب النهر، ترجمة عز الدين محمود.

٢٢٢- د. عبد الحميد زايد: مصر الخالدة (مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى عـــام ٢٣٢ق.م)، ج١.

٢٢٣- د. عبد الحميد زايد: مصر الخالدة (مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى عـــام ٢٣٢ق.م)، ج٢.

٢٢٤- إعداد وتقديم: د. عبد العظيم رمضان: الدور الوطني للكنيسة المصرية عبر العصور (أعمال ندوة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة).

٢٢٥- د. سيد محمد موسى حمد: مصر ودول حوض النيل.

٢٢٦- د. عبد العزيز محمد الشناوي: السخرة في حفر قناة السويس.

٢٢٧- أمل محمود فهمي: العلاقات المصرية العثمانية على عهد الاحتلال البريطاني (١٨٨٢- ١٩١٤)

٢٢٨- د. حسن حبشي: تاريخ العالم الإسلامي، ج١.

٢٢٩- ترجمة: د. حسن حبشي: ذيل وليم الصوري.

٢٣٠- د. عز الدين إسماعيل أحمد: تاريخ الجيش المصري في عصور ما قبل التاريخ.

٢٣١- د. سمير عبد المقصود السيد: الشوام في مصر منذ الفتح العثماني حتى أوائل القرن التاسع عشر.

٢٣٢- د. فرغلي تسن هريدي: الرأسمالية الأجنبية في مصر (١٩٣٧- ١٩٥٧) ، ج٢.

٢٣٣- محمود قاسم: الفيلم التاريخي في مصر.

٢٣٤- د. أنتوني سوريال عبد السيد: العلاقات المصرية الأثيوبية، ج١.

٢٣٥- د. أنتوني سوريال عبد السيد: العلاقات المصرية الأثيوبية، ج٢.

٢٣٦- د. أحمد محمد عبد الحليم دراز: مصر وفلسطين فيما بين القرنين الحادي عشر والثامن ق.م.

٢٣٧- تحرير: د. عبد العظيم رمضان: حكومة مصر عبر العصور (أعمال لجنة التاريخ والآثـــار بـــالمجلس الأعلى للثقافة من ٢٢- ٢٣ أبريل).

٢٣٨- د. سيدة إسماعيل كاشف: الوليد بن عبد الملك (٨٦- ٩٦هـــ/ ٧٠٥- ٧١٥م).

٢٣٩- د. سيدة إسماعيل كاشف: عبد العزيز بن مروان.

٢٤٠- د. حسين كفافي: هنري كوربيل الأسطورة والوجه الآخر.

٢٤١- د. سليمان محمد حسين: تجار القاهرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

٢٤٢- د. عبد المنعم إبراهيم الجميعي: عصر محمد علي: دراسة وثائقية).

٢٤٣- مصطفى الغريب محمد: محمد حسين هيكل ودوره في السياسة المصرية (١٨٨٨- ١٩٥٦).

٢٤٤- د. أحمد عبد اللطيف حنفي محمد: المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي، ج١، الدراسات السياسية.
٢٤٥- د. أحمد عبد اللطيف حنفي محمد: المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي، ج٢، الدراسات الحضارية.
٢٤٦- عبده مباشر: ، إسلام توفيق: حرب الاستنزاف، ج١.
٢٤٧- عبده مباشر: ، إسلام توفيق: حرب الاستنزاف، ج٢.
٢٤٨- السيد يوسف: عبد الرحمن الكواكبي رائد القومية العربية وشهيد الحرية.
٢٤٩- د. محمد فريد حشيش: معاهدة ١٩٣٦، ج١، العلاقات المصرية البريطانية.
٢٥٠- د. محمد فريد حشيش: معاهدة ١٩٣٦، ج٢، نصوص محاضر المفاوضات.
٢٥١- د. عزت قرني: تاريخ الفكر السياسي والاجتماعي في مصر الحديثة (١٨٣٤- ١٩١٤).
٢٥٢- أحمد محمود جمعة: إنشاء جامعة الدول العربية، ج١.
٢٥٣- أحمد محمود جمعة: إنشاء جامعة الدول العربية، ج٢.
٢٥٤- أحمد محمود جمعة: إنشاء جامعة الدول العربية، ج٣.
٢٥٥- د. مرفت أسعد عطاالله: العلاقات بين مصر ولبنان في عهد محمد علي.
٢٥٦- د. السيد حسين جلال: قناة السويس والأطماع الاستعمارية الدولية.
٢٥٧- سمير عبد الله سليمان: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨- ٥٦٧هـ/ ٩٦٩- ١١٧١م).
٢٥٨- د. محمد صبحي عبد الحكيم: مدينة الإسكندرية.
٢٥٩- د. حسن حبشي: تاريخ العالم الإسلامي، ج٢.
٢٦٠- د. محمد مؤنس عوض: رواد تاريخ العصور الوسطى.
٢٦١- د. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ج١.
٢٦٢- د. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ج٢.
٢٦٣- أحمد حسين: مذكرات أحمد حسين.
٢٦٤- جان إيف إمبرور: الإسكندرية ملكة الحضارات، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، مراجعة د. محمود ماهر طه.
٢٦٥- د. إصلاح عبد الحميد ريحان: هرات من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثاني الهجري.
٢٦٦- د. نريمان عبد الكريم أحمد: دراسات في تاريخ مصر الإسلامية.
٢٦٧- طارق الكومي: أمراء أسرة محمد علي ودورهم في المجتمع.
٢٦٨- المشكلة الفلسطينية وموقف مصر حكومة وشعباً منها (١٩١٧- ١٩٣٩).
٢٦٩- د. أحمد دراج: المماليك والفرنجة في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، ٢٠٠٧.
٢٧٠- محمد قابيل: فرسان اللحن الجميل: الموجي – بليغ- الطويل، ٢٠٠٩.

٢٧١- مجدي رشاد عبد الغني: العلاقات المصرية الليبية (١٩٤٥- ١٩٦٩)، ٢٠٠٧.
٢٧٢- محمد بن صفصاف: حركة محمد عبده وعبد الحميد بن باديس الإصلاحية وأبعادهـــا الـــسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ج١، ٢٠٠٨.
٢٧٣- محمد بن صفصاف: حركة محمد عبده وعبد الحميد بن باديس الإصلاحية وأبعادهـــا الـــسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ج٢، ٢٠٠٨.
٢٧٤- د. عبد الواحد النبوي: المعارضة في البرلمان المصري (١٩٢٤- ١٩٣٦)، ٢٠٠٨.
٢٧٥- د. حسام محمد عبد المعطي: العائلة والثروة، البيوت التجارية المغربية في مصر العثمانية، ٢٠٠٨.
٢٧٦- جرجس حنين: الأطيان والضرائب في القطر المصري، ٢٠٠٨.
٢٧٧- د. عبد الحميد ناصف: دير سانت كاترين في العصر العثماني، ٢٠٠٨.
٢٧٨- د. إيمان المهدي: الخبز في مصر القديمة، ٢٠٠٨.
٢٧٩- د. باسنت فتحي: تعددية التعليم الابتدائي في مصر ١٩٢٣ – ١٩٩٣، ٢٠٠٨.
٢٨٠- محمد مبروك : الإدارة المالية في عصر محمد علي ، ٢٠٠٩.
٢٨١- إبراهيم ماضي: زي أمراء المماليك في مصر والشام ، ٢٠٠٩.
٢٨٢- د. صفاء حافظ: الموانئ والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، ٢٠٠٩.
٢٨٣- د. رضا أسعد: أعيان الريف المصري في العصر العثماني، ٢٠٠٩.
٢٨٤- د. جمال كمال محمود: الأرض والفلاح في صعيد مصر في العصر العثماني، ٢٠١٠.
٢٨٥- د. بثينة إبراهيم مرسي إبراهيم: تطور الديانة المصرية القديمة ٢٠١٠.
٢٨٦- زوات عرفان: العلاقات المصرية اليمنية، النصف الأول من القرن التاسع عشر، ٢٠١٠.
٢٨٧- د. علي شلبي: مصر الفتاة ودورها في السياسة المصرية ١٩٣٣-١٩٤١، ٢٠١٠
٢٨٨- د. عمرو عبد العزيز منير: العمران المصري بين الرحلة والأسطورة، ٢٠١١
٢٨٩- د. محمد عبد الغني الأشقر: الوزارة والوزراء في مصر عصر سلاطين المماليك، ٢٠١١
٢٩٠- زينب عيسى عبد الرحمن: العلاقات المصرية الصينية ١٩٥٦-١٩٧٠م، ٢٠١٠
٢٩١- د. أحمد أحمد الحتة: تاريخ الزراعة المصرية في عهد محمد علي الكبير ، ٢٠١٢.
٢٩٢- د. زوات عرفان المغربي: هيئة كبار العلماء (١٩١١-١٩٦١م)، ٢٠١٢.

وبين يديك العدد الأخير:

٢٩٣- د. محمود محمد خلف: ثورات المصريين في العصر الفاطمي (٩٦٩-١٠٣٥)، ٢٠١٢.

يتناول هذا الكتاب فصلاً مهماً من تاريخ العصر الفاطمي، فيتعرض لأهم ثورات المصريين ضد الفاطميين، والتى نشبت في عهد الخلفاء الأربعة الأوائل: المعز لدين الله، والعزيز بالله، والحاكم بأمر الله، والظاهر لإعزاز دين الله، ويؤرخ لضروب الرفض والمقاومة الأخري سواء بالشعر أو الأمثال أو النكات والفكاهات اللاذعة، والتي تختلف بطبيعة الحال عن الثورات والتمردات العسكرية.

ويقسم المؤلف الدكتور محمود خلف ثورات المصريين في العصر الفاطمي إلي سياسية واقتصادية ودينية محللاً أسباب قيامها وصولاً إلي رصد نتائج كل ثورة علي حده، كما أعقب هذه الدراسة بملاحق مهمة عن بعض الوثائق التي تخدم البحث، فضلاً عن ثبت بأهم الثورات خلال الفترة محل الدراسة.

ISBN# 9789774480850



١٥ جنيهاً